الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف
كلية الآداب واللغات - قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللّغة العربيّة بعنوان :

دلالاتُ العُدول في القرآن الكريم

سورة المائدة نموذجًا

• إعداد الطالب :
عبد الرحمان حاج علي

• إشراف الدكتور :
عبد القادر شارف

• أعضاء لجنة المناقشة :

د. محمد زيوش	أستاذ محاضر	جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف	رئيساً
د. عبد القادر شارف	أستاذ محاضر	جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف	مشرفاً ومقرراً
د. محمد خاين	أستاذ محاضر	جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف	مناقشاً
د. بناصر حنيفي	أستاذ محاضر	جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم	مناقشاً
د. مختار درقاوي	أستاذ محاضر	جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف	مناقشاً

السنة الجامعية : 1434هـ/1435هـ ** 2013م/2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا ذا الجلال والإكرام

يا حي يا قيوم

أدعوك باسمك الأعظم

الذي إذا دعيت به أجبت

أن تبسط على أمي وأبي من بركاتك ورحمتك

اللهم أعني على برهما حتى يرضيا عني فترضى

اللهم ارزقهما الجنة

مُقَدِّمَةٌ

تُعتبر اللغة هبةً من الله عز وجلّ لبني البشر، بها يتواصلون وبها يعبّرون عن لبنات أفكارهم وخلجات صدورهم، ومن حكمه سبحانه أن جعل اللغة تتّسع لشتّى المقامات والمقالات وتحتمل مختلف المعاني والدّلالات، لتساير طبائع النّاس واختلاف نفسيّاتهم وتوجّهاتهم الفكريّة، والسّرّ في ذلك كامنٌ في تركيبها، من أصغر وحدةٍ فيها وهي الصّوت مرورًا بالكلمات ووصولاً إلى أطول تركيبٍ جمليٍّ، وكذا دلالاتها الّتي تتحدّد وفقًا للسّياق؛ هذه التّنوعات تجتمع لتشكّل الأساليب المتباينة، تمامًا مثل البصمات تتشابه قالبًا لكنّها لا تتطابق أبدًا؛ من هنا كان منطلق الأسلوب الّذي فرض نفسه علمًا قائمًا بذاته، بتراكيبه ودلالاته، وبفنّياته وجماليّاته وعدولاته.

ولمّا كان أسلوب القرآن أرقى أسلوبٍ في أرقى لغةٍ، عرف البحث فيه حركيَّة وإقبالاً واسعًا من طرف الباحثين في شتّى ميادين اللغة ومستوياتها، واتُّخذت الأسباب إلى ذلك بتوظيف علوم اللّغة قديمها وحديثها، وفق ما أتاحه البحث العلمي من آليّاتٍ خلال عقودٍ تطوّرت فيها المناهج، الّتي برز منها المنهج الأسلوبي الّذي يجمع مباحث الصّوت والصّرف والنّحو والدّلالة والمعجم، وكذا البلاغة وآليّات تحليل الخطاب، ليشكّل منهجاً شُموليًّا يحيط بكلّ جزئيّات اللّغة ليستكشف صورها ومعانيها.

وفي ظلّ البحث في عناصر الخطاب القرآني المتكامل الذي يتجلّى إعجازه في كلّ المستويات، وفي سبيل استشراف الدّلالات والنّهل من المعاني المعجزات وتدبّرها، ارتأيت اختيار موضوعٍ في أسلوب القرآن الكريم، نظراً لخصوصيّة الخطاب القرآني وغناه بالظّواهر والمؤشّرات الأسلوبية. كما اخترت سورة المائدة

وخصصتها بالدّراسة لكونها تجمع بين مختلف الظّواهر الأسلوبيّة وأنظمة الخطاب؛ ومن خلال هذه الاهتمامات، وبمساعدةٍ وتوجيهٍ من المشرف مشكورًا، خرج هذا البحث موسومًا بعنوان: "دلالاتُ العُدول في القرآن الكريم – سورة المائدة نموذجًا-".

وتمّ التّوجه إلى الدّلالات كونها مقصد كلّ دراسةٍ أسلوبيّةٍ، لأنّ البحث في الأسلوب لا يقف عند مرحلة الوصف أو الإحصاء، وما هذه المراحل إلاّ عناصر مساعدة للوصول إلى الغرض من البحث في الأساليب، وهو الدّلالات المكنونة في النّصوص والعبارات والألفاظ والإيقاعات. أمّا العنصر الأساسي في هذا البحث فهو 'العدول'، وهو في تعريفه المبسّط: الخروج عن القاعدة اللّغوية لتحقيق أغراضٍ دلاليّة، وهو على درجةٍ راقية من البلاغة والتّركيب، حتّى أنّ الطّرح المعاصر يقوم على أنّ العدول هو الأسلوب نفسه، باعتبار الأسلوب وجهًا إبداعيًّا، والعدول جوهر هذا الإبداع.

أمّا الهدف من هذه الدّراسة، فبالإضافة إلى تدبّر آي القرآن ومحاولة فهم معانيه، وككلّ درسٍ لغويٍّ للنّص القرآني، أملت في المساهمة في النّهوض باللّغة العربية، وإعطاءها بعضاً من القيمة التي تستحقّها، فهي تبقى هويّةً وثقافةً وكياناً يأبى إلاّ أن يفرض نفسه وفق حقائق علميّةٍ وإعجازاتٍ ربّانية. كما أنّ اللّغة العربية تكتسب أهمّيتها من كونها لغة القرآن الكريم، ولن تعرف نهضتها دون الانتساب إليه، والاهتمام بتدبّره.

وهذا البحث في أسلوب القرآن، ليس الهدف منه البرهنة على إعجازه، فهو مجزومٌ به بالنّص الصّريح في آياته، ويدلّ عليه كلّ صوتٍ وكلّ كلمةٍ وكلّ تركيبٍ ومعنى، وإنّما الهدف محاولة فهم معاني الآيات واستجلاء بعضٍ من قبساتها، والّتي تقف النّفس البشرية عاجزةً أمامها، منبهرةً بجماليّاتها وكمال نظمها وسعة معانيها؛ ومنهج الدّرس الأسلوبي يتيح ذلك نظراً لاحتوائه مختلف آليات العلوم اللغوية.

وفي ما يلي خطّة البحث التي اتّبعتها :

- **المدخل :**

ضمّنتُ المدخل تعريفاتٍ لغويّةً واصطلاحيّةً للأسلوب والأسلوبيّة ومصطلحاتهما من خلال ما ورد في أمّات المعاجم العربيّة، وكذا كتب التّخصّص، ثمّ اتّبعت نفس الطّريق إلى الأسلوبيّة الغربيّة، وكذا نبذاتٍ عن نشأتها وأبرز توجّهاتها وأعلامها وطروحاتهم. لأعود إلى تصوّرات علم الأسلوب وتطوّرها، ثمّ ألج ميدان الدّرس الأسلوبي واتّجاهاته ومناهجه ومجالاته ومواضيعه، ثمّ انتقلت إلى بيان علاقة الأسلوبية بالفنون والعلوم اللغوية. ويلي المدخل بابان، كلٌّ منهما مقسّمٌ إلى فصلين، يحوي كلّ فصلٍ ستّة مباحث، إلاّ الفصل الأخير من الباب الثّاني فحوى سبعة مباحث.

➢ **الباب الأوّل : أسلوبية العدول والنّص القرآني :**

قسّمت الباب الأوّل إلى فصلين، الأوّل منهما بعنوان: أسلوبيّة العدول، وضمّنته تحديدًا لغويًّا واصطلاحيًّا لمفهوم العدول قديمًا وحديثًا، وتطرّقت إلى المصطلحات الّتي تحمل نفس المفهوم، ثمّ ذكرت أصنافه وأنواعه، وربطت ذلك بمستويات وعناصر التّحليل.

أمّا الفصل الثّاني فهو بعنوان: الأسلوبية والدّراسات القرآنية، وحاولت من خلاله بيان مدخل الأسلوبيّة إلى الدّراسات القرآنية ومباحثها في أسلوب القرآن الكريم، والمؤلّفات والأعلام الّذين برزوا في دراسة إعجازالقرآن ونظمه، مع ذكر بعضٍ من خصائص أسلوب القرآن، وكتمهيدٍ للدّخول في صلب الدّراسة أشرت إلى مبحثي بلاغة العدول ودلالاته.

➢ **الباب الثّاني : العدولات الأسلوبيّة في سورة المائدة :**

قسّمت الباب الثّاني إلى فصلين كذلك، وجمعت فيه بين المقدّمات النّظرية والدّراسة التّطبيقيّة، حيث تعرّضت في بدايته إلى سورة المائدة وسبب تسميتها ومحتواها مع لمحةٍ عن الإعجاز البياني فيها تمهيدًا للدّخول في التّحليل الأسلوبي واستخراج مواطن العدول، وأفردت الفصل الأوّل لأصغر الوحدات اللغوية، وهي الأصوات من خلال أهمّ مؤشّراتها وظواهرها ذات الأثر الدّلالي، أمّا الفصل الثّاني فجمعت فيه المؤشّرات العدوليّة الصّرفية والنّحويّة وبعض مباحثٍ متعلّقةٍ باللفظ والمعنى، أمّا المستوى الدّلالي فجعلته يسري في كلّ المستويات من خلال بيان

أغراض ومعاني ودلالات كلّ عدولٍ وكلّ مؤشّر أسلوبِيّ، مع تضمين البحث متعلّقات الظّواهر الأسلوبيّة من تعريفاتٍ وتصنيفاتٍ خاصّةً تلك الّتي لها دورٌ في توجيه دلالات العدول، وأتبعت كلّ ظاهرةٍ عدوليّة بأمثلةٍ من القرآن الكريم ومن سورة المائدة خصوصًا، مع تفسيرها وبيان دلالاتها ومعانيها، اعتمادًا بالدّرجة الأولى على تفسير التّحرير والتّنوير للشّيخ الطاهر بن عاشور، بالإضافة إلى الدّراسات اللغوية والأسلوبية والبلاغية التي تناولت تلك الظواهر بالشّرح والتّحليل. لأختم باستنتاجاتٍ عامّة، تصبّ في الإطار العامّ للبحث، وتجمع شمل مباحثه لتعود بها إلى أصل الطّرح وتربطها بفصل الجواب.

واتّبعت خلال معالجتي للمباحث منهجًا خاصًّا، تطلّبه البحث في نظم القرآن وأسلوبه ومعانيه، حيث تداخلت في الدّراسة مباحث الأسلوبيّة مع علم اللّغة والبلاغة وتحليل الخطاب، إضافةً إلى علوم القرآن والتّفسير والإعجاز. فكان اعتمادي وفقًا لهذه المعطيات والمجالات البحثيّة على المنهج الاستقرائي الوصفي التّحليلي الانتقائي، وكان اشتغالي متدرّجاً وفق المستويات المنتقاة من الدّرس اللّساني الحديث والمباحث المستقاة من الدّرس البلاغي التّراثي، وفق مقتضيات الدّراسة الأسلوبية، وباعتماد آليات تحليل الخطاب، وهو ذات المنهج الذي استنبطته من كتب الأسلوبيّة والدّراسات التي عُنيت بلغة القرآن الكريم ونظمه.

كما أخذت بعين الاعتبار ما سبق دراسته في المجال والنّتائج المتوصّل إليها حول مواضيع مشابهة، من ذلك :

رسالة ماجستير في اللغة بعنوان: "ظاهرة العدول في البلاغة العربية –مقاربة أسلوبيّة- من إعداد عبد الحفيظ مرّاح وإشراف الدكتور حسين أبو النجا، جامعة الجزائر 2005-2006م"، حيث عالج صاحبها في الجانب النظري العدول كإجراءٍ لغوي، ثمّ كإجراءٍ لساني، ليعرض في الجانب التّطبيقي إلى ظواهر بلاغيّة وتشكيلاتٍ بيانيّة وبديعيّة، وفق المنهج الوصفي.

ومن الدّراسات التي عالجت ظاهرةً من الظّواهر الأسلوبية "دراسةٌ وظيفيّة لأسلوب التّوكيد في القرآن الكريم" وهي أطروحة دكتوراه من إعداد عائشة عبيز وإشراف الدكتور السعيد هادف، جامعة باتنة 2008-2009م"، واختصّت هذه الدّراسة بأسلوب التّوكيد وما تعلّق به من ظواهر أسلوبيّة وأغراضٍ دلاليّة، وفي الجزء التّطبيقي ذكرٌ لبعض معاني التّوكيد في القرآن الكريم.

ومن الأعمال التي شملت مستوىً لغويًّا رسالة ماجستير بعنوان: "جماليّات الإيقاع الصّوتي في القرآن الكريم" من إعداد محمد الصّغير ميسة، وإشراف أ.د عمار شلواي" جامعة بسكرة 2011-2012م، والتي رمى صاحبها إلى إبراز أهمّ الجوانب الجماليّة في الخطاب القرآني، وبيان أوجه التّناسب بين الجانب الصّوتي والجانب المعنوي.

أمّا الجديد في بحثي وما يميّزه، فهو التّركيز على المباحث والظواهر الأسلوبية ذات الأثر الدّلالي والعمق المعنوي والتي تشكّل عدولاتٍ أسلوبيّةً في شتّى المستويات اللغوية، مع الإشارة إلى الظّواهر الأسلوبية عامّةً، كلّما وُجدت في موضعٍ أو آية.

أمّا عن الصّعوبات التي كان لها تأثيرٌ في سيرورة البحث، فلعلّ أهمّها قلّة الدّراسات الأسلوبيّة التّطبيقيّة، وعدم اتّباعها لمنهجٍ تحليليٍّ مُوحَّد يمكن للباحث السّير وفقه. كما أنّ البحث تطلّب تركيزًا وتمعّنًا وتأنّيًا في الأخذ بالمعلومات والإضافة إليها والتّعليق عليها، نظرًا لخصوصيّة النّصّ القرآني وحساسيّته، حيث توخّيت الاعتماد على التّفاسير المشهورة، والتّحليلات اللغويّة الواضحة، متجنّبًا الإطناب والتّعليقات غير القائمة على أدلّةٍ متّفقٍ عليها. أمّا غير ذلك فهيّنٌ ما دمت أتشرّف بالنّظر في كتاب الله، آملاً ومستشرفاً الخروج بنتائج أخدم بها لغة القرآن، عسى أن أكون من متدبّريه.

والحمد لله على أن يسّر لي السّبل فجعل أستاذي المشرف الدكتور عبد القادر شارف مفتاح خيرٍ منذ خروج مشروع الدّراسات الأسلوبيّة إلى النّور حيث حرص على أن أستفيد وزملائي من خبرة ومعلومات وتوجيهات أساتذتنا الكرام الذين وقفوا إلى جانبنا خلال سنة الدّراسة النّظرية، وكذا مساعدتنا على الرّسوّ على مواضيع ذات فائدة علميّةٍ، وله كلّ التّقدير إذ شرّفني بقبول الإشراف والتّوجيه وسعة صدره في ذلك، والشّكر موصولٌ للأساتذة الكرام الّذين تشرّفت بقبولهم تمحيص رسالتي وتكبّدهم عناء الحضور لمناقشتها، كما أشكر وأحيي كلّ من كانت له يدٌ في خدمة العلم.

مدخل

يندرج البحث في موضوع العدول ضمن ميدانٍ واسع، هو علم الأسلوب، هذا العلم الذي تطوّر ليشمل مواضيع لغوية وأدبيّة ونقديّة، تتمّ دراستها وفق منهجٍ مبنيٍّ على أسس بلاغية ولسانيّة. محيطاً بمختلف أوجه الموضوع المعالَج، مولّدًا لروابط بين مستويات اللّغة يمكن من خلالها تشكيل صور تحليليّة متكاملة.

1- الأسلوب والأسلوبيّة عند العرب :

جاء في لسان العرب لابن منظور من مادة (س ل ب) : "يُقالُ لِلسَّطْرِ مِنَ النَّخِيلِ: أُسْلُوبٌ. قالَ : وَالأُسْلُوبُ الطَّرِيقُ وَالْوَجْهُ وَالْمَذْهَبُ، يُقالُ: أَنْتُمْ في أُسْلوبِ سُوءٍ، ويُجْمَعُ أَسالِيبَ. وَالأُسْلُوبُ: الطَّرِيقُ تَأْخُذُ فِيهِ. وَالأُسْلُوبُ، بِالضَّمِّ : الْفَنُّ، يُقالُ: أَخَذَ فُلانٌ في أَسالِيبَ مِنَ الْقَوْلِ، أَيْ أَفَانِينَ مِنْهُ"(1).

إنّ أكثر ما يُلفت في هذا التّعريف، هو قول ابن منظور "الأسلوبُ بالضَّمِّ الفَنُّ، يُقال: أخذ فلان في أساليبَ من القَولِ"، حيث يتّضح أنّ الأسلوب ليس فقط طريقةً في القول، وإنّما طريقةً مبدَعَةً وتراكيبَ جماليّة تنماز عن الكلام العادي لتشكّل عملاً فنيّاً. فهو إذن ذلك الطّابع الذي تتقولب فيه المعاني والتّراكيب لتَخرج لنا مصقولةً ومعبِّرةً عن الفكرة كما هي في ذهن مبدِعِها.

(1) - لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، تح عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف، القاهرة، مصر، مادة (س ل ب).

ويعرّفه ماهر أحمد الصّوفي، يقول: "الأسلوب في لغة العرب إطلاقاتٌ مختلفة: فيقال للطّريق بين الأشجار، وللفنّ، وللوجه، وللمذهب، وللشُّموخ بالأنف، ولعنق الأسد، ويقال لطريقة المتكلّم في كلامه أيضاً"(1)، وهذا الإطلاق الأخير هو الذي يهمّ الباحث والمحلّل الأسلوبي.

ويعرّفه الجرجاني، في دلائل الإعجاز بقوله: "و((الأسلوب)) الضَّرْبُ من النَّظم والطّريقةُ فيه"(2)، والجرجاني لا يختلف عن بقية من عرّفوا الأسلوب في كونه طريقةً وضرباً، ولكنّه يشدّد على أنّ جوهر الأسلوب يكمن في النّظم، لتأتي بقيّة طروحات الجرجاني في هذا الباب حول اللفظ والمعنى.

لكلّ مبدعٍ أسلوبه، ولمّا كانت الإمكانات الّتي تتيحها اللّغة لا متناهية -ما دامت لا تخرج عن القواعد الأساسيّة- نجد كلّ مبدعٍ يستفيد من هذه الحرّية ويطلق العنان لفكره ويتميّز بأسلوبه الخاصّ، وحول هذا الطّرح يقول محمد عبد المطّلب: "الأسلوب إذاً ينصبّ على الطّريقة الخاصّة في ترتيب المعاني، وما تحويه هذه الطّريقة من إمكاناتٍ نحويّة تميِّز ضربًا عن ضرب، وأسلوباً عن أسلوب"(3)، فبالرّغم من أنّ الكلمات هي نفسها والقواعد التّركيبية هي ذاتها، إلاّ أنّ مجال اللّغة

(1)- آيات الله في الإعجاز اللّغوي والبياني والتشريعي والغيبي في القرآن الكريم، د. ماهر أحمد الصَّوفي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1429هـ/ 2008م، ص234.

(2)- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجاني النّحوي (ت471 أو 474هـ)، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2000م، ص468-469.

(3)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1994م، ص26.

الواسع يتيح لكلّ من يريد التّأليف أو الكتابة أن يمتاز بطابعه الخاصّ، وطريقتِه الّتي يحبّذها في رصف أفكاره وتوزيعها في نصوصٍ وعبارات. فالأسلوب "هو طريقة التّفكير والتّصوير. وهذا التّحديد – كما نرى- يتناول بالدّرجة الأولى عناصر الأسلوب التي تتحقّق بوجود الصّلة بينها، كما أنّه يتضمّن المراد من الأسلوب في سائر الفنون من حيث هو تفكيرٌ وتصويرٌ وتعبير"(1)، دون قصره على علمٍ أو فنٍّ أو مجالٍ محدّد، وربما يكون هذا التّعريف من المبادرات الهادفة لتخليص الأسلوب والدّراسة العلميّة ككلّ من عصبيّة تحديد مجالات البحث.

نجد نفس الطّرح عند أحمد حسن الزّيات، الذي يرى أنّ تحديد الأسلوب يعتمد على "طريقة الكاتب أو الشّاعر الخاصّة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام"(2)، ويمكن أن يكون ذلك عن قصد أو بصفةٍ عفويّة، حسب الموقف والموضوع الذي يتمّ التّأليف فيه.

وباعتبار ثنائية (اللّفظ /والمعنى)، فـ"قد ظهرت كلمة الأسلوب في تراثنا القديم على نحوٍ ربطت فيه بين مدلول اللفظة وطرق العرب في أداء المعنى، أو بينه وبين النّوع الأدبي وطرق صياغته، كما أنها ربطت –أحياناً- بينه وبين شخصيّة المبدع ومقدرته الفنّية، كما أنها ربطت –أيضًا- بينه وبين الغرض الذي يتضمّنه النّص

(1)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب،ص109.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص99.

الأدبي"[1]. وعلى قدر تحكّم المبدع في العملية الترّكيبية بين اللّفظ والمعنى والفكرة، تكون قيمة أسلوبه وفنّيته.

من جانبٍ آخر، لطالما "اقترنت كلمة الأسلوب بالفنّ، وأدّى هذا إلى معنى الأصالة والتّجديد، فلا أخذ أحدهم في فنونٍ من القول إلاّ كان مُجوّدًا فيه ماهرًا، وإلاّ كان ذلك لقصدٍ منه، فكان الخطيب عند العرب لا يأتي بالكلام على طريقٍ واحد وإنما يفتنّ فيه فيوجز ويطنب ويُكنّي، وغير هذا ممّا يتلاءم مع أحوال السّامعين ومقام الكلام"[2]، فتجتمع لديه مكوّنات الأسلوب الفنّي المبدع.

ونجد الأسلوب دائماً يُذكر إلى جانب الفنّ، والبلاغة، وحَسَن القَول. يقول عبدالكريم الكوّاز: "دلّت على مفهوم الأسلوب مصطلحاتٌ أخرى كالفنّ ولحن القول ولم يشيعا شيوع الأسلوب، الذي وجد مجالاً خصبًا في ميدان دراسة الإعجاز البلاغي، إذ كان ملبّيًا لغرض العلماء في التّفريق بين القرآن الكريم وكلام العرب من حيث البلاغة المعجزة وخروج نمط الكتاب الحكيم عن نمط الكلام المتعارف عليه بين الناس"[3]، وكان هذا في بدايات الدّرس اللّغوي العربي، حيث كان لابدّ من تحديد أقرب مجال يمكن أن يُنسب إليه الأسلوب حتّى يتمّ التّأسيس له، ولكن ليس كعلم، حيث كان لا يزال فنّيًا مقارنةً بالبلاغة وعلوم اللّغة، وإنّما كموضوعٍ قابل للبحث والإضافة والتّعديل.

---

(1)- البلاغة والأسلوبية، محمّد عبد المطّلب، ص172.

(2)- الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، د. محمد كريم الكوّاز، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، ليبيا، ط1، 1426هـ، ص48.

(3)- المرجع نفسه، ص48.

بناءً على هذه المعطيات، يعرّف منذر عياشي الأسلوب بعبارةٍ غاية في الدّقة والإيجاز وجزالة المعنى، بقوله: "الأسلوب نظامٌ لغويٌّ يقيمُه شكلُه الخاصّ"(1)، فبالإضافة إلى أنظمة اللّغة الصّوتية والترّكيبية، نجد لكلّ أسلوبٍ ميزاتَه الخاصّة التي لا نجدها في أسلوبٍ آخر، وهذا دائماً يرجع إلى الإمكانيات التي تتيحها اللّغة ومدى التّحكم بها.

وللتّفريق بين ما تضعه العلوم على اختلافها من قواعد صارمة، وبين ما يعتمده المبدع ليتميّز بأسلوبه المتفرّد، يُذكَر أنّ الأسلوب ليس "معطى مباشرًا، إنّه موسيقى بالصّوت، ورسمٌ بالكلمة، وإيحاءٌ بالعبارة، وصورةٌ يبيّنها النّص"(2)، بحيث يجعل المؤلِّف من اللّغة وقواعدها وسيلةً ليحقّق جماليّةً فنيّةً، و يبدعَ عباراتٍ شجيّة، فلا تصبح قواعد اللّغة قيداً بل هي في فكر المبدِع أدواتٌ لصقل الأفكار وإيصالها إلى المتلقّي في صورةٍ جماليّة، وهنا يمكن القول بأنّ "الأسلوب نظامٌ تؤدّي اللّغة فيه وظائفَ مخصوصة"(3)، عكس العلوم اللّغوية التي تكمن وظيفتها في تأدية وظيفةٍ مخصوصةٍ في اللّغة.

يدخل في تعريف الأسلوبية أيضًا عامل 'الاختيار'، فالأسلوبية تُعنى بدراسة الأسلوب الذي هو استعمالٌ خاصٌّ للّغة يقوم على الاختيار، والوسيلة المتّبعة لتمييز الأساليب هي المقارنة، وأيّة نظريّةٍ أسلوبيّةٍ تنطلق من مبدإٍ عام يَقضي بأن المعنى

(1)- الأسلوبية وتحليل الخاطب، د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سورية، ط1، 2002م، ص142.

(2)- المرجع نفسه، ص86/85.

(3)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص92.

الواحد يمكن التّعبير عنه بأشكال مختلفة[1]، ولكلّ شكلٍ وقعه وأثره على المتلقّي، كما أنّ كلّ اختيار يكشف جزءًا من شخصيّة صاحبه، وفكره ومبتغاه.

وهناك فرق بين الاختيار والمقصديّة، إذ أن الأوّل يمكن أن يكون عن قصدٍ أو عن غير قصد، بينما المقصديّة وإرادة التّأثير فهي هدف المؤلِّف، حيثُ "يعتمد المفهوم الوظيفي للأسلوب على فكرةٍ قديمة تصوّره ابتداءً كعمليّة اختيارٍ واعية أو غير واعية لعناصر لغويّة معيَّنة، وتوظيفها عن قصدٍ لإحداث تأثيرٍ خاصّ هو التّأثير الأسلوبي"[2]، فكلّ استعمالٍ للّغة له وظيفة معيّنة في تأدية فكرةٍ بعينها.

عدم خضوع الأسلوب لقواعد صارمة، أو حدود مضبوطة، يتيح للمبدع إظفاء لمساته الخاصّة على الأفكار، وإخراجها في قالبٍ لغويّ هو الأقرب إلى ما يجول في خاطره، وبذلك تكتسي العمليّة التّواصلية طابع المصداقيّة والثّقة بين الأطراف. ولكن بالإضافة إلى هذا كان لابدّ للأسلوب من ركيزةٍ ومرجعيّةٍ تُبنى عليها العمليّة التحليليّة للأعمال الأدبيّة، فاعتُمد مبدأ (العدول)، الّذي يمكن اعتباره جسراً بين اللّغة بقواعدها، والإبداع الأدبي، ويقوم هذا المبدأ على "أنّنا إذا أولينا الاهتمام بالنّظام وقدّمناه على الإنتاج، فإنّنا نعطي الأسلوب تعريفًا جماعيًا، ونستعمله في عملٍ تصنيفيّ، ونجعل منه أداةً من أدوات التّعميم؛ أما إذا كان الأمر على العكس من ذلك، وأولينا انتهاك النّظام، والتّجديد، والقراءة اهتمامنا، فإننا نُعرّف الأسلوب حينئذ تعريفاً

(1)- الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص111.

(2)- علم الأسلوب –مبادئه وإجراءاته-، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1419هـ/ 1998م، ص242.

فرديًّا. ونسند إليه وظيفةً فرديّة. ولكن كلّ هذا يقودنا إلى التّفكير فيه كذلك على أنّه سمةٌ مميَّزة ونظامٌ بآن"[1]، فلا يفقد أهمّيته كعلم، ولا ميزته كفنّ.

لمزيد من التّحديد والتّوضيح قسّم منذر عياشي تعريف الأسلوب إلى أقسامٍ ثلاثة: "التّعريف الشّائع، تعريف الكُتّاب، التّعريف اللّساني"[2]، وهذه التّعريفات يمكن اعتبارها انعكاساتٍ لكلٍّ من: أسلوبيّة التّلقي، وأسلوبيّة الفرد، وأسلوبيّة التّعبير، وبهذا التّقسيم يتّسع مجال تأثير الأسلوب خارج الإطار اللّغوي، وخارج إطار النّص، ويصبح الأسلوب حدثاً يمكن ملاحظته: إنّه لسانيٌ لأن اللّغة أداةٌ بيانيّة؛ وهو نفسيٌّ لأن الأثر غايةُ حدوثه؛ وهو اجتماعيٌّ لأن الآخر ضرورةُ وجوده[3]، وهو بذلك يرافق العمليّة التواصليّة منذ نشوء الفكرة إلى حين ترجيع المتلقّي.

ما يميّز الأسلوب هو توفيقه بين الجانب اللّغوي والجانب الأدبي الجمالي، فقد "يكون الأسلوب كلمةً، أو لونًا أو إشارة، أو أيّ مادّةٍ من المواد، غير أن مادّته الخارجيّة لن تكون ما لم يكن النّظامُ أداةً تُشكّلها، ولذا يمكننا أن نقول فيه: الأسلوب شكلٌ يُقِيمُه نظامُه. وإذا كان الأسلوب نظاماً، فإنه نظامٌ متضمَّن في النّظام اللّغوي، بمعنى أن قواعده المتناهية قادرةٌ على إنتاج أشكاله غير المتناهية"[4]، في صورةٍ متناغمة، فالأسلوبُ ذاته هو الّذي يحدّد نظامه الخاصّ، الّذي لا يمكن نقده، إلاّ من خلاله.

(1)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص29.

(2)- المرجع نفسه، ص33.

(3)- المرجع نفسه، ص25.

(4)- المرجع نفسه، ص38.

وعن علاقة الأسلوب بالتّراكيب اللفظية والجمليّة، يجب الانتباه إلى كون "الأسلوب غير المفردات والتّراكيب التي يتألّف منها الكلام، وإنما هو الطّريقة التي انتهجها المؤلِّف في اختيار المفردات والتّراكيب لكلامه. وهذا هو السّر في أن الأساليب مختلفةٌ باختلاف المتكلّمين من ناثرين وناظمين، مع أن المفردات التي يستخدمها الجميع واحدة، والتّراكيب في جملتها واحدة، وقواعد صوغ المفردات وتكوين الجمل واحدة"(1).

فالتّفرّد في الأسلوب لا يعني بالضّرورة استعمال ألفاظ أو تعبيرات غريبة أو غير متداولة، وإنّما يتعلّق الأمر بطريقة الرّصف، وحُسن التّأليف؛ "وهذا هو السّر أيضاً في أن القرآن لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم العربيّة، من حيث ذوات المفردات والجمل وقوانينها العامة، بل جاء كتاباً عربيًّا جارياً على مألوف العرب من هذه النّاحية، فمن حروفهم تألّفت كلماته، ومن كلماتهم تألّفت تراكيبه، وعلى قواعدهم العامّة في صياغة هذه المفردات وتكوين التّراكيب جاء تأليفه، ولكن المعجِز والمدهِش والمثير لأعجب العجب، أنه مع دخوله على العرب من هذا الباب الذي عهدوه، ومع مجيئه بهذه المفردات والتّراكيب التي توافروا على معرفتها، وتنافسوا في حلبتها، وبلغوا الشّأو الأعلى فيها، نقول: إن القرآن مع ذلك كُلّه وبرغم ذلك كلّه قد أعجزهم بأسلوبه الفذّ، ومذهبه الكلامي المعجز، ولو دخل عليهم من غير

(1)- آيات الله في الإعجاز، ماهر أحمد الصوفي، ص234-235.

هذا الباب الذي يعرفونه لأمكن أن يُلتمس لهم عذرٌ أو شبه عذر، وأن يسلم لهم طعنٌ أو شبه طعن"(1).

مفهوم الأسلوب وجوهره ليس فيه اختلافٌ أو تباعد كبير بين اللغويين والنُّقاد والبلاغيين، فقد "تواضع المتأدّبون وعلماء العربية، على أن الأسلوب هو الطّريقة الكلاميّة الّتي يسلُكها المتكلّم مع تأليفِه كلامَه واختيارِ ألفاظِه، أو هو المذهب الكلامي الّذي انفرد به المتكلّم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو طابعُ الكلام أو فنُّه الّذي انفرد به المتكلّم كذلك"(2)، وتبقى الاجتهادات في التّحليل متعلّقةً بكشف أغوار أسلوب كاتبٍ أو نصٍّ ما، وفق مناهج ومستويات تشمل كلّ زوايا العمل المطروح للدّراسة.

2- الأسلوب والأسلوبية الغربيّة :

- مفهوم "الأسلوب" عند الغربيّين: styleEn/Fr :

اشتُقّت كلمة أسلوب من "الأصل اللاتيني Stilus وهو يعني (ريشة) ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفهومات تتعلّق كلّها بطريقة الكتابة، فارتبط أوّلاً بطريقة الكتابة اليدويّة، دالاً على المخطوطات، ثم أخذ يُطلَق على التّعبيرات اللّغوية الأدبية،

(1)- آيات الله في الإعجاز، ماهر أحمد الصوفي، ص234-235.

(2)- المرجع نفسه، ص234.

فاستُخدِم في العصر الرّوماني –في أيام خطيبهم الشّهير (شيشرون)- كاستعارةٍ تشير إلى صفات اللّغة المستعملة"(1)، حتّى صار أكثر استخدامه في مجال اللّغة.

و"الأسلوب" كمصطلح أكاديمي "استُخدم في النّقد الألماني منذ أوائل القرن التّاسع عشر في معجم 'Grimm' وورد لأول مرّة في اللّغة الإنجليزية كمصطلح عام 1846 طبقًا لقاموس (أكسفورد)، ودخل القاموس الفرنسي لأول مرّة كمصطلح عام 1872م"(2).

- مفهوم "الأسلوبية" عند الغربيّين: Stylistics[En] /Stylistique[Fr] :

بعد أن صار مُصطلح "الأسلوب" متداولاً بصفةٍ علمية أكاديميّة، صار لزاماً تحديد مجاله وموضوعاته، وجمعها تحت مسمًّى واحد، وكان ذلك لماّ أخذت دراسة الأسلوب "تتجه اتجاهاً مغايرًا باقترابها من حقل الدّراسات اللّغوية حتى اتّخذت تسميةً خاصّةً بها في اللّغات الأوربّية: في الإنجليزية Stylistics، وفي الفرنسية La Stylistique وفي الألمانية Die Stylistik وترجمها بعض الباحثين إلى العربيّة إلى (علم الأسلوب) وترجمها آخرون إلى (الأسلوبية)"(3)، واشتُقّت

(1)- علم الأسلوب –مبادئه وإجراءاته-، صلاح فضل، ص93./ وينظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص48./ و: البلاغة والأسلوبية –مقدّمات عامة-، يوسف أبو العدوس، ص161.

(2)- المرجع نفسه، ص94.

(3)- الأسلوب والنّحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، د. محمد عبد الله جبر، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط1، 1409هـ/ 1988م، ص08.

مصطلحاتٌ تصبّ في المجال نفسه، وتحدّدت مفاهيم لهذا العلم، فسُمّي الباحث في الأسلوب stylistician. وكلمة style صارت تعني طريقة الكلام(1)، أو التّأليف.

وتجدر الإشارة إلى نقطة هامّة وهي أنّ مصطلح "الأسلوبية" لم يتمّ اختياره بين ليلةٍ وضحاها، إذ قد مهّد لظهوره مصطلح "الأسلوب/ Le Style" "الّذي بدأ استعماله منذ القرن الخامس عشر، على حين لم يظهر مصطلح الأسلوبية Stylistique إلاّ في بداية القرن العشرين كما تدلّنا على ذلك المعاجم التّاريخية في اللّغة الفرنسية مثلاً، أي أنه خلال القرون من الخامس عشر، إلى التّاسع عشر كان يوجد مصطلح الأسلوب فقط، والذي كان يُقصد به (النّظام والقواعد العامّة) مثل (أسلوب المعيشة) أو (الأسلوب الموسيقي) أو (الأسلوب الكلاسيكي في الملبس والأثاث) أو (الأسلوب البلاغي) لكاتبٍ ما، أمّا في القرن العشرين، فقد استمرّ هذا المصطلح أيضًا ولكن وُجد إلى جواره مصطلح آخر هو (الأسلوبيّة) الّذي اقتصر على حقول الدّراسات الأدبية"(2)، وصار ممكناً التّفكير في التّأسيس له كلم مستقلّ، له مواضيعه ومباحثه ومنهجه الخاصّ في الدّراسة والتّحليل.

- **نشأة الأسلوبيّة الغربيّة :**

بعد شيوع مصطلح الأسلوبيّة، الّذي اعتُبر أكثر دقّةً وأكثر شموليّةً في نفس الوقت، يمكن القول أنّه أخذ مكان المصطلح الّذي سبقه والّذي كان المصدر الّذي

(1)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص185.

(2)- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، د. أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، مصر، 1998م، ص16.

اشتُقَّ منه، والحديث هنا عن مصطلح "الأسلوب"، و"منذ الخمسينات من هذا القرن، أصبح مصطلح الأسلوبية Stylistics يطلق على منهجٍ تحليليّ للأعمال الأدبيّة، يقترح استبدال (الذّاتية) و(الإِنطباعية) في النّقد التّقليدي بتحليلٍ (موضوعيّ) أو (علميّ) للأسلوب في النّصوص الأدبيّة"(1)، هادفاً إلى تخطّي الأُطر النّقديّة، والتّحوّل من التّأثّر بها إلى التّأثير فيها، وكانت هذه بداية الثّورة الأسلوبية على النُّظم الّتي سبقتها، والّتي كانت تقيّد نشاطها التّحليلي.

ولم تأخذ الأسلوبية أو "علم الأسلوب" وقتاً طويلاً في تحديد القضايا النّظرية والأطر والمفاهيم الخاصّة بها، مستفيدةً من التّجربة الصّعبة التي خاضها علم اللّغة الحديث في بداياته، حين لم يستطع الخروج من الإطار النّظري إلاّ بصعوبةٍ بالغةٍ، فكانت انطلاقة علم الأسلوب منذ البداية معتمدةً على تقبُّل النّظريّات، والتّعجيل بطرح المناسب منها للتّطبيق والتّحليل، وظهر إبّان هذا التحوّل السّريع في مسار الدّرس الأسلوبي، أعلامٌ وأعمالٌ ومدارس تهتمّ بالأسلوبية وتحاول التّأسيس لها كعلمٍ مستقلّ ضمن العلوم اللّغوية، وقد كانت ترجمة (تزفيتان تودوروف/ **Tzvetan Todorov** 1963/1939) لأعمال الشّكليين الرّوس إلى الفرنسية نقطة انطلاقٍ إلى ثراء البحوث الأسلوبية(2)، واتّساع مجال النّظريات حولها، وكذا فتح مجال التّطبيق على النّصوص والأعمال الأدبيّة على اختلاف التّوجّهات الفكريّة لأصحابها، وتنوّع المواضيع التي يعالجونها.

(1)- الأسلوبية والبيان العربي، د. محمد خفاجي/ د. محمد السعدي فرهود/ د.عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1412هـ/ 1992م، ص11.

(2)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص181.

و"في سنة 1960 انعقدت بجامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية ندوةٌ عالميّة، حضر إليها أبرز علماء اللّغة ونقّاد الأدب وعلماء النّفس والاجتماع. وكان محور هذه النّدوة الدّراسات الأسلوبية"(1)، وكانت تلك بمثابة الضّوء الأخضر للتّأسيس لعلم الأسلوب، ولم يتوانَ اللغويون والبلاغيّون والمفكّرون في الاستفادة من هذه الوتيرة العلميّة المتسارعة، فقاموا بطرح تصوّراتهم، كما لم يتعصّبوا لمنبع الفكرة، حيث استفادوا من مختلف العلوم والفنون وكذا المعلومات الّتي تردهم من مختلف المدارس واللّغات.

أ. أبرز توجّهات الأسلوبية الغربية :

– طبقيّة الأسلوب عند جورج بوفون (1707-1788)(2):

طرح بوفون تعريفاً للأسلوب، لايزال معتَمَداً في أغلب الدّراسات الأكاديمية، وينطلق تعريفه من مبدأ الطّبقيّة الذي ضمّنه في "عمله المشهور (مقال في الأسلوب)، والّذي أدانه فيه بوفون فكرة أن الأسلوب هو الطّبقة، لينتهي إلى أن (الأسلوب هو الرَّجُل) وحاول من خلال هذا التّعريف ربط قيم الأسلوب الجمالية بخلايا التّفكير الحيّة والمتغيّرة من شخصٍ إلى شخص، من دون قوالب التّزيين الجامدة التي يستعيرها المقلِّدون عادةً من المبدِعين، دون إدراكٍ حقيقيّ لقيمها ممّا يعرّضها للاستغلال السّيّء(3). ولكن نظراً إلى عدم اختصاص هذا التّعريف

---

(1)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب ، ص183.

(2) - جورج بوفون (1707-1788)، مفكّر فرنسي.

(3)- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، ص18.

بالأسلوب الأدبي، يرى بعض اللّغويين والنّقاد، من أمثال شكري عيّاد أن عبارة بوفون حول الأسلوب"لم يكن يعني بها أكثر من أن لكلِّ إنسانٍ طريقته الخاصّة في التّعبير"(1)، دون إعطائها بعداً تحليليًّا لغويًّا أو نقديًّا خاصًّا. رغم ذلك يبقى تعريف بوفون من أكثر التّعريفات شيوعاً وبساطةً وعمقاً.

- **دراسات شارل بالي Charles Bally: 1947/1865 :**

لا تختلف مفاهيم الأسلوب من حيث المبدأ، أمّا الأسلوبية ورغم ظهورها منذ "القرن التّاسع عشر عند الغربيين، لكنها لم تصل إلى معنى محدّدٍ إلاّ في أوائل هذا القرن، وكان هذا التّحديد مرتبطاً بشكلٍ وثيق بأبحاث علم اللّغة"(2)، باعتباره حاضنة كلّ ثورة في اللّغة والنّقد وتحليل الخطاب.

يمكن اعتبار "شارل بالي مؤسّس علم الأسلوب في المدرسة الفرنسيّة، وخليفة (سوسور) في كرسي علم اللّغة العام بجامعة (جنيف)، وقد نشر عام 1902 كتابه الأول (بحث في علم الأسلوب الفرنسي) ثم أتبعه بدراساتٍ أخرى. أسّس بها علم أسلوب التّعبير"(3)، الذي لا يزال يُعتمد كمنطلق للدّرس الأسلوبي.

ويُعرِّف بالي علم الأسلوب على أنه "العلم الذي يَدْرُس وقائع التّعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي، أي التّعبير عن واقع الحساسية الشّعورية من خلال

(1)- مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عياد، مصر، ط2، 1413هـ/ 1992م، ص14.

(2)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص172.

(3)- الأسلوبية والبيان العربي، محمد خفاجي وآخرون، ص14.

اللّغة، وواقع اللّغة عبر هذه الحساسية"(1)، أي أنّ الهدف من العمليّة التّواصلية في الأساس هو الأثر النّاتج عن اللّغة.

الأسلوب عند بالي "يتمثل في مجموعةٍ من عناصر اللّغة المؤثِّرة عاطفياً على المستمع أو القارئ، ومهمّة علم الأسلوب لديه هي البحث عن القيمة التّأثيرية لعناصر اللّغة المنظّمة، والفاعليّة المتبادلة بين العناصر التّعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبّرة"(2)، وبذلك يكون منطلق الدّراسة أسلوبيًّا، والنّتائج المتوصّل إليها من خلال التّحليل مبنيّة على أسس لغويّة أسلوبيّة.

ولا يتردّد بالي حين يحدّد مجال الدّرس الأسلوبي وموضوعه، معلناً بأنّ الأسلوبية تختصّ بالبحث في: "وقائع التّعبير اللّغوي من ناحية مضامينها الوجدانيّة، أي تدرس تعبير وقائع الحساسيّة المعبّرة عنها لغوياً، كما تدرس فعل الوقائع اللّغوية على الحساسية"(3)، مضيفاً ذلك لعنصر "الأثر" الذي تخلّفه اللّغة.

عن طريق أطروحات بالي حول الأسلوبية يكون "واضعاً بذلك اللَّبِنة الأولى في بناء هذا العلم في العصر الحديث"(4)، سائراً على خطى أستاذه "دي سوسير" مؤسّس علم اللّغة الحديث؛ "والجدير بالذِّكر أن كلّ الدّراسات التي جاءت بعده، قد أخذت عنه أو استفادت منه إن في المنهج وإن في الموضوع... وتأتي أهمّية بالي أنه

---

(1)- الأسلوبية والبيان العربي، محمد خفاجي وآخرون ، ص14.

(2)- علم الأسلوب، صلاح فضل، ص97.

(3)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص31.

(4)- البلاغة والأسلوبية، محمّد عبد المطّلب، ص175.

وللمرّة الأولى في تاريخ الثّقافة الغربية نقل درس الأسلوب من الدّرس البلاغي، بتأثير اللّسانيات عليه منهجاً وتفكيراً، إلى ميدانٍ مستقل"[1]، ومتجاوزاً للتّوقّعات حول إمكانية نسبة الدّراسات الأسلوبية إلى مجال علم اللّغة أو النّقد، مستفيداً في نفس الوقت ممّا توصّلت إليه هذه العلوم.

- **الأسلوب واللّغة الأدبية عند جولز ماروزو Jules Marouzeau 1964/1878:**

لم يكن بالي الوحيد الذي تطرّق مبكّراً إلى موضوع علم الأسلوب، فـ"حوالي سنة 1941 تبلورت أزمة الدّراسات الأسلوبية وتذبذبـها بين موضوعيّة الدّراسات اللّغوية ونسبيّة الاستقراءات، وجفاف المصطلحات في الدّراسات الصّوتية، فنادى جولز ماروزو Jules Marouzeau بحقّ الأسلوبية في الوجود ضمن الدّراسات الحديثة؛ وتتميّز جهوده بمحاولة إعادة اللّغة الأدبية إلى مجال البحث الأسلوبي"[2]، وبذلك إلحاقها بالتّطور الحاصل في مجال البحوث اللّغوية "كما تتميّز جهوده – أيضاً- بعملية الترّكيز على نواحٍ محدّدة من الأسلوب، كتركيزه على المحسوس والمجرّد، والمجمل والمفصّل، والحقيقة والمجاز"[3]، وإبراز أثر هذه المؤشّرات الأسلوبية في النّصوص الأدبيّة، "كما اهتمّ بنوعٍ خاصّ بقواعد تنظيم الكلمات، والإيقاع والحركة في الجملة، واستعمال الصّيغ والكلمات واختيارها، والقواعد الهرمونية الصّوتية، وركّز بشكلٍ واضح على النّاحية الوظيفيّة لجزئيّات

(1)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص30.

(2)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص177.

(3)- المرجع نفسه، ص177.

التّركيب"[1]، فأصبحت الأسلوبية -بالإضافة إلى الاهتمام الجانب الجمالي- تضطلع بالتّحليل اللّغوي، مستمدّةً مناهجها ومستوياتها التّحليلية من اللّسانيات الحديثة، وتمّ فتح مجال البحث على كلّ ما يمكن أن تكون له علاقة باللّغة والأدب.

- **جهود المدرسة الألمانية ممثّلةً في ستيفن أولمان Stephen Ullmann 1976/1914:**

في خضمّ الجهود المبذولة من شتّى الأطراف، والعلماء والمدارس، "تأتي المدرسة الألمانية –بعد الحرب العالمية الأولى- لتؤدّي دوراً خطيراً في تطبيق المفاهيم اللّغوية على الأدب"[2]، لتضفي عليه صبغةً أكثر فنّيةً وجماليّة، وتُرسيَ بدورها دعائمَ أسلوبيّةٍ حديثة، سيراً على خطى اللسانيات الحديثة.

و"تتويجًا لجهد المدرسة الألمانية يبارك (أولمان Stephen Ullmann) استقرار الأسلوبية علماً ألسُنيًا نقديًا سنة 1969"[3]. وبهذا يظهر مصطلح الأسلوبية بمفهومه الجديد كعلمٍ مستقلّ " في بداية القرن العشرين مع ظهور الدّراسات اللّغوية الحديثة، التي قرّرت أن تتّخذ من الأسلوب علمًا يُدرس لذاته، أو يوظّف في خدمة التّحليل الأدبي أو التّحليل النّفسي أو الإجتماعي، تبعًا لاتّجاه هذه المدرسة أو تلك"[4]، دون إخضاعه للمعياريّة أو القواعد التي تحدّ من قيمته التّحليلية اللّغوية والجماليّة الأدبية على السّواء.

(1)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب ، ص177.

(2)- المرجع نفسه، ص181.

(3)- المرجع نفسه، ص182.

(4)- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، ص19/18.

- **الأسلوب والكتابة عند رولاند بارت Roland barthes 1980/1915:**

تطوّرت مفاهيم الأسلوب والأسلوبية، وتقولبت تبعاً لتوجّهات أصحابها، ومن بين هؤلاء (بارت) الذي يقترح "وضعَ تعريفٍ أصيل للأسلوب بمقابلته بالكتابة، ويعتبرُهما مخالفين لمفهوم اللّغة العادي. فالأسلوب لغةٌ تتميّز بالاكتفاء الذّاتي وتَغرس جذورها –على حدّ تعبيره- في أسطورة المؤلِّف الذّاتية السّرية-، في هذه الحالة شبه المادّية للكلمة حيث يتشكّل أولُّ زوجٍ من المفردات والأشياء، وتنهض الموضوعات الفعليّة العظمى مرّةً واحدةً لتكتسب وجودها، فالأسلوب في حقيقة الأمر ظاهرةٌ ذات طبيعة تشبه البذور، يهدف إلى نقل الحالة والمزاج ليستزرعها في نفس القارئ"(1)، و بارت بهذا التّحليل يجعل من الأسلوب عاملاً إبداعيًّا محضًا، كما يُشرك عنصراً فاعلاً في العمليّة التّواصلية لطالما تمّ تغييبه في الدّرس اللّغوي، وهو (المتلقّي).

- **الأسلوب الأدبي عند ميشال ريفاتير Michael Riffaterre 2006/1924:**

هناك من ربط بين الأسلوب واللغة الأدبيّة بطريقةٍ مباشرة، متجاوزاً بقيّة مستويات الكتابة، إذ "يُقدّم ريفاتير تعريفًا للأسلوب، يتولّى بعد ذلك شرحه والتّعليق عليه بطريقةٍ تشبه إلى حدٍّ كبير ما ألفناه في التّراث العربي من الحواشي والمتون، فيقول: يُفهَم من الأسلوب الأدبي كلُّ شكلٍ مكتوبٍ فردي، ذي قصدٍ أدبي، أي أسلوب مؤلِّفٍ ما، أو بالأحرى أسلوب عملٍ أدبي محدّد يمكن أن نطلق عليه الشّعر

(1)- علم الأسلوب، صلاح فضل، ص108.

أوالنّص"(1)، ومن خلال هذا التّعريف يمكن تحديد مجال الدّرس الأسلوبي، وتوضيح معالمه.

استمرّ علم الأسلوب، بعد نجاحه في استعمال المجال اللّغوي لصالحه، في اعتماد الوسائل التي تتيحها له مختلف العلوم والفنون لتوسعة مجاله، وترسيخ وجوده كعلم، بعدما كان يخضع للحدود التي فُرضت عليه عندما كان يعتبر مجرّد أداة محدودة بالقواعد النّقدية واللّغوية، وحتّى الإِجتماعية والنّفسية. وكان هذا التّحوّل بطريقةٍ سلسة تحاشى من خلالها روّاد علم الأسلوب التّصادم مع معطيات تلك العلوم، ليحوّلوها إلى مجال عمل علم الأسلوب.

ب. تطوّر تصوّرات علم الأسلوب :

لم يحدّ اتّضاح معالم علم الأسلوب من تطوّر التّصورات حوله، و"في مطلع هذا القرن ولِد تحت كلمة (الأسلوبيّة) مفهومان مختلفان، هما: (أ) دراسة الصّلة بين الشّكل والفكرة، وخاصّةً في ميدان الخطابة عند القدماء. (ب) الطّريقة الفرديّة في الأسلوب، أو دراسة النّقد الأسلوبي، وهي تتمثّل في بحث الصّلات التي تربط بين التّعبيرات الفرديّة أو الجماعيّة"(2)، كما ظهرت "تصوّرات أخرى تنحُو إلى الاعتداد بمصدر الأسلوب ومنبعه في تحديد المقولة النّظرية له، بحيث تعتمد في تحليل طبيعة الأسلوب على عمليّة إبداعه نفسها، وقد انتهى البحث في هذا الاتجاه إلى تأسيس منهج الأسلوبية التّوليدية الّذي يدرس الأسلوب في علاقته بمصدره خلال عمليّة

(1)- علم الأسلوب، صلاح فضل ، ص110.

(2)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص185.

الخلق الفنّي"[1]، وكان الهدف من هذه الطّروحات الجديدة، الانتقال من التّأسيس إلى التّنظير، ومنه إلى التّحليل والتّطبيق.

هذه التّصورات الجديدة لم تكن فرديّة، أو مجرّد أطروحاتٍ شكليّة، بل كانت تواكب ظهور التّصورات البنيويّة في علم اللّغة، كما أنّها تستفيد بطريقةٍ مباشرة ممّا توصّل إليه الباحثون الّذين أسّسوا لعلم الأسلوب، و"إذا انتقلنا إلى مجموعة التّصورات البنيويّة للأسلوب أمكننا أن نميّز فيها بين ثلاثة اتجاهات: اتّجاه النّاقد البنيوي الأول (بارت)، واتّجاه (ريفاتير) أبرز باحث في الأسلوبيات في هذا النّصف الثاني من القرن العشرين، واتجاه النّحو التّوليدي في جملته وما تفرّع عنه"[2]. وكلّها تصوّرات بنيويّة، تختلف في الجزئيات، وتلتقي في المبادئ والأصول والكلّيات.

ومن بين التّصورات المؤثّرة في مسار علم الأسلوب، تصوّرٌ يقضي بأنّ الأسلوب هو مرآة صاحبه، و"فكرة اعتبار الأسلوب ملمحاً جوهريًّا للشّخصية، ذائعةٌ متداولة منذ أن شاعت عبارة (بوفون) الشّهيرة (الأسلوب هو الشّخص نفسه)، وعبّر عنها (شوبنهور) بقوله: (إن الأسلوب هو ملامح العقليّة)، واستلهمها (فلوبير) قائلاً (إنه في ذاته طريقةٌ مطلقة لرؤية الأشياء)، كما يجد الباحثون تجلّياتٍ أخرى لنفس هذه الفكرة عند (جيد) الّذي يقول: (لا يتم التّعبير الصّادق عن شخصيّةٍ جديدة إلاّ من خلال شكلٍ جديد...)؛ أمّا (بروست) فكانت له نظراته عن الأسلوب وتبلورت في

(1)- علم الأسلوب، صلاح فضل، ص101.

(2)- المرجع نفسه، ص108.

آخر مؤلّفاته بقوله (إن الأسلوب عند كلٍّ من الكاتب والرّسام ليس مسألة تكنيك، ولكنّه مسألة رؤية"[1]، وهكذا نرى كيف أنّ الأسلوبيّة جعلت من نفسيّة المُؤلِّف عاملاً أساسياً في العمليّة التّحليليّة للعمل الأدبي، وهذا التصوّر يمكن اعتباره الأبرز إلى جانب البنيويّة، حتّى أنّه أثّر فيها واستطاع التّقليل من درجة تعصّبها إلى بعض مبادئها.

ج. ميدان الدّرس الأسلوبي واتجاهاته ومناهجه:

بعد اتّضاح الرّؤية حول مفهوم الأسلوب والأسلوبيّة، أصبح ممكناً الحديث عن توجّهات الأسلوبية، والطّرق التي يمكن اعتمادها للتّحليل الأسلوبي، إذ "صار للأسلوبية اتّجاهٌ عامّ هو دراسة الأسلوبيّات العامّة، واتجاهٌ خاصّ، وهو الدّرس الأسلوبي الخاصّ بلغةٍ من اللّغات. فعزّز هذا استقلالها علمًا ضمن الدّراسات اللّسانية. ثمّ نشأت عن ذلك مدارس استفاد معظمها من الدّرس اللّساني الّذي أنشأه (سوسير) في بداية هذا القرن، نذكر منها: أسلوبية التّعبير، وأسلوبية الفرد أوالأسلوبية المثالية، والأسلوبية التّكوينية، والوظيفيّة والبنيويّة. وتفرّعت هذه المدارس إلى مذاهب تدرس الأسلوب صوتًا، وصرفًا، ونحوًا، وإحصاء"[2]، لتستفيد الأسلوبية بذلك من مناهج التّحليل اللساني ومستوياته، وكذا المعطيات النّقدية والبلاغيّة، ومبادئ تحليل الخطاب.

(1)-علم الأسلوب، صلاح فضل ، ص195.

(2)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص42.

الهدف من إيلاء الأهميّة لوضع التّصورات والتّعريفات والتّقديمات الخاصّة بعلم الأسلوب، هو "تحديد الاتّجاهات الرّئيسية في مجال الأسلوبيات، بما يتّصل بالمستوى العامّ من غير متابعةٍ تطبيقيّة، وبما يتّصل بالمستوى العامّ مع التّطبيق على النّماذج اللّغوية، وما يتّصل بالمستوى الفردي من خلال انتهاك اللّغة، أو تكراريّتها، أو من خلال الإحصاءات، أو من خلال المنبّهات الفنّية الوفيرة في الأداء الإبداعي"(1)، مع التّركيز على قضيّة انتهاك اللّغة، كون هذه القضيّة منشأ بقيّة الموضوعات، ورابطاً بين المستويات، وخاصيّةً رئيسيّة في كلّ عملٍ أدبي.

يراعى في التّحليل الأسلوبي كلّ ما له علاقة باللّغة والأدب، و"لا شكّ في أنّ كلّ مبدعٍ يصل إلى مرحلة النّضج – يستطيع أن يفهم، ثمّ ينتِج تركيباتٍ لا تنتهي، فاللّغة بِوُسعها أن تستعين بعددٍ محدودٍ من الوسائل لتنتج عددًا لا يتناهى من الاستعمالات، وهذه الاستعمالات هي التي تركّز عليها الأسلوبية في مظهرها الحسّي"(2)، بناءً على عنصر الاختيار، أو العامل النّفسي.

أمّا الهدف الأساسي من علم الأسلوب "هو البحث عن تلك العلاقات المتبادلة بين الدّوال والمدلولات، عبر التّحليل الدّقيق للصّلة بين جميع العناصر الدّالة وجميع العناصر المدلولة، بحثًا يتوخّى تكامُلَها النّهائي، ويقتصر عند الممارسة العمليّة على أهمّها وأخطرها"(3)، أي على عناصر قوّة النّص، والّتي يقاس مدى تأثيرها، نسبةً

(1)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص04.
(2)- المرجع نفسه، ص206.
(3)- علم الأسلوب، صلاح فضل، ص141.

إلى ردّ فعل المتلقّي، ومدى تقبّله لها، وإدراكه للمغزى العامّ منها. "وربما كان الأمر كما يقول بعض الباحثين، من أنّ الحكم والتّعرف على الأسلوب أمران جوهريان، بينما يعدّ التّحليل والإحصاء من قبيل الإجراءات الثّانوية. لكن من الضّروري إبراز أهمّية التّحقق من صحّة الفَرَض"[1]، وذلك حتّى لا يكون النّص أو العمل الإبداعي خاضعاً لعمليّة نقديّةٍ خارجةٍ عن الإطار الأسلوبي، تعود به إلى الأطر البلاغيّة، وتضطرّه إلى مطابقة القواعد اللّغوية.

لتحديد مجال علم الأسلوب، طرح شارل بالي، رؤيةً من زاويتين: الأولى: يضع فيها وقائع التّعبير اللّغوي. والثّانية: يضع فيها أثر هذه الوقائع على الحساسيّة. وهو حين ينظر إلى الوقائع اللّغوية لا يأخذ منها إلاّ تلك التّي تحتوي على مضامين وجدانية[2]، فالدّرس الأسلوبي بعد تخصّصه بالأعمال الأدبية، يركّز على نقاط القوّة والتّأثير التي تعطي تلك الأعمال قيمتها المعنويّة والفنية والجمالية. فـ"من المهم الإشارة إلى أن التّناول الأسلوبي إنما ينصبّ على اللّغة الأدبية، لأنّها تمثل التّنوع الفردي المتميّز في الأداء، بما فيه من وعيٍ واختيار، وبما فيه من انحرافٍ عن المستوى العاديّ المألوف"[3]، وذاك هو جوهر الأسلوب المُبدَع.

أمّا موضوع الدّرس الأسلوبي فحسب بالي، ثمّة أمران يشكّلانه ويحدّدانه: الأمر الأول: ويتكلّم فيه عن علاقة اللّغة بالتّفكير. والأمر الثّاني: ويضع فيه بالي

(1)- علم الأسلوب، صلاح فضل ، ص194.

(2)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص30.

(3)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص186.

الأسلوبيّة خارج دائرة الدّرس اللّساني للنّص الأدبي[1]، وهذا المحور الثّاني كان محلّ انتقادٍ، وتعديل من طرف من واصلوا مشوار شارل بالي في التّأسيس لعلم الأسلوب، بحيث تجنّبوا التّصادم بين الأسلوبية واللّسانيات، وحاولوا الاستفادة قدر الإمكان ممّا تتيحه علوم اللّغة من نظريّات ومناهج، بدل الفصل والقطيعة.

أمّا المحور الأساسي للدّرس الأسلوبي، والذي تدور حوله مواضيع الأسلوبية، وتُحدَّد مناهجها، فهو عند منذر عيّاشي 'النّص'، وليس النّص مدركًا معطى دفعةً واحدة، وبشكلٍ نهائي، إنّه مدركٌ بالممارسة، لأنّها إنجازه. وهو مستمرٌّ بها، لأنّها سفينُه إلى الدّوام قراءةً، وتفسيرًا، وتأويلاً. والأسلوبيّة في درسها له لا تُعنى به من حيث هو جوهرٌ ثابت، ولكنّها تعمل على توسيع فهمه، ولكي تبلغ غايتَها المرجوّة هذه، فإنّها تتعدّد به قراءةً وتفسيراً، وتأويلاً[2]، محيطةً به داخليًّا في مستوياته الصّوتي والتّركيبي والدّلالي، وخارجيًّا اعتماداً على خصوصيات العمليّة التواصليّة وعناصرها، بدءًا من المُؤَلِّف ووصولاً إلى المتلقّي.

ومن أكثر الاتجاهات الأسلوبيّة التي حظيت بدراساتٍ معمّقةٍ وكثيفة، والّتي كان لها تأثيرٌ على مسار التّحليل الأسلوبي منذ بداياته الأولى: أسلوبية التّعبير، وأسلوبية الفرد.

---

(1)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص31.

(2)- المرجع نفسه، ص41.

د. أسلوبية التّعبير وأسلوبيّة الفرد :

رائد أسلوبيّة التّعبير هو شارل بالي، وتدرس أسلوبية التّعبير علاقات الشّكل مع التّفكير وهذا يتناسب مع تعبير القدماء، وهي لا تخرج عن إطار اللّغة أو عن الحدث اللّساني المعتبَر لنفسه، وهي تنظر إلى البنى ووظائفها داخل النّظام اللغوي، وبهذا تُعتبر وصفيّة، كما أنّها تهتمّ بالأثر الدّلالي، ودراسة المعاني(1)، أي أنّها لا تخرج عن إطار الأثر، وتتناول بالتّحليل كلّ ما له علاقة به بدءًا باللّغة كأداةٍ تعبيرية؛ و"الدّرس في أسلوبية التّعبير يقوم على إبراز دور العلاقات الّتي تربط بين الشّكل اللغوي والتّعبير الوجداني المتضمَّن فيه، ولكنّها لا تتجاوز في الوقت نفسه حيّز اللّغة من حيثُ هي حدثٌ لساني لخطابٍ نفعي، يتجلّى في استعمال النّاس له في حياتهم الإيصالية اليوميّة وتتحدّد نظرتها إلى النّص في البحث عن البُنى اللّغوية ووظائفها داخل النّظام اللّغوي"(2)، ويُفهم من ذلك أنّ هذا التّحليل قائمٌ على الرّبط بين الظّاهرة الأسلوبية ومكمن الإبداع من جهة، وذهنيّة وفِكر ومقصديّة المُبدع من جهةٍ أخرى، دون التعدّي إلى عناصر أخرى.

لقد حوصل بالي طاقة الكلام في حمله عواطف المتكلّم وأحاسيسه، ثمّ عُمّم المصطلح بعد بالي فأصبح يشمل ظاهرة إبراز المتكلّم بعض أجزاء خطابه وهي ظاهرة تكثيف الدّوالّ خدمةٌ للمدلولات(3).

(1)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي ، ص42.

(2)- المرجع نفسه، ص43.

(3) - الأسلوبيّة والأسلوب، عبد السّلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، ص178.

أمّا أسلوبيّة الفرد فتعتبر من بين أبرز الاتّجاهات التي حدّدت معالم الدّرس الأسلوبي وموضوعه، و"هي في الواقع، نقدٌ للأسلوب، ودراسةٌ لعلاقات التّعبير مع الفرد أو المجتمع الّذي أنشأها واستعملها، وهي بذلك دراسةٌ تكوينيّة، وليست معياريّةً أو تقريريةً فقط، وهي تدرس الحدث اللّساني إزاء المتكلمين"(1)، وهي بذلك تُجمل عناصر العملية التّواصلية وكذا المحيط الذي نشأت فيه، في إطار الحدث الأسلوبي وتأثيراته.

3- مجالات الأسلوبية:

يمكن تحديد مجالات الأسلوبية وفق طبيعة المواضيع المعالجة، والمنهج التّحليلي المتّبع، وأهداف الدّراسة، كما يلي :

- **الأسلوبيّة النّظرية (Theoretical Stylistics EN) :**

هناك مجموعة من القواعد يعتمدها علم الأسلوب، ليست كتلك التي تعتمدها علوم أخرى مثل القواعد اللّغوية أو القواعد البلاغيّة أو المناهج النّقديّة، بل يمكن اعتبارها وسائل منهجيّة مساعِدة، وخطوات يسير عليها الدّارس والباحث عند تحليل نصٍ أدبيّ، وهذه الوسائل تجتمع تحت مسمّى الأسلوبية النّظرية، التي "تهدف إلى

(1)- الأسلوبيّة والأسلوب، عبد السّلام المسدّي، ، ص43.

إرساء القواعد النّظرية التي ينطلق منها النّاقد الأسلوبي في تحليل النّص"(1)، ليس كقوانين صارمة، وإنّما باعتبارها وسائل موجِّهة للعمليّة التّحليليّة.

- الأسلوبيّة التّطبيقية (Applied Stylistics) :

حتّى تكتمل ملامح البحث العلمي، لابدّ مع كلّ تنظيرٍ من تطبيق، والأسلوبية التّطبيقيّة "غايتها تعرية النّص الأدبي وإظهار خصائصه وسماته، من حيث إنه شكلٌ فنّي يبغي المُنشِئ عن طريقه التّأثير والإقناع، ومدخلها في التّطبيق هو لغةُ الأثر الأدبي"(2)، وتقوم الأسلوبية التّطبيقية على استخراج المؤشّرات الأسلوبيّة الدّالة، ذات القيمة التّأثيريّة والتي تشكّل ملامح أسلوب العمل الأدبيّ.

- الأسلوبية المقارنة (Comparative Stylistics) :

الأسلوبية المقارنة من بين أبرز مجالات الدّرس الأسلوبي، و"تُعتمد المقارنة أساسًا، ولا تتجاوز حدود لغةٍ واحدة، وهي تَدرس أساليب الكلام في مستوى معيّن من مستويات اللّغة الواحدة، لتبيّن خصائصها المميّزة عن طريق مقابلة بعضها بالبعض الآخر، لتقدير أدوارها المختلفة في بناء صور الجمال في النّصوص الأدبية. وتقتضي عمليّة المقارنة الأسلوبية حضور نصّين فأكثر"(3)، يتمّ من خلالهما استقراء

(1)- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د.فتح الله أحمد سليمان، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2008م، ص42.

(2)- المرجع نفسه، ص42.

(3)- المرجع نفسه، ص43.

قيمة العمل الأدبي، واستخراج خصوصيّاته وتوجّهاته، وكذا مدى تأثُّر المتلقّين به، وتقبّلهم له، وتفاعلهم معه.

تبلورت اتّجاهات علم الأسلوب وتحدّدت مجالاته، وتعدّدت مواضيعه، و"معظم الباحثين الآن يرون أنّ سرّ الأسلوب لا يكمن مطلقًا في عنصرٍ واحدٍ مسيطرٍ على ما عداه، بل العكس من ذلك يحتاج الوصف المتأنّي إلى أن يأخذ في اعتباره العلاقات القائمة بين مختلف الأجزاء. ويقارن بين مجموعة هذه العلاقات، مع الأخذ في الاعتبار أنّ أي عنصرٍ من النّص له دلالةٌ خاصّة قد تتغيّر في علاقته بنظام آخر. كما أنّ طبيعة العناصر اللّغوية التي يُفترض أنّها دالّة، هي الّتي تحدّد النّظام أو المظهر الّذي ينبغي وصفه"(1)، وعملية التّحليل الأسلوبي صحيحٌ أنّها تتناول عناصر النّص كلٌّ في مستوى، ولكن هذا لا يعني الفصل بين هذه المستويات، بل إنّ أساس التّحليل هو النّتيجة المتوصّل إليها من خلال الرّبط بين منتَجات كلّ مستوى، ولا يقتصر الحديث عن المستويات في هذا الموضع على اللّغويّة منها فقط، بل تشمل كلّ خطوات الدّراسة الأسلوبية، وطبيعة المباحث الّتي تتطرّق إليها.

4- إشكاليّة المنهج الإحصائي في التّحليل :

لطالما اعتُبِر المنهج الإحصائي، أداةً قيّمة لكشف أغوار النّصوص، ومختلجات النّفوس، وظهرت إشكالاتٌ عديدة حول هذا المنهج، الغرض منها تحديد مدى فاعليّة اعتماه في التّحليل، ومن بين الإشكالات الدّائرة حول المنهج الإحصائي،

(1)- علم الأسلوب، صلاح فضل، ص258.

الفكرة القائلة بأهمّية اعتماد "الأسلوب في نصّ ما على العلاقة القائمة بين معدّلات التّكرار للعناصر الصّوتية والنّحوية والمعجميّة، ومعدّلات تكرار نفس هذه العناصر في قاعدةٍ متّصلةٍ به من ناحية السّياق"(1)، والأثر الذي يمكن أن تخلّفه هذه التّكرارات في المتلقّين.

على سبيل التّوضيح، "قد يحدث أحيانًا أن يكون تحديد جملة من الأرقام المتعيّنة لا يبعد في تأثيره عن ملاحظات عادية كان من الممكن إدراكها بالنّظرة الأولى، أو أنّها بالغة البداهة لدرجة لا تحتاج معها إلى برهان، وكما قال (سبتسر) ببراءة حكيمة: (هل من الضروري أن نجمع مادّة عددية متصلة بمعدلات تكرار كلمة حب في الشعر؟ وهي معدلات لا تدهشنا إلا بمقدار ما ندهش لورود كلمة سيارة في مقال مصوَّر عن سباق السيارات..."(2). فالدّراسة الإحصائية لا تعدو أن تكون أداةً مساعدة في التّحليل الأسلوبي، إذ أنّ الهدف من التّحليل الأسلوبي يتعدّى الجانب الوصفي –كما في الدّراسات اللّسانية- إلى جانب آخر هو استنتاج الأغراض والدّلالات من الأصوات والمفردات والتّراكيب والنّصوص، والأعمال الإبداعية كلّيًا، ولا يقتصر على الإشارة إلى مكامن الإبداع في الأعمال الأدبية –وإن كان كثيرًا ما يجمع بين ما يمثّل عدولاً وما هو تعبيرٌ متداول ذو دلالةٍ واضحة-.

(1)- علم الأسلوب، صلاح فضل ، ص242.

(2)- المرجع نفسه، ص271.

الهدف من البحث الأسلوبي لا يتوقّف عند منهج معيّن، بل إنّ كلّ منهج يُعتبر وسيلةً يمكن أن تكون ذات فائدةٍ كبيرة، كما يمكن أن تكون ثانويّة في العمليّة التّحليلية، ويتوقّف ذلك على أهميّة النّتائج المتوصّل إليها من خلالها.

وعلى ذكر المنهج الإحصائي، يرى بعض المحلّلين أنّه "أشدّ غلظةً وأكثر بدائيّةً من أن يلتقط بعض الظّلال المرهفة للأسلوب، مثل الإيقاعات العاطفيّة والإيحاءات المستثارة والتّأثيرات الموسيقيّة الدّقيقة"[1]، كما أنّ "من نقط الضّعف الخطيرة في الدّراسة الإحصائية للأسلوب أنّها لا تقيم عادةً حسابًا لتأثير السّياق"[2]، لذلك وجب التّعويض عن هذه الفجوة، بفتح المجال لتعدّد مناهج التّحليل الأسلوبي، وترك أفق النّاقد أو المحلّل مفتوحاً، ومُركّزاً على استخراج الخصائص الأسلوبيّة للنّصوص، باستخدام مختلف الآليّات المتاحة.

ولكن "ومع كل هذه الاعتبارات فإنّه من الخطأ البيّن استبعاد المنظور الإحصائي من الدّراسة الأسلوبية"[3]، إذ أنّه يساعد على "تقويم العناصر الّتي تمارس تأثيرًا أسلوبيًا فعليًا لاشكّ فيه، على حساب العناصر الأخرى ذات الطّابع الثّانوي المترتّب على فقدانها لمثل هذا التّأثير"[4]، ولا تجد الأسلوبية صعوبةً في تحديد مجال تطبيق المنهج الإحصائي، كونها توخّت الحذر منذ نشأتها في قضيّة

(1)-علم الأسلوب، صلاح فضل، ص270.

(2)- المرجع نفسه، ص270.

(3)- المرجع نفسه، ص272.

(4)- المرجع نفسه، ص274.

الإقصاء، وحاولت قدر المستطاع الاستفادة من شتّى المعطيات والوسائل العلميّة المتوفّرة.

يعتمد علم الأسلوب مناهج تحليليّةً متعدّدة، ومن مميّزاته أنّه لا يتقيّد بها كلّيّةً، حيث يكون هناك دائماً مجالٌ لإظهار خصائص النّصوص المعالجة والظّواهر الأسلوبية المبدَعَة، التي لم يتمّ التطرّق إليها في خطوات المناهج التّحليلية.

5- مواضيع علم الأسلوب وأهداف التّحليل الأسلوبي:

يهدف الباحث الأسلوبي من خلال تحليله لعملٍ إبداعيّ ما، إلى استخراج السّمات الأسلوبيّة التي تعطي للنّص قيمته، ويتبع في سبيل ذلك خطواتٍ، ويعتمد آليّاتٍ يمكن تصنيفها وفق مستوياتٍ معيّنة، هي نفسها مستويات البحث والتّحليل اللّساني، ولكن مع تجاوز حدّ الجملة الذي تتوقّف عنده الدّراسة اللّسانية، إلى أقصى حدود النّص، وذلك لغرض إبراز الوجه المتكامل للأسلوب.

وكما هو متعارفٌ عليه في الأعمال الأكاديميّة، فإنّ أيّة نظريّة تنطلق من إشكاليّات محدّدة، وليست النّظريات المطروحة في الدّراسات الأسلوبية استثناءً، و"من المشكلات الأساسيّة الّتي يعترف بها عددٌ من الأسلوبيين، مشكلات التّمييز بين السّمات والأنساق الّتي لا نهاية لها في النّص، والّتي يمكن عزلها عن طريق التّحليل اللّغوي، وتلك السّمات هي السّمات الأسلوبية، أي أنّها سماتٌ تُعَيِّن فعلاً التّأثيرات الجماليّة وغير الجماليّة للنّص على القارئ"(1)، فهي تحيط بجميع جزئيات النّص

(1)- الأسلوبية والبيان العربي، محمد خفاجي وآخرون، ص21.

بدءًا من الصّوت المفرد الدّالّ، مروراً بالتّراكيب، وصولاً إلى المعنى العام ومقصديّة المُؤلِّف المحتواة في النّص، والجزئيات التي تتمّ دراستها لا تكون لها أهمّية في علم الأسلوب، إلاّ عند التّوصّل إلى أثرها في النّسق العام، وتأثيرها بالتّراكيب الّتي وردت فيها.

في سبيل تحقيق تحليل أكاديميّ علميّ مفيد، "يعتمد الأسلوبيون الذين يستهدفون الوصول إلى الدّقة العلمية على الطّرق الكمّية لحساب التّكرار النّسبي للسّمات الأسلوبية، وكثيراً ما يستخدمون الحسابات الإلكترونية لرسم جداول التّكرار للسّمات التي يقال عنها أنّها تصف أسلوبًا مميَّزًا، وهناك آخرون يستعملون بدلاً من ذلك المفاهيم اللّغوية. مثل التّمييز بين العلاقات اللّفظية والجُمليّة في اللّغة، أويستخدمون النّحو التحويلي Transformation Grammar، والتّمييز الّذي يحتويه بين البناء السّطحي Surface Structure والبناء العميق Deep Structure"[(1)]، كلّها طرائق تهدف إلى الوصول إلى الفكرة الخام التي تشكّلت في ذهن المُبدِع، ليستشفّها المتلقّي أو النّاقد من النّص في أرقى صورها؛ وأفضل الأساليب هي تلك الّتي يُبدعها صاحبها في إطارٍ لغويّ ونسقٍ دلاليٍّ خاصّ ومتكامل ومتفرِّد، يجعل المتلقّي يغوص فيها ويتفاعل معها لذاتها، دون ربطها بتصوّراتٍ مسبقة، أو مقابلتها بأساليب مشابِهة، أو انحرافٍ إلى معاني جانبيّة، ويعتمد ذلك على براعة المُؤلِّف في صوغ أفكاره في عباراتٍ وتراكيب ونصوص يحيل بعضها البعض إلى دلالاتها العميقة، دون فتح المجال لتدخّل عناصر أخرى في العمليّة

(1)- الأسلوبية والبيان العربي، محمد خفاجي وآخرون، ص21.

التواصليّة، لتنحصر في عالم المُبدِع والفكرة والمتلقّي، دون ضغوط خارجيّة، أوانتقاداتٍ موَجِّهة، وتلك هي الحرّية التي يتمتّع بها كلّ مبدِعٍ في اتّخاذ أسلوبه الخاصّ والفردي، ومنها اكتسب التّحليل الأسلوبي ميزة الشّمولية والتّحرّر من القيود المعياريّة.

يتيح مجال التّحليل الأسلوبي معالجة الخطابات الفكريّة والنّصوص الأدبيّة، كما يتمّ تناول أعمال كاملة كالّروايات والمؤلّفات الخاصّة بمُبدعين اشتهروا بأساليبهم المُؤثّرة، ذات المستوى الفنّي الرّاقي، و"الدّراسة الأسلوبية تقتضي أن يكون الكلام ذا مستوى فنّي معيّن"[(1)]؛ بعد هذا يتمّ فتح المجال واسعاً أمام المحلّل الأسلوبي للتّطرّق إلى ما يشاء من مستويات العمل المراد تحليله، وكذا الظّروف المحيطة به، وبكلّ العملية التّواصلية، مستعملاً الوسائل التي تتيحها له مناهج التّحليل اللّغوي، وحتّى النّقد الأدبي، لكن مع الأخذ بالاعتبار ميزة الأسلوبية الأساسية المتمثّلة في التّحرّر من قيود القواعد اللّسانية الصّارمة والقوالب النّقدية الجاهزة.

تتحرّى عملية التّحليل الأسلوبي "دراسة الخصائص اللّغوية الّتي بها يتحوّل الخطاب عن سياقه الإخباريّ إلى وظيفته ليؤثّر ويُقنِع في آنٍ واحد، مع ملاحظة أن التّأثير والإقناع يأتيان من ترابط الشّكل والمضمون في تلاحمٍ تامّ"[(2)]، فالهدف الأساسي هو الوصول إلى مؤثّرات النّص ونقاط القوّة فيه، سواءٌ كانت لفظيّةً أومعنويّة.

(1)- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، ص19.

(2)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص195.

وبالنّسبة للجانب المعنوي النّفسي، "تأتي الأسلوبية لتتبُّع ملامح الشّحن العاطفي في الخطاب بوجه العموم، من حيث استخدام اللّغة بشكلٍ متجدّد، يختلف إلى حدٍّ بعيد عن ذلك النّمط التركيبيّ الّذي نلمسه في الخطاب النّفعي العادي، فالأسلوبية تُعنى بالجانب العاطفي في الظّاهرة اللغوية –أو ما يسمّيه ج.كوهين J.Cohen (بالانتهاك) خروجاً على النّمط اللّغوي العقلاني الخالص- وتحاول قدر جهدها استكشاف الكثافة الشّعورية التي يتلوّن بها الخطاب"[1]، عن طريق محاولة إيجاد الرّوابط بين البنية اللّغوية والأثر النّاتج عنها. كما يؤخذ البعد النّفسي بعين الاعتبار في الاتّجاه البياني للتّحليل الأسلوبي للنّصّ القرآني[2].

أمّا عن علاقة الأسلوب باللّغة، فتتمّ الإشارة إلى أنّ "الأسلوبيّة موقفٌ من الخطاب ولغته، ويتجلّى هذا الموقف في عمل اللّغة نفسه. ذلك لأن اللّغة نشاطٌ، ولأن كلَّ نشاطٍ لغوي إنما هو رَهْنُ حاجته إلى إنفاذ قضاءين: قضاء نظامه القاعدي الذي به يقوم، وقضاء الوجود الإنساني الّذي به يتجلّى"[3]، وهذه الفكرة ما هي إلاّ انعكاسٌ لثنائيّة (اللّفظ/ والمعنى)، ويمكن العودة بأصولها إلى أولى قضايا فقه اللّغة وهي الغرض من اللّغة، والجانب النّفعي الّذي لا يمكن إنكاره فيها.

---

(1)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص205.

(2)- أساسيّات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، محمد مصطفوي، نركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص91.

(3)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص139.

وللتّأكيد على أنّ الدّراسة الأسلوبية تجمع بين الجانب اللّغوي والجانب الدّلالي بمجاله الواسع، الّذي يتجاوز كونَه مستوى تحليليًّا لسانيًّا إلى كونِه قيمةً أساسيّةً تسري في كلّ المستويات اللّغوية، وتحاول رأب الصّدع الّذي يفصل بين اللّفظ والمعنى؛ يقول منذر عياشي: "نحن لا نتكلّم أو نكتب بطريقةٍ واحدة، ولا نخاطب الأديب كما نخاطب العامل، ولا نخاطب الطّفل كما نخاطب أستاذ المدرسة. وهكذا نرى أن الاعتبارات اللّسانية لا تكفي –بمفردها- لتشكيل الظّواهر الأسلوبية، أو هي ليست وحدها الأساس في مكوّنات الخطاب، إذ لابدّ معها من الاعتبارات الاجتماعية، والثّقافية، والنّفسية. والأخذ بهذه جميعاً يؤدّي –بالضّرورة- إلى حدوث تغيّرات أسلوبيّة عند المرسل الواحد، كما قد يؤدّي إلى تغيّرات أسلوبية عنده في طريقة تعبيره عن الفكرة الواحدة"[1]، وهذا يحيل إلى ضرورة إيلاء الجانب غير اللغوي، وكذا العوامل المحيطة بالنّص أهمّيةً لا تقلّ عن اهتمامنا بالمستويات اللغوية.

لا يتعرّض الدّرس الأسلوبي إلى الحساسية التي أوجدتها العلوم الّتي سبقته بين دراسة اللغة ودراسة الأدب، و"الأسلوبية إذا كانت هي الدّرس العلمي للغة الخطاب، فإنّها أيضًا موقفٌ من الخطاب ولغته. ولعلّ هذا ما جعل الدّرس الأسلوبي متعدّد الجوانب والأبواب، ومتعدّد المذاهب والمدارس والنّظريات"[2]، الّتي تتكامل فيما بينها لتشكّل معالم الدّراسة الأسلوبية. يضاف إلى ذلك أنّ "الأسلوبية علمٌ يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنّها –أيضًا- علمٌ يدرس الخطاب موزّعًا على مبدأ

(1)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص37.

(2)- المرجع نفسه، ص70.

هويّة الأجناس. ولذا، كان موضوع هذا العلم متعدِّد المستويات، ومختلِفَ المشارب والاهتمامات، متنوّع الأهداف والاتّجاهات"(1)، ولعلّ فتح أفق التّحليل ليشمل النّصوص يعتبر أهمّ إضافة أسلوبيّة إلى العلوم اللّغوية.

6- تقاطعات الأسلوبية مع العلوم والفنون :

كانت علاقة الأسلوبية بالفنون الأدبيّة، والعلوم اللّغوية والنّقد والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، مُدَعَّمَةً منذ نشأتها، وتحتاج الأسلوبية إلى علاقاتها مع تلك العلوم لبناء مجالها العلمي والتّحليلي، كما أنّ تلك العلوم والفنون بدورها بحاجةٍ إلى علم الأسلوب في تحليل عديد القضايا والمواضيع، ومعالجة جوانب من أطروحاتها وإشكالاتها، نذكر على سبيل المثال "علم الأصوات، ودراسة الألفاظ، والنّحو المعياري، والنّحو التّاريخي، ودراسة اللّغات عامة –التي هي فرعٌ منها- بل يمكن أن نجد مدخلاً هنا –أيضا- لعلم النّفس وعلم الاجتماع، وعلم الجمال، والبلاغة المتجدّدة"(2)، وحتّى التّاريخ والعلوم السّياسية، وبدرجة أقلّ علوم الحاسب، والعلوم الرّياضيّة في الجانب الإحصائي.

ونظراً لطبيعة الدّراسة الأسلوبية لم يكن "على دارس الأسلوب أن يأخذ موقفاً معادياً من هذه العلوم المجاورة، بل عليه أن يأخذ منها ما يناسب مهامّه فيما يتعلّق

(1)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص27.

(2)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص217.

بدراسة الأساليب"(1)، كما أنّ النّظريات الأسلوبية نشأت في كنف هذه العلوم والفنون، فاستفادت، وأفادت.

أ. الأسلوبية وعلم اللغة :

علاقة الأسلوبية بعلم اللغة، ليست علاقة موضوعاتٍ فقط، بل هي علاقة أصولٍ ومناهج ومبادئ، ويُعَدُّ "علم اللّغة من أوائل العلوم النّظرية التي اقتربت في مناهجها ووسائلها من العلوم التجريبيّة، وأصبح من خلال ذلك (علمًا) يلجأ إلى المَعامل في دراسة الظّاهرة الصّوتية بمشاكلها المتعدّدة، ويلجأ إلى الإحصاء في رصد وتحديد حجم الظّواهر النّحوية المختلفة، ومازالت العلوم الإنسانيّة الأخرى تحاول أن تحذو حَذْوَ (علم اللّغة) في مناهجه، ولقد نشأت الأسلوبية في حضن الدّراسات اللغوية، وكان من الطّبيعي أن تترسّم خطاها من هذه الزاوية"(2)، على اعتبار أنّ علم الأسلوب نشأ مباشرةً بعد الثّورة التي عرفها علم اللّغة الحديث على يد دي سوسير، لذلك "ارتبطت نشأة الأسلوبية من النّاحية التّاريخية، ارتباطاً واضحاً بنشأة علوم اللّغة الحديثة، ذلك أن الأسلوبية بوضعها موضعاً أكاديمياً قد وُلدت في وقت ولادة اللّسانيات الحديثة، واستمرّت تستعمل بعض تقنيّاتها"(3)، كما استفادت كثيراً من مستوياتها التّحليلي، "فإذا مثّلت اللسانيات إلى حدّ الآن معينًا خصبًا في

---

(1)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص217، عن Cressot- le style et ses techniques. P.18.

(2)- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، ص19.

(3)- البلاغة والأسلوبية مقدّمات عامة، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر، عمّان، الأردن، ط1، 1999م، ص161.

تحديد ماهيّات الأسلوب بقواعدها العامَّة ومُمارساتها التجريبيّة فإنها قد كانت أيضًا منبع إشعاعٍ على التّفكير الأسلوبي بواسطة وليدٍ آخر لها، هو عريقُ النشأة، حديثُ التَّشكّل، ألا هو علم الدلالات"(1).

يمكن اعتبار الأسلوبيّة علمًا مستقلاًّ ضمن الدّراسات اللّسانية(2)، و"إذا عمدنا إلى مقارنة النّظامين اللّغوي والأسلوبي، فسنجد أن النّظام الأسلوبي يمتاز من النّظام اللّغوي بأنّه نظامٌ غير معياري. فهو يؤسّس اللّغة على خلاف القاعدة من جهة، ولا يعطي للنّسق الّذي يستحدثه ثباتًا قاعديًّا أو قوّةً معياريّة من جهة أخرى. وهو بهذا المعنى لا يقاسُ عليه، لأنّ القاعدة فيه تقوم على مخالفة القاعدة والانزياح عنها"(3)، حتّى أنّ الأسلوب القويّ هو الأسلوب الأكثر خروجاً عن المألوف، والّذي لا يمكن تقليده أو نسخه باتّباع قواعد معيّنة، وهذا هو العنصر الذي يميّز الأسلوبيّة عن اللّسانيات.

ويكمن جوهر الأسلوبيّة في كونها نظاماً يُعنى، ليس بالقواعد المنتجة للكلام، ولكن بالكلام من حيث هو منتِجٌ لنظامه. وهذا يعني هنا -أي في الأسلوبية-، نظامًا لاحقًا أو بَعديًّا(4)، وهو ليس بالضّرورة مُلْزِمًا أو قابلاً للتّكرار، فالإبداع الأسلوبي ليس محكوماً بأيّ حدود خارجيّة، ولا داخليّة، بل إنّ التّحليل الأسلوبي يتحرّى الانحراف حتّى عن نهج أو طبيعة الانحرافات المُكرَّرة في النّص الواحد أو في

(1) - الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السّلام المسدّي، ص94.

(2)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص41.

(3)- المرجع نفسه، ص94.

(4)- المرجع نفسه، ص100.

أسلوب المؤلِّف الواحد، أي انحراف المُبْدِع عن أسلوبه المعتاد، وهذا يعني أنّ النّص من وجهة نظر المحلّل الأسلوبي، هو مرجعيّة نفسه.

هذه الخصوصيّة التي يمتاز بها الدّرس الأسلوبي، لا تعني بالضّرورة البُعد الكلّي عن النّهج اللّساني، بل إنّ "الدّرس الأسلوبي يعتمد اعتمادًا كاملاً على لسانيّات الجُملة، لا في إنجاز الأسلوب وأدائه، ولكن في تحليله والكشف عن أسرار بيانه وتركيب خلقه"(1)، فاللّسانيات تساهم في إمداد الأسلوبية بطرائق التّحليل ومناهجه.

وتردّ الأسلوبيّة الجميل إلى علوم اللّغة، فاللّغة شرط الأسلوب في وجوده، والأسلوب شرط اللّغة في دخولها عالم النّص، فالأسلوب روح اللّغة، ولعلّ خير ما يقوم به المرء هو دراسة الأسلوب على ضوء نظريّةٍ أشمل هي نظريّة النّص ولسانيّاته(2)، فاللّسانيات بمجالها الواسع وإحاطتها بشتّى جوانب اللّغة، وتصنيفها لمباحثها وضبط مستوياتها تعتبر منبعاً تنظيريّاً، ومرجعيّة تقعيديّة، يعتمدها علم الأسلوب لاستخراج مكوّنات النّصوص، وكشف مكنوناتها، ليَسْهُل دور المحلّل الأسلوبي في أداء وظيفته وتشكيل المعالم الأسلوبيّة للنّصوص وإعطائها صبغتها الإبداعيّة، وتجلية الفكر المحتوَى في مؤشّراتها.

(1)-الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص105.

(2)- المرجع نفسه، ص105.

بعدما كانت اللّسانيات حاضنةً للأسلوبية في بداياتها، "تأتي مباحث اللُّغويات باعتبارها الرّكيزة الأساسية لمباحث الأسلوبيّة الحديثة، الّتي وُلدت على يد دي سوسير ثمّ نمّاها بالي، وتتابعت الدّراسات مُشَكِّكة أحياناً في إنجازات بالي أو موثِّقة لها، مما هيّأ لاكتمال جوانب البحث الأسلوبيّ على يد روّاده من أمثال (سبتزر وماروزو وألونسو)، أو على يد المدارس اللّغوية الّتي شاركت فيه، من أمثال الشّكليين الرّوس والمدرسة الفرنسيّة والألمانيّة"(1)، ليكون علم الأسلوب بمثابة حلقة الوصل بين مختلف ميادين الدّرس اللّغوي والفنون الأدبيّة.

وكي تكون الدّراسات تكامليّة، ولا يحدث تكرارٌ في البحث، وخلطٌ للوظائف والأهداف، "ظلّ علم اللّغة مُنْصَبًّا على دراسة ما يُقال، في حين انصبّت الأسلوبيّة على كيفيّة ما يُقال، بحيث تتحوّل الحقائق اللّغوية إلى قيم جماليّة في الأداء الإبداعي دون وقوع في شَرَك الفصل بين الشّكل والمضمون"(2)، لتكون الدّراسات بينهما متكاملةً وشاملة.

ولتوضيح العلاقة أكثر بين اللسانيات والأسلوبية، لابدّ من النّظر في موضوعاتهما، خاصّةً المشتركة منها؛ حيث أنّ "أفكار علم اللّغة الحديث تُستخدَم للكشف عن السّمات الأسلوبيّة أو الخصائص الأسلوبيّة أو (الخصائص الشّكلية) الّتي يقال إنّها تميّز عملاً معيّنًا، أو كاتبًا معيّنًا، أو موروثًا أدبيًّا، أو عصرًا معيّنًا، وهذه السّمات الأسلوبيّة قد تكون: صوتيّة: (الأنماط الصّوتية للكلام، أو الوزن أو القافية)

---

(1)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص3.

(2)- المرجع نفسه، ص4.

أو جُمليّة: (أنواع التّركيب الجُملي) أو معجميّة: (الكلمات المجرّدة ضدّ الكلمات المحسوسة، التّكرار النّسبي للأسماء والأفعال والصّفات)، أو بلاغيّة: (الاستعمال المتميّز للمجاز، والاستعارة، والصّور وما إليها)"(1)، وتأتي الدّراسة الأسلوبيّة لتستخرج العدولات الدّلاليّة موضعيّةً وسياقيّة، في كلّ هذا، وتربط بين المؤشّرات لتشكيل وإثبات صور أساليب الأعمال الادبيّة.

أمّا من النّاحية التطبيقيّة، فـ"تقوم الأهداف العامّة للبحث الأسلوبي على أساس نظريّة علم اللّغة التّطبيقي، ممّا يدعو إلى الاهتمام بالوسائل المنهجيّة المشترَكة بينهما، ويصبح على البحث الأسلوبي أن يُعنى في المقام الأوّل بتحديد موضوعه، والهدف الأخير الّذي ينشده، إذ يمكن تطبيق إجراءات التّحليل الأسلوبي بطرقٍ مختلفة، فيعالِج مثلاً نصًّا أدبيًّا مستقلاًّ، أو إنتاجَ مؤلِّفٍ بأكمله، أو يقوم بإجراء مقارناتٍ أسلوبيّة متعدّدة، أو يَدرس تَغيُّرَ الأسلوب من حالةٍ إلى أخرى وتطوُّرَه من الوجهة الزّمنية"(2)، فعلم اللّغة يُمِدّ الباحث بالنّظريات وآليّات التّحليل، ليقوم علم الأسلوب بتحديد اتّجاه الدّراسة، واختيار الإجراءات والطّرائق الّتي تَخْدُم التّحليل.

ومن أوجه التّكامل أيضاً، أنّه "بينما يُعنى علم اللّغة بوصف (الكود) أوالشّفرة، فإنّ علم الأسلوب يهتّم بالفوارق القائمة بين الأقوال المؤلَّفَة اعتمادًا على قواعد هذه الشّفرة، فتحليل الأسلوب يتضمّن أساسًا تحديد وتقويم الأبعاد المختلفة التي تتميّز بها

(1)- الأسلوبية والبيان العربي، محمد خفاجي وآخرون، ص11. عن م.هـ.برامز، المدارس النقدية الحديثة، تر د.عبد الله معتصم الدباغ في الثقافة الأجنبية، 1987/3، ص55.

(2)- علم الأسلوب، صلاح فضل، ص188.

تلك الرسائل"[1]، إذن، تُوفِّر آليات الدّرس اللّغوي وكذا استنتاجاته الوصفيّة مادّةً خصبة يعكف علم الأسلوب على انتقاء المؤشّرات المؤثّرة دلاليّاً وأسلوبياً منها.

ولا تخرج الدّراسات الأسلوبية عن مجال علم اللّغة بدرجةٍ كبيرة، بل إنّ الجزء الأكبر منها يمكن اعتماده في الدّرس اللّغوي، والعكس، أي أنّه يحتاج إلى الرّجوع إلى علم اللّغة، تنظيراً وتحليلاً، لتبقى "الأسلوبية رهينة القواعد الخاصة باللّغة المتعامَل بها، فالنّحو يحدّد لنا ما نستطيع، وما لا نستطيع قوله، من حيث قدرته على ضبط قوانين الكلام، في حين أن الأسلوبيّة تعطينا قدرة التّصرف عند استعمال اللّغة، فهناك تلازُمٌ بينهما"[2]، صحيحٌ أنّ مجال اللّغة محدودٌ بقوانين، ولكنّه مفتوحٌ على الإبداع، كما أنّه استنادًا إلى القواعد اللغوية ومدى التّحكّم فيها، والقدرة على توظيفها، وتجاوزها دون الوقوع في اللحن، تكتسب الأعمال الأدبيّة قيمتها.

اتّسع مجال الدّرس الأسلوبي، ومُدّت الجسور بين الأسلوبية والنّقد والأدب، بعدما كانت تقتصر على جانب من الدّرس اللّغوي. ولعلّ فتح ميدان الدّرس الأسلوبي على عدّة وجهاتٍ في البداية كان مقصوداً، حتّى لا تذوب الأسلوبية في مجال علمٍ أو فنٍّ تبحث فيه، أو تستمدّ مواضيعها منه، ولم يكن ذلك بالأمر الهيّن السّهل؛ ولتوضيح هذه القضيّة يقول بالي: "إذا كانت الدّراسة اللّغوية هي دراسة لنسق العلاقة بين الذّهن والكلام، فإن الأسلوبيّة لا تستطيع أن تكون كذلك، وذلك لأنّ ميدانها الخاصّ، إذا كانت هي هكذا، لن يتميّز عن الميدان العام للبحث اللّساني. وأيضًا، فإنّ إعطاء

(1)- علم الأسلوب، صلاح فضل ، ص 246.

(2)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص211.

تعريفٍ أكثر اتّساقًا سيجعل منها دراسةً وسطًا بين علم النّفس واللّسانيات بينما نحن نرى أن موضوع الأسلوبية يكمن في التّعبير المنطوق وليس في حدث التّفكير"(1)، ولم يتمّ الخروج عن هذا الأساس إلاّ في وقتٍ متأخّر لمّا استحكمت الدّراسة الأسلوبية وتأسّست كعلمٍ قائمٍ بذاته، يستطيع أن يوجِد علاقاتٍ ويفيد ويستفيد من بقيّة العلوم والفنون، دون التّعرّض لإمكانية اعتباره جزءًا من مجالاتٍ أخرى.

ومن النّاحية العلميّة، و"في وسط هذا الخضمّ من الدّراسات المتشعّبة: لغويّةً كانت أو أسلوبيّة نلحظ أنّ أسس هذه الدّراسات ربطت –في الغالب- بين التّنظير والتّقعيد العلمي، ممّا هيّأ لرؤيةٍ جديدة تفصل الأسلوبيّة عن علم اللّغة"(2)، أوبالأحرى يمكن استبدال مصطلح الفصل بمصطلح الولادة -حتّى لا يتمّ نكران الجميل أو توهّم القطيعة- إنّها ولادة علمٍ جديد هو علم الأسلوب.

ب. **الأسلوبية والبلاغة :**

علاقة الأسلوبية بالبلاغة، من أشدّ الروابط وأعرقها في اللّغة العربية وآدابها، "لقد عرف التّراث العربي الّظاهرة الأسلوبية، فدرسها ضمن الدّرس البلاغي. ولو تأمّل المتأمّل، لتأكّد له أنّ الدّرس البلاغي العربي إنّما كان درسًا أسلوبيًا على وجه الإجمال"(3)، مع وجود بعض الاختلافات المنهجيّة في الدّراسة.

---

(1)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص31.

(2)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص184.

(3)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص28/27.

و"تقيم البلاغة والأسلوبية، منذ زمن، علاقاتٍ وطيدةً: تتقلّص الأسلوبية أحيانًا حتّى لا تعدو أن تكون جزءًا من نموذج التّواصل البلاغي، وتنفصل أحياناً عن هذا النموذج وتتّسع حتّى لتكادُ تُمثّل البلاغة كلَّها باعتبارها (بلاغةً مختزَلة)"[(1)]، فالمواضيع والقضايا المعالجة، ومباحث التّحليل تكاد تكون نفسها. وممّا لا شكّ فيه أن كثيرًا من مباحث البلاغة قد اتّصل بشكلٍ مباشرٍ بالأسلوب وتركيبه في المعاني والبيان والبديع، حيث نجد في المعاني دراسةً وافية للمقام والحال مع ربطهما بالصّياغة الأدبيّة، كما نجد في البيان توافقاً مع دروس علم اللّغة في مباحث علم الدّلالة، وفي البديع تحرُّكاً على مستوياتٍ مختلفة صوتيّة ودلاليّة لها أهمّيتها في الصّياغة الأدبية[(2)] كما أنّ البلاغة العربيّة تقوم على أساس العلاقة بين المعنى والأسلوب، باختلافٍ يرجع إلى مهام كلّ فنٍّ من علومها الثّلاثة. وأنّها نشأت بسببٍ يّتصل بدراسة القرآن الكريم من حيث إعجازه[(3)]، لذلك تعتبر البلاغة على درجةٍ كبيرة من الدّقّة والموضوعيّة.

وحتّى قبل ظهور الأسلوبية، "ارتبط مصطلح الأسلوب فترةً طويلة بمصطلح البلاغة La Rhétorique حيث ساعد على تصنيف القواعد المعياريّة التي تحملها

---

(1)- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليت، تر د.محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1999م، ص19.

(2)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص6/5.

(3)- الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص111.

البلاغة إلى الفكر الأدبي والعالمي منذ عهد الحضارة الإغريقية وكتابات أرسطو"(1)، فكان همزة وصلٍ بين اللّغة والأدب.

وممّا يوطّد الصّلة بين الأسلوبية الحديثة والبلاغة العربيّة، أنّ "المباحث الأسلوبيّة الحديثة عُرف بعضٌ منها في التّراث البلاغي العربي تحت اسم (علم المعاني) وهو واحدٌ من فروع علوم البلاغة الثّلاثة: المعاني والبيان والبديع... فمسائل هذا العلم تفرّقت في كتب النّقد والأدب والإعجاز القرآني من فترةٍ مبكرة، منذ كتب الجاحظ وأبي عبيدة وقدامة وغيرهم، ولكنّ البحث النّاضج العميق في مسائل هذا الفرع، تمّ على يد عبد القاهر الجرجاني (المتوفى سنة 471) في كتابه (دلائل الإعجاز)"(2)، الذي يُعتبر مرجعيّةً لا غنى عنها للدّارس والمحلّل الأسلوبي.

ويُعتبر كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني "أوّل كتابٍ تنتظم فيه مسائل هذا العلم، لكن انتظام هذه المسائل لم يكن مرتبطًا بإطلاق مصطلح علم المعاني عليها كما قلنا، وإنّما يطلِق عبد القاهر على هذه المسائل حينًا مصطلح (البيان) أو مصطلح (النّظم) وأحيانًا يسمّيها الفصاحة والبلاغة"(3)، ومعظم المباحث التي جاءت في الكتاب تُعتمد لدراسة الأسلوب والوصول إلى الدّلالات المختلفة.

---

(1)- الأسلوبية والبيان العربي، محمد خفاجي وآخرون، ص12.

(2)- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، ص85.

(3)- المرجع نفسه، ص85.

ج. الأسلوبية والنّقد :

لم تربط الأسلوبية علاقاتٍ بينها وبين العلوم والفنون فحسب، بل ساهمت في الرّبط بينها أيضًا، فـ"الأسلوبية هي صلة اللّسانيات بالأدب ونقده. وبها تنتقل من دراسة الجملة (لغةً) إلى دراسة اللّغة نصاً، فخطاباً، فأجناساً"(1)، فلا تكون هناك قطيعةٌ بين مختلف العلوم والفنون الأدبية، ولا تعدٍّ على مواضيع بعضها البعض، بل دراساتٌ متكاملةٌ مترابطة، متناسقة الجوانب والأبعاد.

ومثلما هو عليه الأمر بالنّسبة للبلاغة، "يمكن أن نجد في حركة النّقد العربيّ القديم ما يقرّبه أو بمعنى آخر يصله بحركة الدّرس الأسلوبي. يتمثّل ذلك في عمليّة التّمازج بين النّقد والبلاغة والنّحو، حيث أصبحت بحوث النّحو بين المنهجيّة وسيلةً لتقويم الأسلوب ورَصد خواصّه، مثلما نجد في الحديث عن التعجّب والاستفهام – مثلاً- وخروجهما عن الغرض الأصلي إلى أغراض إضافية تمثِّل قيماً جماليّة تعبيرية في النّص الأدبي"(2)، و من مثل هذه المواضيع المشتركة بين النّحو والنّقد تشكّلت معالم مواضيع علم الأسلوب.

(1)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص27.

(2)- البلاغة والأسلوبية، محمّد عبد المطّلب، ص171.

ولا زالت الدّراسات الأسلوبية تحتلّ "مكانة متميزة في الدّراسات النّقدية المعاصرة، ويقوم كثيرٌ من هذه الدّراسات على تحليل الأعمال الأدبيّة واكتشاف قيمتها الجماليّة والفنّية انطلاقاً من شكلها اللّغوي"(1)، ووصولاً إلى جوهرها الدّلالي.

وتهدف النّظرة الأسلوبية الحديثة إلى مزج المقاييس اللّغوية بالأصول النّقدية، استنادًا إلى أنّ عمليّة الإبلاغ إخباريّةٌ بالدّرجة الأولى، ثمّ تتلوها عمليّة الإثارة الّتي تكمن في جماليّات العمل الأدبي(2)، بجميع عناصره، رمياً إلى تحقيق أسلوبيّة التّلقّي، الّتي تعتبر من أحدث التّوجهات الأسلوبيّة.

"لقد استقرّت اليوم نظريّة الأسلوب، أو مباحث الأسلوبيّة كمُعطى جديد للدّراسة النّقدية، تُقدّمه الممارسات العمليّة والتّطبيقية، وتُعمّقه أصالة البحث التّنظيري"(3)، خاصّةً وأنّ طبيعة الأسلوب لا تختلف عن طبيعة النّقد من حيث الجمع في مواضيع الدّراسة اللغويّة والأدبية.

د. الأسلوبية والدّلالة :

هناك من يعتبر الدّلالة مستوىً تحليليًّا قائمًا بذاته، وهناك من يعتبرها جوهرًا مترسّخاً في كلّ المستويات، أمّا عن علاقة الأسلوبية بالدّلالة كعلم "فإن الأسلوبيّة تتّجه إلى الألفاظ باعتبارها ممثِلةً لجوهر المعنى، فاختيار المبدع لألفاظه يتمّ في ضوء إدراكه لطبيعة اللّفظة، وتأثير ذلك على الفكرة، كما يتمّ في ضوء تجاورِ ألفاظٍ

(1)- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، ص13.
(2)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص195.
(3)- المرجع نفسه، ص170.

بعينها تستدعيها هذه المجاورة، أو تستدعيها طبيعة الفكرة"(1)، ثمّ ينتقل التّحليل الأسلوبي من مستوى الجملة ودلالتها، إلى السّياق الذي أُنتجت فيه، ومدى تأثيره في دلالتها، ثمّ يتمّ ربط الدّلالات السّياقية، لإنتاج المعنى العامّ للنّص أو العمل الإبداعي ككلّ.

ولا يتوقّف عمل الأسلوبيّة في المستوى الدّلالي عند هذا الحدّ، فبالإضافة إلى الاستفادة من الأصول الدّلالية التي صدر عنها البيانيون العرب القدماء في ضبط آلية تشكل المعنى في بنية الفكر العربي، والتي تعتبر بمثابة القواعد الكلية التي ترتد إليها مختلف الجزئيات الداخلة فيها والمبنية عليها(2)، نجد الأسلوبيّة تدرس أيضاً الظّروف الّتي من الممكن أن تُحدث تغيّراً في الدّلالات، سواء تلك المتعلّقة بظروف عمليّة التّأليف، أو ظروف المؤلِّف بحدّ ذاته، وحتّى بظروف المتلقّين. وبذلك يمكن تحديد الدّلالة الحقيقية والفكرة المنبع الّتي صيغ منها العمل الإبداعي، فيكون لزاماً أن تنتهي كلّ جزئيّةٍ من التّحليل الأسلوبي بنتيجةٍ دلاليّة هي الهدف من الدّراسة الأسلوبيّة.

ه. الأسلوبيّة والتّواصل :

المقصود بالتّواصل هنا هو "العمليّة التواصليّة"، ولإدراك العلاقة بين الأسلوبية والتّواصل، لابأس من الانتباه إلى أن الأسلوب ليس "معطًى بديهيّاً ولا

(1)- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب ، ص207.

(2)- البنى التصورية واللسانيات المعرفيّة في القرآن الكريم، بوشعيب راغين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ/2011م، ص57.

جوهرًا ثابتًا، ولا حقيقةً تمّ إعدادها في اللّغة بشكلٍ مسبق، وهو ليس بسيطاً أيضاً. إنّه ـكما يرى (غرانجير)- عمليّةٌ معقّدة، الجهد فيها مطلوبٌ لِما يورِثه من متعة. وهذه العمليّة ليست وقفاً على المبدع، ولا حكراً على القارئ. إنّها إنتاجٌ مشترك في زمنين متتاليين، يتعاقب فيهما مبدعٌ خلاّق، وقارئٌ سَمَا به نظره إلى أفقٍ علويّ من الوعي والمعرفة، وإنّ أهمّ ما يُفصح عنه مفهوم المشاركة هذا، هو أنّه يكشف عن قدرة الإبداع عند المؤلّف، وذلك باجتهاد قارئٍ ناقدٍ ومتأمّل"(1)، فيتحقّق التّواصل ويتحقّق معه هدفه، دون إقصاءٍ يؤدّي إلى تشويه أو انحراف في المحتوى الفكري للرّسالة، ولا إجحافٍ في حقّ المتلقّي إذ يعتبر أيضاً عنصراً فاعلاً في العمليّة الإبداعية، كونه منتجاً ثانياً للمعنى.

رغم تعمّد عدم الإفصاح عن الحدود المقصودة الّتي هدفت الأسلوبيّة إلى تجاوزها، والخروج عن بعض أنظمة العلوم اللّغوية، إلاّ أنّه بات وضاحاً من خلال المسار التّنظيري وكذا التّطبيقي للدّرس الأسلوبي أنّ تلك الحدود متعلّقةٌ بعنصرَي العمليّة التّواصليّة: المُرْسِل، والمتلقّي، بعدما لاحظت الأسلوبية وجود حساسيّة عند التطرّق إليهما في النّقد وفي العلوم اللّغوية بصفةٍ عامّة، ممّا أدّى إلى قصورٍ في العمليّة التّحليلة، وثغراتٍ في استنتاجاتها، ووجد النُّقّاد والمحلّلون الأسلوبيّون، بحكم تعاملهم مع العلوم الإجتماعية والإنسانيّة، أنّ الحلّ الأنجع الّذي يحتاجون إليه في سدّ تلك الفجوات هو الإحاطة بالمؤثّرات الخارجيّة للنّص -بعدما كان الأمر قائماً على الإطاحة بها في فترةٍ سابقة- وذلك بإشراك محيط إنتاجه، وظروف العمليّة التّواصليّة

(1)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص71.

بكلّ جزئيّاتها، وتمّ اعتماد ركيزتين أساسيّتين طالما كانتا محلّ خلاف بين المحلّلين والمدارس اللّغوية والأدبيّة، في قضيّة إشراكهما من عدمه في العمليّة التّحليليّة، وهما (المؤلِّف) و(المتلقّي).

بعد نجاح الأسلوبية مرّةً أخرى في إشراك كلّ عناصر العمليّة التواصليّة في العمليّة التّحليليّة أصبح "يُفترض في نظريّة علم الأسلوب الآن أن تشمل النّص بكلّ ظواهره المميّزة وعمليّات الإنتاج والتّلقي معاً، وأن تعتمد على مبادئ لغويّة وأخرى غير لغويّة"(1)، حتّى تكون هناك إضافةٌ حقيقيّة ذات نتيجة أكثر فائدةً ومصداقيّة، إلى مناهج التّحليل اللّغوية والأدبيّة والنّقديّة.

عند اعتماد هذا النّهج في التّنظير والتّحليل، يظهر أنّ الأمر لم يكن بذلك التّعقيد، وأنّ تلك الهالة الّتي كانت تحيط بالنّص لم تكن إلاّ حاجزاً يحول دون الحقيقة الكاملة، صحيحٌ أنّه لا زال "يتم تصوّر الأسلوب كنتيجةٍ لاختيار المؤلِّف من بين مجموعة إمكانات النّظام اللّغوي، ونتيجةً لما يتمّ من إعادة تكوينه من جانب القارئ المتلقّي للنّص، أما التّأثيرات الأسلوبية فتصبح عبارةً عن التّبادل الجدلي بين الآثار المشفَّرة في النّص باختيار المؤلِّف، وردود الفعل النّاجمة عن القراءة عند المتلقّي، أي أنّ الأسلوب يتجلّى عندئذٍ في النّصوص خلال عمليّة التّوصيل الأدبي، فلا يصبح خاصّية ساكنةً ثابتةً في النّص، بل خاصّيةً ممكنَة متحرّكةً ينبغي إعادة بنائها في عمليّة التّلقي"(2)، لتظهر حقيقة أنّ النّص أو الرّسالة هي وسيلةٌ لتحقيق التّواصل،

(1)- علم الأسلوب، صلاح فضل، ص202.

(2)- المرجع نفسه، ص202.

ولنقل الفكرة من ذهن مُبدعٍ مرسِل إلى مُبدِعٍ متلقّي، لا يتحقّق الهدف من التّواصل إلاّ بصدور ردّ فعلٍ منه، كما أنّه يمثّل المرحلة الأهمّ في العمليّة؛ ويظهر بذلك أنّ من ينادي بحصر الإبداع والتّحليل في النّص وما يحتويه بداخله، إنّما يرمي بقصدٍ أوعن غير قصد إلى إلغاء الهدف من العمليّة التّواصليّة بحدّ ذاتها، وتسليط الضّوء على جزءٍ مجرّدٍ منها هو النّص، وإلغاء الجزء الّذي من المفروض أن يكون المعني الأوّل والأخير، والمُقرِّر لمسار الفِكر والمستعمِل له، وليس مجرّد عاملٍ ثانويٍّ فيه، إنّه المتلقّي، الذي يشكّل جوهر التّوجّهات الجديدة في علم الأسلوب.

أنتجت الظّروف المحيطة بالعمليّة الإبداعية والتواصليّة، حتميّة أنّه "لابدّ للأسلوبية إذن أن تتحوّل إلى دراسة النّص، واعتباره الوحدة التّركيبية والدّلالية الأساس الّتي تنتظم بها وحداتٌ أصغر إن على مستوى اللّفظ وإن على مستوى الجملة. وهي حين تتحوّل إلى دراسة النّص، تستطيع أن تستفيد بشكلٍ أعمق من كلّ منجَزات الدّراسات العلمية في مختلف ميادين العلوم الإنسانية: اللّسانيات، وعلم الاجتماع، وعلم النّفس، والفلسفة، والأنثروبولوجيا، والإثنولوجيا، والتّاريخ، وعلوم أخرى تشهد دقّة مناهجها بقيمة تطوّرها، ومدى صلاحيّتها في إغناء الدّرس الأسلوبي"(1). ومن هذا المنطلق جعلت الأسلوبية من النّص مختبراً للتّحليل، لا يتمّ إقصاء أيٍّ من معطياته وجزئيّاته.

(1)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص70/69.

كما أنّ "الدّرس الأسلوبي في توجّهه نحو النّص واهتمامه به، لن يتوقف قطعًا عند حدود هذه العلوم، فللنّص خصائص ذاتيّة، وأخرى عامّة. وهذه تُنتج في كلا الحالتين، طرق دراسته، كما تستدعي مفاهيم أخرى تعين في تشريحه وتحليله: كالشّعرية والأدبية مثلاً، وبعض مفاهيم علم الجمال وجماليات اللّغة، وعلم الدّلالة، وعلم الإشارة (السّيميولوجيا)"[1]، فيكون علم الأسلوب بذلك قد حقّق التّواصل بينه وبين بقيّة العلوم والفنون مستفيداً من مسارها التّصحيحي، ومتغلّباً على القطيعة التي كانت تعاني منها، محافظًا في الآن نفسه على خصوصيّته وميزاته الأساسية كعلمٍ قائمٍ بذاته.

(1)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي ، ص70.

البــاب الأول:

أسلوبيــة العــدول والنص القرآني

بعد بلوغ التّحليل الأسلوبي درجةً متقدّمة من التّنظير والتّقعيد، يستطيع من خلالها معالجة النّصوص جزئيّاتها وكلّياتها، أصبح لزاماً وضع محورٍ رئيسيٍّ واضح تُبنى عليه الدّراسة، كما توجّبت إعادة صياغة تعريف الأسلوب وفق هذا التّطوّر الحاصل. وصار الأسلوب يعرَّف "بالنّظر إلى النّص على أنّه نوعٌ من الخطاب الأدبي المغاير للخطاب العادي... وقد يكسر القواعد اللّغوية الموضوعة أو يخرج عن النّمط المألوف للّغة، أو يبتكر صيغاً وأساليبَ جديدة، أو يستبدل تعبيراتٍ جديدةً ليست شائعة بأخرى قديمة، أو يقيم نوعاً من التّرابط بين لفظين أو أكثر، أو يستخدم لفظاً في غير ما وُضع له"(1)، إنّه الأسلوب العدولي، الّذي يخرج إلى دراسة المؤشّرات الأسلوبيّة ذات الأثر العميق في الأعمال الإبداعيّة.

هذا العامل الجديد المتمثّل في العدول، يستفيد من الدّراسات التّأسيسيّة لعلم الأسلوب، والّتي أعطت الدّرس الأسلوبي تلك القدرة على التّجدّد والسّلاسة في الانتقال من مرحلةٍ تحليليّةٍ إلى أخرى بدون حواجز، لتكون كلُّ دراسةٍ أسلوبيّة مختلفةً عن مثيلاتها من الدّراسات، كونها تتبع كلّ نصٍّ بصفةٍ موازية، بدل إخضاعه لخطوات مُحدّدة مُسبقاً، ليتمّ في كلّ دراسة اكتشاف ملامح مختلفة، كما يتّم أيضاً اكتشاف خواصّ العلاقات المتبادلة بين مجموعة من الملامح الّتي لم تتمّ ملاحَظتها من قبل، ممّا يثير ردود فعلٍ جديدة أو يُعدِّل من ردود فعلنا تجاه النّصوص، وبهذا

---

(1) - الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم –دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، د.عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م، ص142.

تصبح استجاباتنا مفتوحةً أمام إمكانيّة التّطور[1] والتّحديث المستمرّ، وهذا ما يضمن الوصول إلى أقصى درجات الفهم للنّصوص، وإدراك مكامن الإبداع فيها.

لقد استطاعت الأسلوبيّة أن تُحافظ على الوتيرة الّتي امتازت بها منذ نشأتها، واستطاعت أن تُجاري التّطوّرات الحاصلة على الجبهات الّتي انفتحت عليها، وينحسر وجه الدّهشة حول قدرة هذا العلم على إثبات نظريّاته وتوجّهاته رغم عدم الجزم النّهائي بها، ورغم التّجديد المستمرّ لها، إذا علمنا أنّ لكلّ تغيّرٍ ولكلّ طرحٍ جديد جذورًا راسخة، تكمن في وعي البلاغيّين –باعتبارهم المأصِّلين لهذا العلم- بأنّ هناك مستوى منحرفاً عن المستوى العادي للّغة، وإدراكهم أنّ المستوى الفنّي لا يتحقّق إلاّ بتجاوز المألوف، ولذا كان البحث عن الغايات الجماليّة الّتي يهدف إليها المُنشئ من إيراد البيت الشّعّري أو العبارة النّثرية على تلك الصّورة غير المألوفة هدف كلِّ محلّلٍ أسلوبي[2].

المستوى التّحليلي الّذي وصلت إليه الأسلوبيّة، لا يعني بأيّ شكل تناسي أنّنا "محصورون بين ضرورة أن يفهمنا من نوجّه إليهم الكلام، والطّابع العامّ الذي يمكن أن ننسّق عليه هذا الكلام، مع ما فيه من انحناءٍ وانحراف عن النّمط المألوف"[3]، أو بمعنى آخر يمكن استبدال معنى الحصر هنا بمعنى الهدف من العمل الإبداعي الأوّل الذي يمثّله النّص الخاضع للتّحليل، والعمل الإبداعي الّذي يليه، والمتمثّل في الدّراسة التّحليليّة بحدّ ذاتها، إذ إنّ الهدف واحد، وهو إيصال الفكرة والحقيقة كاملةً إلى المتلقّي.

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص194.
(2) - الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د.فتح الله أحمد سليمان، ص27.
(3) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص215.

الفصل الأول: أسلوبية العدول

- تحديد لغوي واصطلاحي
- العدول عند البلاغيين الأوائل
- أسلوبية العدول
- أصناف العدول
- مستويات التحليل الأسلوبي
- عناصر التحليل الأسلوبي

1- تحديد لغوي واصطلاحي :

للعدول مصطلحاتٌ عديدة كان يُعرف بها في مؤلّفات اللّغويين والبلاغيين والنّقاد الأوائل وكذا المحدثين، منها: "النّقل، والانتقال، والتّحريف، والانحراف، والرّجوع، والالتفات، والعدول، والصّرف، والانصراف، والتّلون، ومخالفة مقتضى الظّاهر، وشجاعة العربية، والحمل على المعنى، والتّرك، ونقض العادة، وغير ذلك"(1). وربما يرجع هذا التّنوع والتّعدد في المصطلحات إلى طبيعة الدّراسات الأسلوبية المتعلّقة بالعدول، حيث أنّها غير مقيّدةٍ بقواعد نهائيّة تفرض اعتماد مصطلحات محدّدة. كما أنّ الاختلاف في المصطلحات لا يعني بالضّرورة اختلافاً في المفاهيم، إذ نجد المفهوم ذاته يُعبَّر عنه بأكثر من مصطلح.

جاء في لسان العرب من مادّة (ع د ل): "عَدَلَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْدِلُ عَدْلاً وَعُدُولاً: حادَ، وَعَنِ الطَّرِيقِ: جارَ، وَعَدَلَ إِلَيْهِ عُدُولاً: رَجَعَ. وَمالَهُ مَعْدِلٌ وَلا مَعْدُولٌ، أَيْ مَصْرِفٌ. وَعَدَلَ الطَّرِيقُ: مالَ... وَقَوْلُ أَبِي خِراشٍ:

عَلَى أَنَّنِي إذا ذَكَرْتُ فِرَاقَهُمْ * تَضِيقُ عَلَيَّ الأَرْضُ ذاتُ المَعادِلِ**

أرادَ: ذات السَّعَةِ يُعْدَلُ فِيها يَمِيناً وشِمالاً مِنْ سَعَتِها. وَالعَدْلُ: أَنْ تَعْدِلَ الشَّيْءَ عَنْ وَجْهِهِ، تَقُولُ: عَدَلْتُ فُلاناً عَنْ طَرِيقِهِ"(2).

(1) - الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي، ص141.

(2) - لسان العرب، ابن منظور، مادة (ع د ل).

وعن تصوّر العدول "تكاد جلّ التّيارات التي تعتمد الخطاب أسّا تعريفيًّا للأسلوب تنصبّ في مقياسٍ تنظيريٍّ هو بمثابة العامل المشترك الموحِّد بينها، ويتمثّل في مفهوم الانزياح (L'écart) ولئن استقام له أن يكون عنصرًا قارًّا في التفكير الأسلوبيّ فلأنّه يستمدّ دلالته –لا من الخطاب الأصغر كالنّصّ والرّسالة- وإنما يستمدّ تصوّره من علاقة هذا الخطاب الأصغر بالخطاب الأكبر وهو اللغة التي فيها يُسبك"[1]. والعدول كما يشير إليه المسدّي تمّ التّطرّق إليه من قِبل كبار الأسلوبيّين الغربيّين، فهو (الانزياح L'écart والتّجاوز L'abus عند فاليري Valéry)، وهو (الانحراف La déviation عند سبيتزر Spitzer) وهو (الإطاحة La subversion عند بايتار Peytard) وهو (المخالفة L'infraction عند تيري Thiry) وهو (الانتهاك Le viol عند كوهان Cohen) وهو (خرق السنن La violation des normes عند تودوروف Todorov)[2].

ولتحديد مفهوم العدول لابدّ من التّأصيل له في دراسات البلاغيّين الأوائل، فقد عرفوه ووظّفوه في درساتهم وتحليلاتهم، ليس في بابٍ خاصٍّ به، ولكن أكثر وروده كان تحت باب "الالتفات".

يعرّف الزّركشي الالتفات بقوله: "هو نقل الكلام من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر تطريةً واستدراراً للسّامع، وتجديداً لنشاطه، وصيانةً لخاطره من الملال والضّجر، بدوام

(1) - الأسلوبية والأسلوب، عبد السّلام المسدّي، ص98/97.
(2) – المرجع نفسه، ص101/100.

الأسلوب الواحد على سمعه... واعلم أن للتكلّم والخطاب والغيبة مقامات، والمشهور أنّ الالتفات هو الانتقال من أحدِها إلى الآخر بعد التّعبير بالأوّل. وقال السّكاكي: إمّا ذلك، وإمّا التّعبير بأحدهما فيما حقّه التّعبير بغيره"[1]. والّذي يُفهم من هذا التّعريف أنّ الالتفات -باعتباره عدولاً- يكون لأسباب، منها تنويع الأساليب توخّياً للبلاغة وجلباً للسّامع، كما من تلك الأسباب القصد إلى الاختيار من بين الأساليب لما هو أوقع في الفؤاد، وأقرب إلى الإفهام.

2-العدول عند البلاغيين الأوائل :

سمّاه الرضيّ: العَدْلَ، وعرّفه بأنّه إخراج الاسم عن صيغته الأصلية وأنّه الصَّرف، يقال اسمٌ معدول أي مصروفٌ عن بنيته، والعدول: الانصراف والخروج، والعدل المحقّق: ما يتحقّق حاله بدليلٍ يدلّ عليه غير كون الاسم غير منصرف، بحيث لو وجدناه منصرفًا لكان هناك طريقٌ إلى معرفة كونه معدولاً[2]، ونلاحظ من هذا المقتطف من شرح الشافية أن الرّضي أشار إلى حاجة العدول إلى دليلٍ، حتّى يتحقّق الغرض منه.

وعرّف ابن جني العَدْل في كتابه (الخصائص) قال: "إن العَدْل ضربٌ من التّصرف، وفيه إخراجٌ للأصل عن بابه إلى الفرع؛ وما كانت هذه حاله أقنع منه البعض

(1) - البرهان، الزركشي، ج03، ص.362-361./ وينظر: الإتقان، السيوطي، ص648-649.

(2) - ينظر: شرح الرّضِيّ على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط2، 1996م، ص113/114.

ولم يجب أن يشيع في الكلّ"[1]، كما استعمل المصطلح في بابٍ خصّصه للعدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضربٍ من الاستخفاف[2]، وخصّص باباً آخر للعدول تحت عنوان: "شجاعة العربية"[3]، وكلّها مصطلحاتٌ تحمل نفس مفهوم العدول الأسلوبي.

3- أسلوبيّة العدول :

من بين المصطلحات الدّالة على مفهوم العدول، يشيع في الدّراسات الحديثة مصطلح "الانزياح"، الّذي يُستعمل بنفس وتيرة مصطلح "العدول"، وتشغل أسلوبيّة الانزياح حيّزاً واسعاً من مجال الدّرس الأسلوبي.

ويقوم مبدأ أسلوبيّة الانزياح على فكرة أنّنا "إذا سلّمنا بأنّ الإفادة هي المطلب الأول لاستعمال اللّغة في أغراض الاتّصال أدركنا أنّ أمن اللّبس هو أغلى ما تحرص عليه اللّغة، وفهِمْنَا لماذا جاءت عبارة ابن مالك حين يقول: (وَإِنْ بِشَكْلٍ خِيفَ لبْسٌ يُجْتَنَب)"[4]، فالغرض من العدول والانزياح من أسلوبٍ إلى آخر هو تحقيق الفهم الصّحيح، وتجنّب التباس المعاني على المتلقّي، حتّى لو تطلّب الأمر مخالفة القواعد اللّغوية، حيث أنّ "الإفادة تغفر لمخالفة القاعدة بشروط، منها:

- أن تكون مرهونةً بمحلّها فلا يُقَاس عليها.

---

(1) - الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تح د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2003م، ج01، ص103.

(2) - المصدر نفسه، ج02، ص262.

(3) - المصدر نفسه، ج02، ص140.

(4) - البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1413هـ/ 1993م، ص346.

- أن تكون من الفصيح لا ممّن جاء بعد عصر الفصاحة.

- أن يؤمَن معها اللّبس"[1].

والشّرط الأوّل يضمّنه تفرُّد الأسلوب، حيث لا يمكن أن يُستَعار، وإلاّ فإنّه يُحال على الشّرط الثّاني، حيث أنّه ليس كلّ انحراف عن اللّغة إبداعاً؛ ويمكن التّفريق بين الإبداع الذي يخرج عن القاعدة والخروج عنها لأسباب أخرى، بأنّ الأوّل يُحقِّق درجةً أعلى من التّوصيل، كما أنّ له براهين على أهمّية الانحراف فيه، تنكشف بمجرّد تحقّق نتيجتها، ومثال ذلك قضيّة التّقديم والتّأخير، حيث أنّ هناك حالات يُسمح فيها بتقديم ما الأصل فيه التّأخّر أو العكس، ومثل هذا التّرخيص هو في سبيل تحقيق الهدف من التّواصل وهو الإفادة، بينما يمكن أن يوضع غير ذلك في خانة اللّحن، أو التَّكَلُّف.

لا تعني حرّية مخالفة القاعدة التي تندرج في إطار العدول الأسلوبي، إلغاء القواعد اللّغوية كلّياً، فـ"الأصل في الاستعمال استصحاب الأصل، سواءٌ من حيث المبنى أو من حيث المعنى، ولكن العرب درجت على تصحيح حالاتٍ معيّنة من العدول عن الأصل، وأعطتها من الاعتداد بها ما رقى بها إلى مستوى الصّواب المعتمِد على قاعدة. ويلاحَظ ذلك أساساً بالنّسبة للعدول عن القرائن اللّفظية. والفرق بين الرّخصة وهذا الأسلوب العدولي، أن الرّخصة يُعتَذَر عنها ولا يعتذر عن الأسلوب العدولي"[2]، إذ أنّه في الغالب يكون على درجةٍ أعلى من حيث الفصاحة والبلاغة مقارنةً بالتّعبيرات العادية.

(1) - البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص347.

(2) - المرجع نفسه، ص10.

ويعقّب تمّام حسّان على شروط مخالفة القاعدة، يقول: "إذا كانت الرّخصة من حيث المبدأ عدولاً عن أصلٍ أو قاعدةٍ مرتبطاً بهذه القيود الّتي قدّمنا فإنّ ثمّة عدولاً آخر لا قيد عليه إلاّ أمن اللّبس أو بعبارةٍ أخرى لا قيد عليه إلاّ الإفادة... أمّا ما عدا ذلك فإنّ هذا العدول يُقاس عليه ويُقبل من الفصيح وغيره"(1) وهو ما يطلِق عليه تمّام حسّان مصطلح "الأسلوب العدولي"(2) مخصِّصاً له باباً من كتابه (البيان في روائع القرآن).

الأسلوب العدولي هو "خروجٌ عن أصلٍ أو مخالفةٌ لقاعدة، ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتَسبا في الاستعمال الأسلوبي قدراً من الاطّراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول الّتي يُقَاس عليها... وكما يكون فهم الترخّص من خلال الاعتداد بالقرائن، يكون فهم الأسلوب العدولي كذلك"(3)، وإن كانت قرائن الترخّص قد تمّ رصد أغلب حالاتها، وضبطها جنباً إلى جنب مع قواعد اللّغة، فإنّ الأسلوب العدولي كذلك محكومٌ بقوّة الحُجَج والبراهين، المتمثّلة دوماً في النّتائج الّتي تحقّقها خدمةً للفكرة، وتدعيماً للمعنى.

لا يعني الحديث عن الأسلوب العدولي من جهة الترخّص، أنّه سهلٌ الوصول إليه، بل إنّ هذا التّساهل وفتح المجال أمام من يريد ولوجه، إنّما هو نابعٌ من صعوبة الولوج إليه، إنّ "الأسلوب العدولي موردٌ من موارد التّأنّق في الأسلوب وَرَدَهُ من شاء في القديم ويرِدُه من يشاء في يومنا هذا"(4)، أو بالأحرى (من يقدر)؛ وهو من أرقى الأساليب لغويّاً

(1) - البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص347.

(2) - المرجع نفسه، ص347.

(3) - المرجع نفسه، ص347.

(4) - المرجع نفسه، ص347.

و أنجعها فكريّاً، ينمُّ عن مدى التحكّم في اللّغة، والقدرة على صقل الأفكار فيها، دون أن تفقد هذه الأخيرة مكوّناتها.

ولتوثيق العلاقة بينا الأسلوب واللّغة، أو بين العدول والقواعد اللّغوية، يمكننا القول بأنّ الأسلوب العدولي "بناءٌ لغويٌّ متميّز يستمّد مقوّمات تميّزه من داخله، أي من طبيعة سماته اللّغوية وخواصّه النّوعية الّتي يتميّز بها من نمط الخطاب العادي، ذلك أنّه لا يساير الشّائع المألوف من قواعد اللّغة وأعرافها، بل هو بالأحرى كسرٌ لتلك القواعد وخروجٌ متعمّد على تلك الأعراف، تتفجّر به من طاقات التّعبير والإيحاء ما تعجز اللّغة في مستواها النّمطي السّائد عن تحقيقه"(1)، فالأسلوب العدولي هو تجسيدٌ للّغة في أرقى مستوياتها، وإبرازٌ لثرائها بالتّراكيب والمعاني اللّامحدودة.

لقد وصل الحدّ بالعدول عند بعض الأسلوبيّين إلى اعتباره هو الأسلوب نفسه، "يقول جورج مونان: ثمّة أسلوبٌ بالنّسبة إلى بعضهم، عندما تحتوي العبارة على انزياحٍ يخرج بها عن المعيار. فقولنا: (البحر أزرق) لا يتجاوز كلام كلّ الناس، إنّه الدّرجة الحياديّة، أو الدّرجة صفر للتّعبير، ولكن أن نبتدع كما ابتدع (هومير) فنقول: (البحر بنفسجي)، أو (البحر خَمري)، فإنّ هذا يمثّل حدثًا أسلوبيًا"(2)، يحمل دلالاتٍ متراكمةً تتراوح بين طبيعة البحر الحقيقيّة ورمزيّته الإيحائيّة، وإذا أردنا استخراج الفرق بين التّعبير الأوّل والتّعبيرين الآخرين، نجد أنّ البنية واحدة (مبتدأ وخبر)، ولكنّ الفرق يكمن

(1) - أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1418هـ/ 1998م، ص40.

(2) - الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص76/75.

في أن صفة الزُّرقة لا تتجاوز الفهم البسيط والدّلالة السّطحية، بينما وصف البحر بالبنفسجي أو الخَمري يحيل إلى دلالاتٍ أخرى أعمق، وإلى عواطف ومختلجاتٍ وجدانية. وهنا يكمن العنصر الجمالي، والانزياح الأسلوبي. ويمكن إجمال طبيعة العلاقة بين الانحراف والقواعد اللّغوية في عبارة فاليري "التي قال فيها إنّ الأسلوب هو في جوهره انحرافٌ عن قاعدةٍ ما"(1)، دون إقصاء أحدهما للآخر، فربّما يكونان متناقضين، ولكنّ وجود كلٍّ منهما مرهون باستمرار الآخر.

ومثل جميع الطّروحات الجديدة، وضماناً للتّحديث المستمرّ لعلم الأسلوب، نجد من يعارض بعض النّقاط بخصوص أسلوبية الانزياح، حيث "يأخذ خصوم أسلوبية الانزياح على الأخيرة عدم تحديدها للمعيار والانزياح تحديدًا مباشرًا دقيقًا، وإهمالها لمقولَتَي الكاتب والقارئ، وعدم أخذها بعين الاعتبار لاحتمال وجود انزياحاتٍ غير ذات أثر أسلوبي (بالنّسبة للقارئ)"(2)، ورغم أنّ الأسلوب العدولي موغلٌ في الإبداع، وغنيٌّ بالعناصر الفنّية الجماليّة، إلاّ أنّه يبقى محافظاً على علاقته باللّغة وقواعدها، فهي الّتي تحمل صوَرَه المبدَعَة، وتحفَظ قِيَمَه؛ أمّا إدراج قضيّة الكاتب والقارئ، فيظهر بأنّها محاولةٌ لإدراج الانتقادات الّتي كانت تُوَجَّه للنّقد إلى الأسلوبية، كون الأوّل كان يعتمد معايير غير واضحة، أو غير مبرهَن عليها، أو غير متّفَقٍ عليها. ولكنّ الأسلوبية لا تقبل بمثل هذه الانتقادات ولا توردها في مباحثها، لكونها عنصراً بديهياً تمّ حلّ إشكاله في البدايات الأولى للدّراسة الأسلوبيّة، كما أنّه فقد أثره وتأثيره بعد الانفتاح والتّحرّر الذي

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص208.

(2) - البلاغة والأسلوبية، هنريش بليت، ص58.

عرفته الأسلوبيّة، إضافةً لكونه يتعارض تماماً مع طبيعة الدّرس الأسلوبي بحدّ ذاته، وعدم خضوع هذا الأخير منذ بداية العمليّة الإبداعية إلى أيّ حدودٍ أو قواعد نقديّة. من جهةٍ أخرى لا يعني رفض الأسلوبية لهذا الطّرح قطيعةً مع النّقد، ولكن تحديداً لمجال التّأثر والتّأثير بينهما ليس إلاّ.

تتجاوز الأسلوبية في مباحثها تلك النّظرة النّقدية القديمة الّتي تفصل بين عناصر العمليّة التّواصليّة، وتنفتح كلّيةً على محيط العمليّة الإبداعيّة؛ "إنّ المتتبع لمباحث الأسلوبيّة يدرك أن من أهمّ هذه المباحث ما يتمثّل في رصد انحراف الكلام عن نسقه المثاليّ المألوف، أو كما يقول ج.كوهين: (الانتهاك) الذي يَحدُث في الصّياغة، والّذي يمكن بواسطته التّعرف على طبيعة الأسلوب، بل ربّما كان هذا الانتهاك هو الأسلوب ذاته"[(1)]، ولمّا كان الانتهاك والخروج عن المألوف أمراً لابدّ منه في كلّ عملٍ إبداعي، صار القول بأنّ الأسلوب إبداعٌ خالص أمراً بديهيًّا.

وفي خضمّ احتدام العلاقة بين الأسلوب واللّغة، وتجنّبًا للفصل أوالمباعدة، "ربما أمكن لبعض الباحثين أن يربطوا بشكلٍ ما بين مفهوم الأسلوب كانحراف عن قاعدةٍ عامّة والتّصور القديم له باعتباره طبقةً زخرفيّة تضاف إلى أصل التّعبير المجرّد، لتجميله بوسائل المحسّنات البلاغيّة، ممّا يجعلنا نميّز في النّص الأدبي بين طبقة المحسّنات هذه والأساس العادي للّغة المستخدمة"[(2)]، وبدل البحث عن الاختلافات، يجدر بالمحلّل

(1) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص268.
(2) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص209.

الأسلوبي البحث عن نقاط الالتقاء بين اللّغة والفكر من خلال الأسلوب، ومن هذا المنطلق يستغلّ علم الأسلوب سلاسته، وقدرته على مجاراة الوقائع لتطوير مفاهيمه وتجديد آلياته التّحليلية، وتدعيم مناهجه ومستوياته.

ومن بين الإضافات المهمّة "التي تنجم عن المفهوم الحديث لعلم الأسلوب كانحرافٍ عن القاعدة هي إقامة المستوى المقارن للقاعدة اللّغوية، حيث يتمّ بمواجهته إبراز الشّكل المميّز للأسلوب في النّص المحلَّل، ممّا يجعل تعريف الأسلوب يتمّ بطريقةٍ سالبة كالشّيء الخاصّ الذي يختلف عن القاعدة"(1)، ولكنّه في الأساس على العكس من ذلك تماماً، فلو رجعنا إلى أصل القاعدة، لوجدناها مستمدّةً من نصٍّ آخر، أو من تعابير متداولة، ولو التزمنا بها فإنّنا نحصر عمليّة الإبداع في ذلك النّص وما يأتي على شاكلته، وهذا منافٍ لطبيعة الأسلوب وجوهره، وحتّى لجوهر اللّغة، الّتي تتيح إمكانيّاتٍ واحتمالاتٍ لا متناهية لإنتاج العبارات والنّصوص.

من جانبٍ آخر، يمكن للخروج عن القاعدة اللّغوية أن يصطدم بكون قواعد اللّغة شاملةً ومتوافقةً مع أغلب التّراكيب، إذ أنّها تحوي وتراعي معظم الاحتمالات الممكنة، لكن من النّاحية الأخرى يجب ألاّ نتغاضى عن أنّ الأسلوب في النّصوص الإبداعيّة ليس خارجًا كلّيًا عن القواعد، إذ أنّ العدول يكون في مواضع مقصودةٍ بالتّحليل، بينما يكون التّركيب العامّ خاضعاً للأعراف اللّغوية؛ و"قد لوحظ أن كثيراً من التّصورات المقدَّمة عن النّظرية الأسلوبيّة المتعلّقة بالنّص ذاته، تتّفق في كثيرٍ من الأحيان على قدرٍ مشترك

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص209.

يتمّ الالتقاء عليه، وهو تصوّر الأسلوب كانحراف عن قاعدةٍ خارجةٍ عن النّص يمكن العثور عليها في نصٍّ آخر، على تعدّد الآراء والمبادئ حول المستوى اللّغوي والسّياق العامّ الّذي تجري فيه هذه الانحرافات، وكيفيّة العثور عليها وتحديدها وتحليلها، وإمكانيّة الرّصد الدّقيق لمستوى القاعدة"(1)، كما أنّ النّص الذي يخضع كلّيًا للقواعد اللّغوية ويعتمد التّراكيب الشّائعة فقط، لا يمكن إدراجه ضمن مجال التّحليل الأسلوبي للأعمال الإبداعيّة.

إذن يجب البحث عن نقاط الالتقاء بين العدول والقواعد اللّغوية، باعتبار الأسلوب العدولي ممثّلاً لدرجةٍ راقيةٍ من اللغة تركيباً ومعاني، و"لا يمكن إنكار حقيقةٍ واضحةٍ في هذا المجال، وهي أنّ محاولة تصوّر الأسلوب كانحرافٍ عن قاعدةٍ خارجةٍ عن النّص، وابتعادٍ متعمّدٍ من قِبل المؤلّف لتحقيق أغراضٍ جماليّة أمرٌ مقبولٌ للوهلة الأولى، كما لا يمكن إنكار حقيقةٍ أخرى وهي أنّ هذا التّصور يساعد على شرح كثيرٍ من الظّواهر اللاّفتة في النّصوص الأدبيّة"(2)، هذه الظّواهر الّتي لم تنكرها اللّغة، ولكنّها غُيّبت عنها لفترةٍ، ممّا أدّى إلى صعوبة استرجاعها، كما أنّ طابعها المتفرّد يجعل من الصّعب التّقعيد لها بصيغةٍ نهائيّة؛ ولكن هذه العوامل وغيرها يمكن تجاوزها في سبيل تحقيق عاملٍ أكثر أهمّيّة، إنّه التّجدّد في اللّغة والرّقيّ بها، بدل الجمود والتّقوقع الّذي لم يكن ليكون سلبياً أكثر ممّا هو عليه لو أنّه تمّ الحفاظ فقط على ما هو موروث ومحاولة نشره والسّير وفقه،

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص210.

(2) - المرجع نفسه، ص212.

فكيف والأمر أكثر سلبيّةً حيث لا اتّفاقٌ على الحفاظ على الأصول، ولا توافقٌ في الإتيان بالبديل.

رغم كلّ الجهود التي يقدّمها الأسلوبيّون للتّأسيس لظاهرة الانحراف، إلاّ أنّ النّظرة السّلبية حول كلّ جديد متأصّلة في العلوم اللّغويّة، ممّا كان لينعكس سلباً على الدّراسات الأسلوبية لولا تفطّن المؤسّسين لها وتجنّبهم لما وقع فيه النقّاد وعلماء اللّغة في بدايات التّأسيس لدراساتهم، كما أنّه من غير المُجدي التّوقّف عند هذه المرحلة بالنّسبة للأسلوبية، وفي ظلّ الواقع القائل بأنّه "إذا كان الأسلوب يتحدّد هكذا سلبيّاً باعتباره انحرافًا فإنّه يتحتّم على النّظرية الأسلوبيّة حينئذٍ أن تحاول إقامة مستوى لا يخطئ للعلاقة بين طرفي الانحراف، بالتّحديد الدّقيق للقاعدة الّتي يتمّ الانحراف عنها"[(1)]، وهذا ما يعكف الدّارس والباحث الأسلوبي عليه من خلال الجانب التّطبيقي من الدّراسة، والّذي لا يلي الجانب النّظري، وإنّما يسير التّطبيق والتّنظير بصفةٍ موازيةٍ للعنصر الأساسي في العمليّة كلّها، والذي يمثّله النّص، في محاولةٍ لإبراز الدّلالة الّتي يحاول المؤلِّف الوصول إليها من خلال العدولات التي يوظّفها فيه.

مع هذا يجب الأخذ بعين الاعتبار أنّه "ليس بوسعنا –من الوجهة الأدبيّة- أن نعتبر جميع الظّواهر اللّغوية في النّص الخارجة على النّظام اللّغوي ذات أهميّة أسلوبيّة وقيمةٍ فعليّة موظّفةٍ في النّص"[(2)]. ويرى صلاح فضل أن "لعلّه من الأقرب اعتبار الأسلوب

---

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص212.

(2) - المرجع نفسه، ص213.

انحرافًا عن قاعدة الاستخدام اللّغوي، وهي القاعدة الّتي تلاحَظ عادةً بهذا المفهوم، فيكون على التّحليل الأسلوبي أن يأخذ في اعتباره الانحرافات الّتي يجريها مؤلِّفٌ معيّن، على التّصورات النّحوية والبلاغية السّائدة في عصره، وكلاهُما يمكن تحديده اجتماعًيا، بحيث تصبح القاعدة الأسلوبيّة هي الإشارة الصّالحة اجتماعيًّا للفروق المترادفة على مستوى معيّن من التّطبيق"[1]، وهذا من نتائج الأسلوبيّة، حيث لا يمكن عزو المؤثّرات الخارجيّة للنّص إلى اللّغة وحدها، ولهذا وجب أن تشمل مباحث الدّراسة الأسلوبيّة الجوانب الاجتماعيّة والتّاريخية والنفسيّة، وكلّ ما يمكن أن يكون له تأثير على النصّ، وهذا ممّا لا يمكن حصره أو البرهنة عليه بالقواعد اللغويّة وحدها.

في ظلّ هذه الحتميّة التي يصطدم بها المحلّل الأسلوبي، نجد محاولاتٍ للتّوفيق بين القاعدة والعدول عنها ضمن نظام معيّن؛ فالقاعدة" نموذجٌ مثاليٌّ لغوي، حاضرٌ أمام الجماعة اللّغوية، وهو نموذجٌ تنحو إلى تطبيقه دون أن تظفر بذلك نهائيًّا في الواقع اللّغوي، ومن الواضح أنّ مثل هذه القاعدة لا يمكن وصفها بدقّةٍ لافتقارها للبرهان التّجريبي، ومن هنا يصعب تحديدها في البحث الأسلوبي"[2]، حيث لا يمكن فيه الفصل بين الجانب التّنظيري والجانب التّطبيقي، كون لكلّ نصٍّ معاييره الخاصّة التي يخرج عليها، ولا يمكن في الأسلوبيّة تحليلُ نصٍّ بناءً على قواعد مستنبطةٍ من نصٍّ آخر.

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص214.

(2) - المرجع نفسه، ص215.

وبالانتقال من تحديد القاعدة إلى تحديد طبيعة الانحراف عنها، "ينبغي أن نميّز بين تعريف الأسلوب عموماً كانحرافٍ عن قاعدةٍ ما، وبين وصف المراتب الأسلوبيّة المحدّدة"(1)، ليس اعتماداً على اللّغة وحدها، ولكن بربطها دائماً بالفِكر، وذلك بالّرجوع دوماً إلى الهدف من اللّغة والّذي هو تحقيق التّواصل.

4- أصناف العدول :

أ. العدول السّياقي والعدول اللغوي :

يمكن من خلال الاطّلاع على دراسات ريفاتير حول الأسلوب والسّياق، التوصّل إلى أنّ السّياق الأسلوبي هو "نموذجٌ لغوي ينكسر بعنصرٍ غير متوقّع، والتّضاد النّاجم عن هذا الاختلاف هو المثير الأسلوبي؛ وقيمة التّضاد الأسلوبيّة تكمن في نظام العلاقات الّذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين فلن يكون له أيّ تأثير ما لم يتداع في توالٍ لغوي. وبعبارةٍ أخرى فإنّ عمليّات التّضاد اللّغوي تخلق بنيةً مثلها في ذلك مثل بقيّة التّقابلات المثمرة في اللّغة"(2)، وما يحقّق الانكسار في النّموذج اللّغوي، هو مجموعة المؤشّرات الأسلوبية العدوليّة الدالّة، والّتي تُدرَك قيمتها الجماليّة من خلال الرّبط فيما بينها، وتشكيلها لصورةٍ جماليّةٍ مُبدَعة.

علاقة العدول بالسّياق، متأصّلةٌ توظيفاً وتحليلاً، و"نظريّة العدول السّياقي عند ريفاتير هي أقرب شيءٍ إلى ظاهرة الالتفات في البلاغة العربيّة، ولذا تُعدّ من نقاط

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص216.

(2) - الإعجاز الصرفي، عبد الحميد هنداوي، ص149.

الالتقاء بين الأسلوبيّة الحديثة وبين البلاغة العربيّة في تناولها لظاهرة العدول وخاصّةً في مبحث الالتفات"[1]، ويكمن الفارق بين الدّراسات التراثيّة ونظيرتها الحديثة في المناهج المتّبعة في التّحليل، بالإضافة إلى أنّ الدّراسات التراثية تتّصف بالكلّية، بينما تنتقل الدّراسات الحديثة من الجزء إلى الكلّ. أمّا "الظّواهر الأسلوبية التي تحدّدها نظريّة السّياق الأسلوبي عند ريفاتير فهي رصدٌ للظّواهر الأسلوبية المتحقّقة بالفعل في سياقٍ بعينه، داخلاً في ذلك السّياق البيئة الزّمانية والمكانيّة المَقُول فيها وطبيعةُ المخاطِب وحاله، وملابساتُ القول وغير ذلك"[2] من الظروف المحيطة بعمليّة صوغ الفكرة، والّتي لها دورٌ في إنتاج النّص وإخراجه في الصّورة الّتي هو عليها.

إنّ عمليّة الانحراف في النّص ليست مرتبطةً فقط بالخروج عن قواعد اللّغة، ففي عديد الأحيان يجلبنا مُؤشّرٌ أسلوبيّ مجسَّدٌ تجسيداً لغويًّا معتاداً، ولكن ما يجعله انحرافاً هو سياق النّص الّذي ورد فيه، ويمكن التّمثيل لذلك بأنّنا "لو كنّا نقرأ روايةً مثلاً تُحكى وقائعها بصيغ الماضي المتوالية، فإنّ الاستخدام المفاجئ لصيغة المضارع يضادّ السّياق السّابق"[3]، ويشكّل مؤشّراً أسلوبياً رغم أنّ التّعبير لا يخرج عن القاعدة اللّغوية؛ ونفهم من هذا أيضاً أنّه يمكن "الوقوف على الظّواهر الأسلوبيّة في النّص في الحال دون الرّجوع إلى مراجع أخَر خارجيّة غير السّياق"[4]. إنّ الانتباه إلى مثل هذه الانحرافات

(1) - الإعجاز الصرفي، عبد الحميد هنداوي، ص149.

(2) - المرجع نفسه، ص150.

(3) - المرجع نفسه، ص150.

(4) - المرجع نفسه ص151.

الّتي تُؤثّر في فهمنا للنّصوص، يندرج أيضاً في عمق عمل المحلّل الأسلوبي؛ كما يمكن أيضًا "الوقوف على تنوّع السّياق أو تداخل السّياقات، حيث إنّ الظّاهرة الأسلوبية أو الإجراء الأسلوبي نفسه قد يتحوّل إلى سياقٍ جديد أو قاعدةٍ جديدةٍ يُقَاسُ إليها العدول أو الانحراف الواقع بعدها، وذلك أنّ الظّواهر الأسلوبيّة المتقابلة حينما تتوالى في نسقٍ تعبيريٍّ واحد فإنّ كلاًّ منها تُهيّءُ (سياقًا) جديداً للظّاهرة الّتي تليها"(1)، وهذا الجانب أيضًا تتولّى به الأسلوبيّة، حيث تقيم في كلّ مرحلةٍ وفي كلّ مستوى روابطاً سياقيّةً ودلاليّةً تساعد على تشكيل الصّورة العامّة للنّص. ويُمكن تخصيص هذه الميزة بالتّحليل الأسلوبي، الّذي يتجاوز مجال التّحليل اللّساني، المنحصر عادةً في إطار الجملة أوالعبارة الواحدة، بينما يمكن للتّحليل الأسلوبي أن يتجاوز سياق النّص الواحد إلى أسلوب مجموعةٍ من الأعمال، أو أسلوب مبدعٍ معيّن.

لكلّ نظريّةٍ مرتكز ومحور بحث، و"محور التعرّف على الإجراءات الأسلوبيّة في نظريّة ريفاتير هو السّياق، فالسّياق هو الّذي يمثّل خلفيّةً محدّدةً دائمة، وهو الّذي يقوم بدور القاعدة، وافتراض أن الأسلوب يتخلّق بالانحراف الدّاخلي عن هذا السّياق الدّائم افتراضٌ خصب"(2)، إذ نجد المؤلّف كثيراً ما يركّز على استعمال أسلوبٍ ما، ثمّ نجده يَحيدُ عنه في موقفٍ معيّن، نعتقد في الوهلة الأولى أنّه موقفٌ مطابقٌ أو مشابهٌ للتّركيبات الأخرى، ولكن كما يقول ريفاتير "لايوجد دخانٌ بدون نار"(3)، ولابدّ أن تكون هناك

---

(1) - الإعجاز الصرفي، عبد الحميد هنداوي، ص151.

(2) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص224.

(3) - المرجع نفسه، ص219.

حكمةٌ من وراء هذا الانحراف، والمقصد من هذا القول أنّ الانحراف هنا مبنيّ على الخروج عن سياق النّص ذاته، ويتمّ اعتباره بالنّسبة إليه.

وللقارئ أيضًا دورٌ في العمليّة الإبداعية، و"تكوين النّموذج الّذي يتحكّم في دهشة القارئ يتبع بالضّرورة خطَّ تعاقب الجمل المكوِّنة للقول، وبهذا يمكن أن يتمثّل السّياق في جزءٍ خطّي يمضي في اتّجاه تقدّم عين قارئ السّطور"(1)، وبناءِ صورةِ النّص ومعناهُ تدريجيّاً في ذهنِه، وجلبِ انتباهِه ودعمِه من خلال الاحتجاج للآراء، وإضفاء صبغةٍ جماليّةٍ على النّص، لينتقل الدّورُ إلى القارئ، في اكتشافِ الدّلالات وربطِ الإيحاءات بعضها ببعض للوصول إلى حقيقة النّص ومعانيه. و"معنى الوقائع الأسلوبيّة الّتي يكتشفها القارئ وقيمتها تتعدّل خلال تقدّمه في القراءة"(2)، من خلال تراكم الصّور في ذهنه، وقدرته على إيجاد العلاقات بين المؤشّرات الأسلوبيّة، واكتشاف دلالاتها.

لا ينفكّ ريفاتير يربط بين ما يتوصّل إليه، وبين أصل البحث الأسلوبي، إذ يعود "ريفاتير لتعريف السّياق الأسلوبي بأنّه نموذجٌ منكسرٌ بعنصر غير متوقّع"(3)، وليس صعباً على الباحث النّبيه التوصّل إلى ذلك العنصر، حيث أنّ هدفه أصلاً هو جلب انتباه القارئ وإحالة تفكيره إلى نقطةٍ معيّنة مسبقاً من صاحب النصّ، ويمكن للقارئ دوماً التأكّد من صحّة ما توصّل إليه بالرّجوع إلى السّياق والرّبط بين سوابق النصّ ولواحقه؛

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص226.

(2) - المرجع نفسه، ص226.

(3) - المرجع نفسه، ص227.

"إنّ المفارقةَ ناتجةٌ عن إدراك عنصرٍ نصّي متوقَّع متبوعٍ بعنصرٍ غير متوقع"[1] يمثّل نقطة الانحراف الأسلوبي.

إذن يمكن القول بأنّ "السّياق هو مظهر العدول الحقيقي عن أيّ قاعدةٍ من القواعد، ومن ثَمَّ يكون جديراً بأن يكون هو القاعدة السّائدة في قياس العدول"[2]، ليبقى دائماً "الأصلَ الموثوقَ به في عمليّة العدول، فهو وحده الأصل الّذي يمكن مشاهدته والإمساك به ووضعُه موضعَ المقابلة بينه وبين أيّ وحدةٍ من وحداته، ولا يمكن ذلك بسهولة بالنّسبة للقواعد الأخرى كقاعدة الاستخدام اللّغوي أو الاستعمال الشّائع، أو اعتبار مستوى الكلام أو النّموذج المثالي أو غير ذلك، لأنّ هذه القواعد جميعًا ليست شيئًا حاضرًا أو جاهزًا أمام النّاقد يستطيع أن يضعه بإزاء النّص، وإنّما هو شيءٌ يحتاج إلى معاناةٍ للحصول عليه، فضلاً عن أنّه لا يتحقّق الحصول عليه ويظلّ مجرَّد فرَضٍ يَحتمل الوقوع"[3]، بينما وباعتماد التّحليل الأسلوبي على العلاقات السياقيّة في النّص فإنّه يضمن مورداً تقعيدياً حاضراً، يستمدّ براهينه من مكوّناته. ويمكن التّدليل على ذلك في ميدان الدّرس الأسلوبي العربي، بالرّجوع إلى الدّراسات القائمة حول القرآن الكريم، فلا يمكن عزو أسلوبه إلى قاعدةٍ مسبقة، ولا يمكن الوصول إلى قاعدةٍ نهائيّة بعد دراسته؛ إنّ الأسلوب يبقى دائماً متفرّداً يحمل نظريّاته بداخله، ويبرهن عليها بنتائجه.

---

(1) - البلاغة والأسلوبية، هنريش بليت، ص60.

(2) - الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي، ص149.

(3) - المرجع نفسه، ص148.

- العدول اللّغوي :

إلى جانب العدول السياقي، هناك العدول اللغوي، وهو الخروج عن القواعد اللغوية، ويعرّفه منذر عياشي بأنّه: "انزياح النّص عن الشيفرة اللّغوية المتعارف عليها"(1)، والمقصود بالمتعارف عليها: الشّائعة الاستعمال والمقعّد لها لغوياً.

أكثر الخروج عن قواعد اللّغة، يكون عن النّحوية منها، ويكون ذلك لأسباب فـ"إذا كان للجمل المعياريّة (Norm) صورةٌ مجرّدة في أذهان مستعملي اللّغة فإنّ الخروج على هذه الصّورة (Deviation) أو العدول عنها إنّما هو نتيجة اختيار (Choice) من المتكلّم، أو ربما كان هذا الاختيار اختيارًا من بين متغيّراتٍ أو بدائل يسمح به النّظام اللغوي على تفاوتٍ في درجة الشّيوع"(2)؛ والعدول اللغوي ليس مبنيًّا بالضرورة على كسر القواعد اللّغوية، إذ يمكن أن يقوم على الانتقاء من بين الاحتمالات الّتي تتيحها اللّغة وفق ما تسمح به قواعدها، كما أنّ الجزء الأكبر من قواعد اللّغة مبنيٌّ على الشّيوع، وجوهر الأسلوب العدولي قائمٌ على التفرّد، ونقطة الوصل بينهما هي تلك القواعد المسموح بها لغويًّا ولكنّها قليلاً أو نادراً ما تُستعمل، وهنا يمكن العثور على "انحرافاتٍ سلبيّة تتمثّل في تخصيص القاعدة العامّة وقصرها على بعض الحالات، وتوجد انحرافاتٌ أخرى إيجابيّة تتمثّل في إضافة قيودٍ معيّنة إلى ما هو قائمٌ بالفعل... ويتّصل –هذا التّصنيف- بتصوّر الأسلوب كإضافةٍ جماليّة تتمّ في بنيةٍ شعريّة ثانية، أوبتصوّره كخرقٍ

---

(1) - الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص77.

(2) - الأسلوب والنحو، محمد عبد الله جبر، ص19.

للقواعد اللّغوية"[1]، والمقصود بالبنية الشعريّة الثّانية، تلك البنية العميقة التي يحيل إليها الأسلوب في صورةٍ جماليّة، ونفس الأمر بالنّسبة لخرق القواعد اللّغوية إذ أنّه يجب أن يُؤدّي وظيفةً دلاليّةً معيّنة. إذن فالمقصود بخرق القواعد اللّغوية في الأسلوب العدولي يجب ألاّ يُفهم مثلما هو الأمر عليه في اللّحن، بل على العكس من ذلك تماماً، إذ أنّ العدول يتجاوز أسلوب اللّغة العادية إلى لغةٍ تعبيريّةٍ أرقى، حيث تكون المباني منقادةً للمعاني وليس العكس، دون إخلال إحداهما بالأخرى.

ب. الانحراف الموضعي والانحراف الشّامل :

يتمّ تصنيف العدول وفق تقسيمٍ مرتكز على درجة الاستعمال ومواضعه إلى انحرافٍ موضعي وانحرافٍ شامل، "فالانحراف الموضعي يؤثّر فحسب على نسبةٍ محدودة من السّياق، وهكذا فالاستعارة مثلاً يمكن أن تُوصف على أنّها انحرافٌ موضعي عن اللّغة العادية، أمّا الانحراف الشّامل فيؤثر على النّص بأكمله، ومثالُه معدّلات التّكرار الشّديدة الارتفاع أوالانخفاض لوحدةٍ معيّنة في النّص، ممّا يُعدّ انحرافاً شاملاً، ويمكن رصده بشكلٍ عامّ عن طريق الإجراءات الإحصائيّة"[2]، ولا تتوقّف العمليّة عند هذا الحدّ، إذ يلزم تحقيق الهدف من التّحليل، وهو اكتشاف السّبب من وراء توظيف كلّ انحرافٍ موضعيًّا كان أو شاملاً، حتّى يتحقّق الفهم العام للنّص، وحتّى يمكن اعتبار الخروج عن المألوف عدولاً أسلوبياً.

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص211/210.

(2) - المرجع نفسه، ص210.

ج. الانحراف الدّاخلي والانحراف الخارجي:

ينشأ الانحراف الدّاخلي حين يكون لانحرافٍ موضعيٍّ تأثيرٌ في الانحراف الشّامل، حيث "يمكن تصنيف الانحرافات من وجهة النّظر التي تعتمد على العلاقة بين القاعدة والنّص المزمع تحليله، فيتم التّمييز طبقًا لهذا بين الانحرافات الدّاخلية والخارجيّة، ويبدو الانحراف الدّاخلي عندما تنفصل وحدةٌ لغويّة ذات انتشارٍ محدود عن القاعدة المسيطرة على النّص في جملته، كما يبدو الانحراف الخارجي عندما يختلف أسلوب النّص عن القاعدة الموجودة في اللّغة المدروسة"(1)، فالانحراف الدّاخلي خروجٌ عن قاعدة النّص، أمّا الانحراف الخارجي فهو خروجُ النّص ككلّ عن قواعد اللّغة.

د. الانحراف المعتمِد على الاختيار:

لهذا الصّنف من الانحراف علاقةٌ بالعدول السّياقي، وهو يندرج ضمن "تصنيف الانحرافات طبقًا لتأثيرها على مبدأي الاختيار والتّركيب في الوحدات اللّغوية تبعاً (لجاكوبسون)، فالانحرافات التّركيبية تتّصل بالسّلسلة السّياقية الخطّية للإشارات اللّغوية عندما تخرج على قواعد النّظم والتّركيب، مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات؛ والانحرافات الاستبدالية تخرج على قواعد الاختيار للرّموز اللّغوية مثل وضع المفرد مكان الجمع أو الصّفة مكان الموصوف أو اللّفظ الغريب بدل المألوف"(2)، ويَتبع ذلك لمقصديّة المُبدِع وحرّيته في انتقاء ما يراه الأنسب للتّعبير عن فكرته، بشرط أن يكون

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص211.

(2) - المرجع نفسه، ص212/211.

لاختياراته دوافع مبرَّرة، فـ"إذا كان الأسلوب هو الطّريقة المختارة للتّعبير عن المعنى فإن لاختيار هذه الطّريقة دون غيرها من الطّرق الموصلة إلى هذا المعنى مقصدًا معيّنًا"(1)، يصل إليه المتلقّي بانتباهه لموضع الانحراف ومحاولة إيجاد الفارق بينه وبين التّعبير والتّركيب العادي الّذي حلّ الانحراف محلّه، للتّوصّل إلى المعنى الّذي يرمي إليه المُبدِع. ويكون ذلك بأن يطرح المتلقّي أو المحلّل الأسلوبي سؤال: لماذا تمّ اختيار هذا التّعبير بدل تعبيرٍ آخر أكثر شيوعاً؟ وتكون الإجابة بفكّ شيفرة النّص، والوصول بذلك إلى مقصديّة المؤلِّف.

ه. الانزياح المتنافر :

يعرّف منذر عياشي هذا النّوع من الانحراف بأنّه انزياح النّص عن وحدته المنطقيّة، واحتواؤه على المتناقضَين، أي انزياح عنصرٍ من العناصر المكوّنة للنّص عن مقصود عنصرٍ سابقٍ عليه، ممّا يؤدّي إلى قطع التّتابع الدّلالي وكسر السّياق وتمزيق التّناغم الدّاخلي، وتفتيت الوحدة المعرفية الأساسيّة لتنامي النّص وجعلها وحداتٍ يربط بينها عنقود الوزن وعقد الإيقاع. وقد سمّى العرب هذا الضرب من الانزياح: (المتنافر)(2)، حيث يطغى العنصر المنحرف ويسيطر على المسار الدّلالي للنّص، ليصبح العنصر الأكثر تأثيراً في المعنى العامّ، والأكثر جلباً لانتباه المتلقّي، إلى حين ورود

(1) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، 489.
(2) - ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص76.

عنصرٍ آخر بعده ليأخذ بزمام النّص، وهكذا إلى أن يتشكّل كمٌّ من الأفكار المتنافرة دلاليًّا، المرتبطة في الآن نفسه برابط الإيقاع والإطار العامّ للنّص.

وهذا الانحراف يكون عادةً في النّصوص ذات المواضيع الجدليّة، أو تلك الّتي يحاول من خلالها المؤلّف التّوفيق بين الآراء المختلف،؛ حيث نجده يورد الفكرة ويثبتها، لينحرف إلى نقيضها ويبرهن عليه، محاولةً منه إمّا لإثبات إمكانيّة التّنوع أو التّقليل من نقاط الاختلاف، ويأتي هذا الانحراف في عباراتٍ تعكس بعض خلفيّات المُؤلِّف، النّاتجة عن عدم جزمه برأيٍ أو فكرةٍ ما أوتردّده في إقصائها أو إثباتها وتساهُلِه في ذلك، ممّا يعطي مجالاً للمتلقّي أن يقرّر بنفسه، ويبني دلالات النّص على حسب الرّأي الّذي يجده أقرب إلى مبادئه وقناعاته.

ويمكن أن يتجاوز الانزياح المتنافر مقصديّة المؤلّف، حين يفتح المجال للمتلقّين لتحديد توجّه الفكرة، دون قيودٍ أو إيحاءاتٍ، فيمكن حينئذٍ أن يصير الأمر إلى درجة "مخالفة النّص لنفسه وانزياح العبارة فيه عن غاية المتكلم"(1)، ويمكن أن يحدث ذلك عن قصدٍ أو عن غير قصد.

- **عموماً يمكن إجمال العدولات الأسلوبية تحت نوعين رئيسيَّين:** إمّا خروجٌ على الاستعمال المألوف للّغة وإمّا خروجٌ على النّظام اللّغوي نفسه أي خروجٌ على جملة القواعد التي يصير بها الأداء إلى وجوده، غير أنّه لا يتمّ إلاّ بقصدٍ من الكاتب أو المتكلِّم.

---

(1) - الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص76.

وهذا ما يعطي لوقوعه قيمةً لغويّةً وجماليّةً ترقى به إلى رتبة الحدث الأسلوبي(1)، والقصد هنا بعيدٌ كلّ البعد عن التّكلّف، وإنّما هو وسيلةٌ لتدعيم اللّغة بما يقرّبها من فِكر المؤلِّف إلى فكر المتلقّي.

5- مستويات التّحليل الأسلوبي :

تميّز الدّرس اللغوي العربي باتباعه لمناهج تحليليّة منذ نشأته، وحقّق اللّغويون إنجازاتٍ كبيرةً ساهمت في ترسيخ أسس العلوم اللّغوية والفنون الأدبية، و"يدرس لغويّو العربية منذ نحو ثلاثة عشر قرنًا أو تزيد نُظُم الأداء اللّغوي في إطاراتها المتعددة: الصّوت، والكلِمة، والجملة"(2)، ثمّ انتقلت الدّراسات لتشمل النّصوص مع بدايات الدّرس البلاغي، لتعرف تطوّراً هامًّا مع نشأة الدّرس الأسلوبي، ونتيجة هذه المتابعة والتّحديث المستمرّ نجد الدّراسات اللّغوية العربية من أكثر الدّراسات دقّةً علميّةً وأثراها مادّةً معرفيّة، وليس ذلك بجديد في هذا المجال، إذ كان الدّرس اللغوي البلاغي العربي رائدًا منذ مراحله التّأسيسيّة.

وممّا ساهم في هذا النّجاح العلمي، كونُ "اللّغة العربيّة من اللّغات التي لا تتميّز بحتميةٍ خاصّةٍ في ترتيب أجزاء الجملة، لكن المألوف فيها أن نجد بعض الرُّتب المحفوظة –وخاصّةً في مجال الأسلوب الإخباري- كتقدُّم المبتدأ على الخبر، والفعل على فاعله، والفاعل على مفعوله، وهي أمورٌ تَحَدَّثَ فيها النُّحاة كُثراً في مجال التّعبير

(1) - الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص77.
(2) - الأسلوب والنحو، محمد عبد الله جبر، ص15.

المألوف، وبالمِثل أيضاً تحدّثوا عن الرُّتب المحفوظة في التّأخير، كتأخير الصّلة عن الموصول، والصّفة عن الموصوف، والمضاف إليه عن المضاف"(1)، ولكنّهم أبدعوا أيضاً في تبيان عديد حالات الانحراف عن المألوف، الّتي تشيع في الأعمال الأدبيّة، وحتّى تلك الّتي يمتاز بها مبدعٌ متفرّد، أو مدرسةٌ أدبيّة معيّنة.

تتحقّق قوّة الأسلوب الأدبي "بقوّة الصّورة الّتي تتجاوز معناها الحرفيّ إلى معنى أو معانٍ أخرى مجازيّة، كالتّمثيل والكناية والاستعارة، كما تتحقّق بقوّة التّركيب: ويتمّ ذلك بتقديم الكلمة أو تأخيرها بالنسبة لموضعها الطّبيعي"(2)، ومثل هذه المؤشّرات الأسلوبية هي ما يشكلّ معالم الأسلوب.

وتشمل الدّراسة الأسلوبية أيضاً "أشكال اللّفظ، وأيَّ انحرافٍ يطرأ على قواعد تشكيله وترتيبه وتركيبه في عبارات، كما تتضمّن أنواعَ المجاز والإيحاء وبقيّة مظاهر نَظْمِه، وتقتضي تحليلَ ألوان لبسه المقصود وغير المقصود. على أن ما يميّز الدّراسة الأسلوبية عن بقيّة أنواع الشّرح والتّفسير إنّما هو تركيزها على الخوّاص العائدة المُرجَعَة، أي على الخواصّ المكرّرة والموظّفة بانتظام في النّص الأدبي"(3)، والتي تعطيه خصوصيّته وقيمته الإبداعية، وليس يُشترط أن يكون التّكرار بالمعنى المتداول، كورود نفس الصّورة المجازية في كلّ مرّة أو استعمال نفس مجال المصطلحات في كلّ الأعمال الأدبيّة للمبدِع الواحد، ولكن المقصود بالتّكرار هو العمليّة الإبداعية بحدّ ذاتها،

(1) - البلاغة والأسلوبية، محمّد عبد المطّلب، ص191.

(2) - المرجع نفسه، ص116.

(3) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص106.

حيث تكون هناك صورٌ جديدة ومؤشّرات أسلوبية على امتداد النّص، ربّما ليست على نفس الشّاكلة ولكنّها تشكّل مجتمعةً قيمةً حقيقيّةً وأسلوباً متفرّداً وتضمن استمراريّة الإبداع.

وتتجلّى لنا صورة التّحليل الأسلوبي والهدف منه في كلّ مرّةٍ نوغل فيها في أعماق الأعمال الأدبيّة؛ "إنّ ما تلاحظه الأسلوبية يتجلّى في البحث عن معنى العبارة وعن سماتها الوجدانيّة، وعن مكانها ضمن النّسق التّعبيري، وفي الطّرق الّتي تعطي لهذه العبارة صورتها"(1)، وبذلك هي ترافق النّص في كلّ خطوات إبداعه، بدءًا من نشوء الفكرة في ذهن المؤلِّف، وصولاً إلى الفعل الرّجعي للمتلقّي.

ويتجاوز المحلّل الأسلوبي حدود اللّغة وحدود الفكرة، فنجد الباحث الأسلوبي "يحدّد الهدف الدّقيق للتّحليل ويختار له المنهج الملائم، ويلجأ أحيانًا إلى استخدام الاستخبارات والاستبيانات العلمية، مفيدًا من العلوم الإنسانية الأخرى مثل علم النّفس وعلم الاجتماع التّجريبي وعلوم الإحصاء"(2)، كلّ ذلك في سبيل إعطاء قراءةٍ صادقةٍ وعميقةٍ وأقرب إلى الدّقة للأعمال الأدبيّة.

وقبل الشّروع في أيّ عمليّةٍ تحليليّة، لابدّ من إدراك أنّ هناك نوعين من النّسيج في العمل الأدبي: أحدهما هو النّسيج الصّوتي والآخر هو النّسيج الدّلالي؛ وأسلوبُ العمل الأدبي يتمثّل في الخواصّ المُرْجَعَة في نسيجه الدّال، ويصبُح من الضّروري حينئذٍ أن

(1) - الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص31.

(2) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص189.

نبدأ بمعرفة نسيج العمل الأدبي، أمّا الدّلالة فهي دلالة بعض الفقرات أو العبارات أو الجمل أو الكلمات، في مقابل البنية الدّلالية المنبثقة من جملة العمل الأدبي كلّه، أو من جزءٍ كبير منه[1]، لذلك نجد الدّراساتِ الأسلوبيّةَ تتراوح بين الجزئيّات لتنتقل إلى الكلّيات في نتائجها النّهائية، ولا يقتصر عمل المحلّل الأسلوبي على استخراج العدولات، وإنّما تلك خطوته الأولى فقط، بينما هدفه الرّئيس هو الرّبط دلاليًّا بين تلك المؤشّرات لتشكيل الصّورة العامّة للنّص.

6- عناصر التّحليل الأسلوبي :

يتعامل المحلّل الأسلوبي مع ثلاثة عناصر عند معالجة نصٍ ما:

- **العنصر اللّغوي:** إذ يعالج نصوصًا قامت اللّغة بوضع شفرتها.
- **العنصر النّفعي:** الّذي يؤدّي إلى أن نُدخل في حسابنا مقولاتٍ غير لغويّة مثل المؤلِّف والقارئ والموقف التّاريخي وهدف الرّسالة وغيرها.
- **العنصر الجمالي الأدبي:** ويكشف عن تأثير النّص على القارئ والتّفسير والتّقويم الأدبيَّين له[2]، فالتّحليل الأسلوبي ليس محصوراً في الجانب اللّغوي -رغم أنّه يشغل الجانب الأكبر من الدّراسة-، وإلاّ لكانت الدّراسات الأسلوبيّة مجرّد تكرارٍ أو تطبيقٍ للّسانيات والبلاغة، دون أيّ إضافة ذات أهمّية.

---

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص105.

(2) - المرجع نفسه، ص132.

كما لا تقتصر الإفاضة في الدّراسة على النّص، بل يتمّ سبر عمق كلّ ما يمكن أن يُؤثّر دلاليّاً وسياقيًّا، فالأسلوبيون يتعاملون مع الجملة كتعاملهم مع النّص بأكمله، لأنّها قابلٌة للوصف على جميع المستويات: الصّوتي والتّركيبي والدّلالي(1).

لكلّ مستوى تحليليّ أهمّيته من الدّراسة، لأنّه يكشف أو يُؤدّي إلى الكشف عن المؤشّرات الأسلوبيّة ذات الأثر الموضعي كما الأثر العامّ، وكمثالٍ عن ذلك يُشار إلى أنّ "التّحليل الصّوتي يقوم أساساً على إدراك الخصائص الصّوتية في اللّغة العادية، ثم ينتقل من ذلك إلى تلك التي تنحرف عن النّمط العاديّ لاستخلاص سماتها التي تؤثّر بشكلٍ واضح في الأسلوب، ذلك أن الصّوت والنّطق يمكن أن يكونا ذا طبيعة انفعاليّة"(2)، ومن تلك السّمات: النّبر والتّنغيم، وكذا الظّواهر الصّوتية المصاحبة للتّعابير الإنشائيّة.

أمّا دراسة التّراكيب فلا تقتصر على كشف دلالات السّياق فحسب، بل إنّ "الأسلوبية ترى فيه عنصراً ذا حساسيّة في تحديد الخصائص التّي تربطه بمبدِعٍ مُعَيَّن"(3)، إذ أنّه يكشف جوانب نفسيّةً، واجتماعيّةً وبيئيّةً وتاريخيّةً، ويتحقّق ذلك من خلال استغلال ما يتيحه التّحليل الأسلوبي من أدواتٍ ونظريآتٍ مشتَرَكَةٍ بينه وبين العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة.

---

(1) - البلاغة والأسلوبية، محمّد عبد المطّلب، ص206.

(2) - المرجع نفسه، ص206.

(3) - المرجع نفسه، ص206.

يحيل هذا إلى أنّ علم الأسلوب يختصّ بالتّركيبات المنحرفة، أو ذات الدّلالة العميقة، بالتّطرّق إليها مباشرةً دون الإلتفات إلى البنيات العاديّة، أو تلك الّتي لا تَرد في سياقاتٍ أدبيّةٍ أوفكريّة و"يُطلِق بعض العلماء على الملامح الأسلوبية ذات الدّلالة اسم (المؤشّرات الأسلوبية) ويعرّفونها بأنّها: (تلك العناصر اللّغوية الّتي تظهر فقط في مجموعةٍ سياقيّةٍ محدّدة، بنِسبٍ تتفاوت في معدّلاتها كثرةً وقِلّةً من حالٍ إلى أخرى. ومعنى هذا أنّ المؤشّرات الأسلوبيّة هي العناصر اللّغوية المشروطة بسياق النّصوص، أمّا العناصر الأخرى الّتي لا تقوم بدور المؤشّرات فهي محايدةٌ ولا دلالة لها، ممّا يجعلها تظهر في سياقاتٍ مختلفة بمعدَّلات تتفاوت بشكلٍ واضح دون وظيفةٍ محدّدة"[1]، وهي لا تخضع بذلك للوصف أو التّحليل، حيث أنّها لن تكون ذات فائدة دلاليّة موضعيّة ولا عامّة، كونها لا تشكّل خصوصيّةً أسلوبيّة.

وتتحقّق وظيفة المحلِّل الأسلوبي "من خلال رصد حجم الجملة طولاً وقِصَرًا، وترتيب أجزائها، أو تقديم بعضها على بعض، كما يتحقّق من خلال ذِكر بعض عناصرها أو إغفالها، ومن خلال رصد الأدوات المساعدة الّتي يستعين بها المبدع كأدوات العطف والجرّ، وأدوات الشّرط والاستثناء والنّفي والاِستفهام، ذلك أنّ حجم الجملة وترتيبها والرّبط بين عناصرها هو الّذي يُكوّن في النّهاية التّركيب الدّلالي للقطعة

(1) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص260.

الأدبية، فنقطة البدء ترتكز على الجزئيّات وصولاً إلى كلّية العمل الإبداعيّ"(1)، دون إغفال أيّ جزءٍ يمكن أن يكون له تأثيرٌ على دلالات النصّ موضعيّةً كانت أم سياقيّة.

يتماشى تركيز المحلّل الأسلوبي على الجانب التّطبيقي بالموازاة مع الجانب النّظري، والدّراسات التّطبيقية الأسلوبيّة تُسهِم في تطوير نظريّات ومناهج الدّرس الأسلوبي؛ و"يمكن تصوّر الأسلوب نظريًّا ووصفه على مستوياتٍ مختلفة تتمّ طبقًا لها عمليّات التّحليل، فإذا أردنا أن ننتقل من الملامح الأسلوبية الدّالة المميّزة في سياقٍ معيّن إلى أسلوب العمل في جملته، أو أسلوب المؤلّف، كان علينا أن نقوم بالتّجميع الملائم للملامح الّتي عثرنا عليها ونتبيّن علاقاتها فيما بينها"(2)، ليتمّ التوصّل في النّهاية إلى استنتاجاتٍ تحيل مباشرةً إلى الهدف من النّص وتجلية الأفكار المحتواة فيه، وترتسم بذلك الصّورة الّتي يشكّلها، مثل لوحةٍ فنّيةٍ تمتزج فيها ألوانٌ متناسقة، لتشكّل عملاً إبداعيًّا متكاملاً.

لا يتوانى المحلّلون الأسلوبيّون في استغلال كلّ ما يمكن أن يكون مفيدًا لدراساتهم، ويركّزون جهودهم في سبيل سبر أغوار النّص المراد دراسته، إذ أنّ "فهم النّص الأدبي يتأتّى بإدراك التّلاحم الداخليّ فيه، ولذا فإنّ النّص كلّه يجب أن يوضع تحت مظلّة التّفسير والشّرح، وأن يرتكز هذا التّفسير على إدراك التّراكيب الدّالة الشّاملة، ونمطيّة هذه التّراكيب وسياقاتها الإيحائيّة، وكلّ ذلك من خلال تصنيفات لا تبتعد عن

(1) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص207.

(2) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص235.

النّص إلاّ بمقدار ما تعودُ إليه، وأن تكون الصّياغة وسيلةَ النّفاذ الأساسيّة إلى أعماق كلّ هذه الأبعاد"[1]، وتجاوز المحلّل للغة النّص إلى الظّروف التي أُنتِج فيها، والمحيط الخاصّ ببدِعِه، لا يعني أنّ دراسته تكون لكلّ وجهٍ على حدَى، بل إنّ كلّ ما يتمّ التوصّل إليه يتمّ رصفُه في إطارٍ واحد متماسك يشكّل دراسةً أسلوبيّةً شاملةً متكاملة.

يمكن عزو الأسبقيّة في التّحليل الصّوتي، وكذا التّركيبي الصّرفي والنّحوي، إلى اللّسانيات، "لقد انطلق العرب في درسهم اللّغوي من النّص –تنظيرًا وممارسة- فجاءت علومهم في هذا الميدان تمثيلاً حضاريًا له. وكانت نظرتهم للأسلوب –في جملة تلك العلوم- أنّه أثرٌ من آثار النّص، ونتيجةٌ من نتائجه الدّالة عليه"[2]، ويعتبر التّحليل الأسلوبي أفضل كاشفٍ عن الرّابط بين الفكر واللّغة.

تحيل الطبيعة الشّمولية للدّراسات الأسلوبية، دائماً إلى اعتماد منهجٍ تحليليّ يقوم على تصنيف الانحرافات طبقاً للمستوى اللّغوي الّذي تعتمد عليه، وبهذا الشّكل يتمّ التّمييز بين الانحرافات الصّوتية والصّرفية والمعجميّة والنّحوية والدّلالية[3]، تماماً مثلما هو الأمر عليه في التّحليل اللّساني، مع توسيع مجال التّحليل ليشمل النّصوص، مع التّطرّق إلى الجوانب البلاغيّة.

---

(1) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص 203.

(2)- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص29/28.

(3) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص211.

الفصل الثاني: الأسلوبية والدِّراسات القرآنية

- إعجاز القرآن - مؤلفات وأعلام –
- نظم القرآن
- مباحث الأسلوبية في الإعجاز القرآني
- من خصائص أسلوب القرآن
- بلاغة العدول
- دلالات العدول

يرجع أصل الدّراسات اللّغوية العربية إلى محاولة فهم النّص القرآني وتفسيره، وصيانة اللّسان العربي من اللّحن، وحفظ اللّغة من أن تتعرّض للفهم الخاطئ، وممّا هو مسلَّمٌ به أنّ "أهمّ خصائص ارتقاء الأسلوب كائنٌ في التّميز والتفرّد، ولو جاء القرآن على مِثل كلام العرب في الطّريقة والمذهب، وفي الصّفة والمنزلة –لما صلح أن يكون سبباً لما أحدثه، ولذهب مع كلام العرب، ثم لتدافعته العصور والدّول إن لم يذهب، ثم لبقي أمره كبعض ما ترى من الأمور الإنسانيّة لا ينفرد ولا يستعلي"(1)، ولكن الأمر غير ذلك حيث أنّ للقرآن أسلوباً مبايناً لكلّ ما عُرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم وتنزيل كلامهم، وليس في أسلوبه شيء يغضُّ من موضعه أو يذهب بطريقته أو يدخله في شبهٍ من كلام النّاس، أو يردّه إلى طبعٍ معروفٍ من طِباعِ البُلغاء(2)، وذاك مكمن إعجازه اللّغوي والبياني، "وهذا الأسلوب فإنّما هو مادّة الإعجاز العربي في كلام العرب كلّه، ليس من ذلك شيءٌ إلاّ وهو معجز، وليس من هذا شيء يمكن أن يكون معجزًا"(3). فمهما ارتقت تعابير البشر وأساليبهم فإنّها لا تدنو من أسلوب القرآن الكريم.

وبما أنّ الأساليب تختلف حتّى في كلام البشر، حيث نجد كلّ واحدٍ يبدع ويبرع بأسلوبه الخاصّ، فلا غرابة في أن يكون "أسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامِه واختيارِ ألفاظه، ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم

(1) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص91.

(2) - المرجع نفسه، ص91.

(3) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/2004م، ص131.

أسلوبٌ خاصٌّ به، فإن لكلّ كلامٍ إلهي أوبشري أسلوبه الخاص به وأساليب المتكلّمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعرٍ أو نثر تتعدّد بتعدّد أشخاصهم، بل تتعدّد في الشّخص الواحد بتعدّد الموضوعات الّتي يتناولها، والفنونِ التي يعالجها"(1)، وسارت الدّراسات الأسلوبية على هذه المعطيات، حيث لا يتمّ فرض خصائص نصٍ معيّن على نصٍّ آخر؛ في حين يمكن المقارنة والمقاربة بين النّصوص.

من مميّزات القرآن الكريم أنّ أسلوبه يأتي على درجةٍ "من اللّين والمطاوعة على التّقليب والمرونة في التّأويل، بحيث لا يُصادم الآراء الكثيرة المتقابلة الّتي تخرج بها طبائع العصور المختلفة، فهو يفسَّر في كلِّ عصرٍ بنقصٍ من المعنى وزيادةٍ فيه، واختلافٍ وتمحيص، وقد فهمه عرب الجاهليّة الّذين لم يكن لهم إلاّ الفطرة، وفهمه كذلك من جاء بعدهم ثمّ الفلاسفة وأهل العلوم، وفهمه زعماء الفِرق المختلفة على ضروبٍ من التّأويل، وأثبتت العلوم الحديثة كثيراً من حقائقه الّتي كانت مغيَّبة، وفي علم الله ما يكون من بعد"(2)، فهو صالحٌ لكلّ زمان ومكان.

1- إعجاز القرآن - مؤلَّفات وأعلام - :

يعتبر البحث في النّص القرآني منطَلق الدّراسات اللّغوية والبلاغيّة العربية، أمّا بخصوص أولى الدّراسات المتخصّصة في إعجاز القرآن فيقول الرّافعي: صنّف أديبنا الجاحظ المتوفى سنة 255هـ كتابه (نظم القرآن)، أولّ كتابٍ أفراد لبعض

(1)- آيات الله في الإعجاز، ماهر أحمد الصوفي، ص234.

(2) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص143.

القول في الإعجاز أو فيما يهيئ القولَ به، غير أن أوّل كتابٍ وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التّأليف، إنّما هو فيما نعلم كتاب (إعجاز القرآن) لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفي سنة 306هـ، وهو كتابٌ شرحه عبد القاهر الجرجاني شرحاً كبيراً سمّاه (المعتضد)، وشرحاً آخر أصغر منه. ولا نظنّ الواسطي بَنَى إلاّ على ما ابتدأه الجاحظ، كما بنى عبد القاهر في (دلائل الإعجاز) على الواسطي، ثم وضع أبو عيسى الرُّماني المتوفى سنة 382هـ كتابه في الإعجاز، فرفع بذلك درجةً ثالثة، وجاء القاضي أبو بكر الباقلاّني المتوفى سنة 403هـ فوضع كتابه المشهور (إعجاز القرآن)... عهد هذا التّأليف لا يُردُّ في نشأته إلى غير الجاحظ[(1)]، من هذه الالتفاتة التّاريخية للرافعي يظهر أنّ الجاحظ هو أوّل من كتب في إعجاز القرآن، ثمّ توالت بعده الأعمال الّتي استفادت من بعضها البعض.

ونظراً لتداخل الدّراسات اللغوية الأولى، نجد المؤلّفات البلاغية تحمل في طيّاتها مباحث من إعجاز القرآن، "وممّن ألّفوا في الإعجاز أيضًا على وجوهٍ مختلفة من البلاغة والكلام وما إليهما: الإمام الخطابي المتوفّى سنة 388هـ، وفخر الدين الرازي المتوفّى سنة 606هـ، والأديب البليغ ابن أبي الإصبع المتوفّى سنة 654هـ، والزّملكاني المتوفى سنة 727هـ وهي كتبٌ بعضها من بعض"[(2)]، أي أنها أعمال تعالج ن المباحث، وتحمل نفس الاستنتاجات والمعلومات، كونها تعتمد في الغالب على نفس المنطلقات والمرتكزات المنهجيّة والمرجعيّات العلميّة.

(1) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص106.

(2) - المصدر نفسه، ص108.

ومن أبرز من ألّفوا في الإعجاز البلاغي "الإمام الرازي المتوفى سنة 606هـ، فقد لخّص كتابَي (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) للجرجاني، واستخرج منهما كتابه في إعجاز القرآن وهو كتابٌ معروف[1]، أحسن في نسقه وتبويبه؛ ثمّ الأديب ابن أبي الإصبع المتوفى سنة 654هـ فقد صفّ كتاب (بدائع القرآن) أَوْرَدَ فيه نحو مائة نوعٍ من معاني البلاغة وشرحها، واستخرج أمثلتها من القرآن..."[2]، ولا زالت الدّراسات القرآنية تسير بالوتيرة التي انطلقت بها تقريبًا، حيث تجد عديد البحوث والمؤلّفات الّتي تحاول استخراج ما تيسّر من درر القرآن الكريم.

ومن بين الّذين عكفوا على تقصّي مواضع الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، الذي رأى أنّ "الإعجاز كامنٌ في النّظم؛ وعلى هذا الأساس مضى عبد القاهر في (الدّلائل) يعرض لوجوه تركيب الكلام ويحلّل الأساليبَ والنّصوصَ المختلفة. سائراً في دراسته على النّهج الذي وضع أصوله هُو محتكماً إلى الذّوق والعُرف اللغوي كثيراً، لافتاً إلى مواطن الحسن والقبح في الأسلوب على أساسٍ من التّوجيه المعلَّل، فكان بهذا رائداً من رواد النّقد الجمالي والذّوق المصفّى دون مُنازع"[3]، ولا يزال كتاب ((دلائل الإعجاز)) يُعتبر مصدراً أساسيًّا في مكتبة الباحث الأسلوبي.

(1) - هو كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي (ت 606هـ).
(2) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص177.
(3) - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، ص150.

ولمّا كانت دراسات الإعجاز مرتبطة بالدّراسات البلاغيّة، فإنّك تجد "كلّ ما كتبه المتقدّمون في علوم البلاغة وإعجاز القرآن: كالرّماني، والواسطي، والعسكري، والجرجاني، وغيرهم، فإنما ينحون به هذا النّحو من انتزاع أمثلته في القرآن والإضافة في أبوابها، ثمّ ما يُداخل هذه الأبواب من فنون الكلام شعرِه ونثرِه"[1]، فالبلاغة في الأصل وُضعت لتَدَارس القرآن ومحاولة تفسيره وفهم معانيه، ويلخّص الرافعي ذلك بقوله: "إن القرآن كان علم بلاغةٍ عند العرب، ثم صار بعدهم بلاغة هذا العلم"[2]، كونها بُنيت وأُسِّست على ما استُخرج منه من دُرر. فـ"كلّ ما تكشفه كتب التّفسير وكتب البلاغة من دقائق نظم القرآن وأسرار تركيبه، فهو من أدلّة إعجازه"[3]، وهو موردٌ للبلاغة لا ينضب.

ويتشرّف علم البلاغة بدرس إعجاز القرآن، وهو العلم الّذي تتشرّف به إبداعات الخلق؛ "إنّ شعور أبلغِ النّاس بضعفه عن أسلوب القرآن لَيَكونُ على مقدار شعورِه من نفسه بقوّة الطّبع واستفاضة المادّة وتَمكُّنِه من فنون القول وتقدّمه في مذاهب البيان، فكلّما تناهى في علمه تناهى كذلك في علمه بالعجز"[4]، فلا يتذوّق الفنّ إلاّ فنّان، ولمّا كان العرب ذوي فصاحةٍ وبيان، كانت درايتهم بإعجاز القرآن نابعةً من فطرتهم وعلمهم بفنون القول وسموّ المعاني وجودة السّبك وفصلِ الخطاب.

---

(1) – إعجاز القرآن، الرافعي، ص177.

(2) - المصدر نفسه، ص177.

(3) - المصدر نفسه، ص108، هامش الكتاب.

(4) - المصدر نفسه، ص130/129.

اكتسبت البلاغة وهي من أشرف العلوم والفنون العربيّة، مكانتها بالبحث في إعجاز القرآن الكريم، و"قد كانت هذه الطّريقة المعجزة الّتي نزل بها القرآن هي السّبب في حفظ العربيّةِ واستخراجِ علومِها، وما كان أصل ذلك إلاّ التّحدي بها، فإن من حكمة هذا التّحدي أن يدعوَهم إلى النّظر في أساليبه ووجه نظمه وتدبُّر طريقته"(1)، ليُدركوا عجزهم بعدما بلغوا من الفصاحة والبلاغة أسمى درجات اللّسان البشري، فيزيدهم ذلك تشريفاً.

2- نظم القرآن :

تبعت الأسلوبيةُ البلاغةَ في منهج دراسة القرآن، واستفادت كذلك من الطّرائق والوسائل الحديثة، فنجد الدّراسات الأسلوبية تصنّف مباحث البلاغة ضمن مستوياتها التّحليليّة. "والكلام بالطّبع يتركّب من ثلاثة حروف هي من الأصوات، وكلمات هي من الحروف، وجُمل هي من الكلم. وقد رأينا سرّ الإعجاز في نظم القرآن يتناول هذا كلّه بحيث خرجت من جميعها تلك الطّريقة المعجزة الّتي قامت به، فليس لنا بدٌّ في صفته من الكلام في ثلاثتها جميعًا"(2)، صوتاً وتركيباً، ودلالةً تسري في كلّ ذلك.

والتّراكيب الجُمليّة تجمع بين الآثار الدّلاليّة النّاتجة عن التّحليل الصّوتي وكذا الصّرفي، وتجتمع الدّلالات التّركيبية الجمليّة لتشكّل الدّلالات السّياقيّة، ومن كلّ ذلك يتجلّى أسلوبٌ مميّزٌ في النّظم، هو الأسلوب القرآني المعجز. إذن "لابدّ في مثل نظم

(1) – إعجاز القرآن، الرافعي، ص165/164.

(2) - المصدر نفسه، ص145.

القرآن من إخطارِ معاني الجمل، وانتزاعِ جملة ما يلائمها من ألفاظ اللّغة بحيث لا ينِدُّ لفظة ولا تتخلّف كلمة، ثم استعمال أمسِّها رحِماً بالمعنى وأفصحِها في الدّلالة عليه، وأبلغِها في التّصوير وأحسنِها في النّسق، وأبدعِها سَنَاءً وأكثرِها غناءً وأصفاها رونقاً وماءً، ثمّ اطّرادِ ذلك في جملة القرآن على اتّساعه وما تضمّن من أنواع الدّلالة ووجوه التّأويل ثمّ إحكامه على أن لا مراجعة فيه ولا تسامح، وعلى العصمة من السّهو والخطأ في الكلمة وفي الحرف من الكلمة، حتّى يجيء ما هو كأنّه صيغَ جملةً واحدةً في نَفَسٍ واحد"(1)، وأنسبُ طريقةٍ تحليليّةٍ لإدراك المعاني من ذلك، طريقة التّحليل الأسلوبي، الّتي تتعمّق بمباحثها في كلّ ما ذُكر، ومن أوائل من تعمّقوا في نظم القرآن عبد القاهر الجرجاني الّذي اقترح النّظم معيارًا جديدًا لسبر أغوار النّصّ القرآني، والنّظم طريقةٌ مخصوصةٌ في نسق الكلمات بعضها مع بعض، ونوعٌ خاصٌّ من التّأليف والتّرتيب والنّسج والصّياغة، وهو معيارٌ لا تتحدّد قوانينه وأصوله إلاّ من داخل النّصّ القرآني نفسه(2).

3- مباحث الأسلوبيّة في الإعجاز القرآني :

الأسلوبية باعتبارها وريثة البلاغة تناوَلت مباحث الإعجاز بالتّحليل، وتناولت النّص القرآني بالتدبّر والتّفسير، فبعدما "نظر الكتّاب والشّعراء إلى ما في القرآن من جزالة اللفظ وبديع النّظم وحسن السّياق، والمبادئ والمقاطع والمخالص والتّلوين في

(1) – إعجاز القرآن، الرافعي، ص156.

(2)- النصّ الدّيني في الإسلام –من التّفسير إلى التّلقّي-، وجيه قانصوه، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص302.

الخطاب، والإطناب والإيجاز وغير ذلك، واستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع"[1]- ولا زالوا كذلك- نجد علماء اللّغة والبلاغيين والمفسّرين يجدّون في تناولهم لمباحث الإعجاز، ووضع مناهج لدراسة نظمه وتأليفه، فالزمخشري "في تحليله للنّص القرآني يستند إلى مناهج البحث البلاغي من ناحية، والتّركيب النّحوي من ناحيةٍ ثانية، وأفاد من كلّ ذلك في كلّ مستوى من مستويات دراسته، محاولاً الوصول إلى أقصى درجةٍ من التذوّق الانطباعي أحياناً، والرّصد الموضوعي للخصائص الأسلوبية أحيانًا أخرى، رابطاً بين التّأثير الانفعالي لدى المتلقّي والخصائصِ التّعبيرية في النّص الأدبي عامّةً والقرآني خاصّةً"[2]، وكأنّه سبق زمانه إلى الدّرس الأسلوبي ومنهجه التّحليلي.

أمّا الباقلاّني فيرى أنّ بلاغة القرآن وجهٌ من أوجه الإعجاز، يقول: "بلاغة القرآن الفذّة العجيبة التي حار فيها البلغاء، وعجز عن وصفها الأدباء، وأسلم لها العقلاء والأذكياء، وخضع لها النّاثرون والشعراء، ولم يجدوا لها تعليلاً، ولا إليها مدخلاً وسبيلاً، فأسلم لها البلغاء والفصحاء، وحصروا كلّ هممهم ليس في معارضتها ومحاولة الإتيان بمثيلٍ لها، بل في محاولة تفسيرها وإدراك شيءٍ من أسرارها..."[3]، وهو هنا يبيّن أن الدراسات اللغوية والبلاغية للنّصّ القرآني وإعجازه تكون وفق منهجٍ خاصّ، لا يحتمل فيه النّصّ انتقادًا ولا معارضةً، فهو

(1) – إعجاز القرآن، الرافعي، ص84.

(2) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص21.

(3)- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تح وتع محمود محمد مزروعة دار كنوز المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ- 2006م، ص31.

على أعلى درجةٍ من البيان، وإنّما المبتغى الوصول إلى مواطن الإعجاز فيه، والنّهل من دلالاته ومعانيه.

4- من خصائص أسلوب القرآن :

يعتبر أسلوب القرآن الكريم أسمى تمثيلٍ لبلاغة اللّغة العربية ورِفعتها، و"ممّا انفردَ به القرآن وباينَ سائر الكلام، أنّه لا يخلق على كثرة الرّد وطول التّكرار، ولا تملّ منه الإعادة"(1). ذكر الدكتور محمد عبد الله درّاز بعضًا من خصائص الأسلوب القرآني:

- القصد في اللّفظ والوفاء بحق المعنى.
- خطاب العامّة وخطاب الخاصّة.
- إقناع العقل وإمتاع العاطفة.
- البيان والإجمال.(2)

من هذه الخصائص الموجَزة "يخلصُ لنا أنّ القرآن الكريم إنّما ينفرد بأسلوبه، لأنّه ليس وضعاً إنسانياً البتّة، ولو كان من وضع إنسانٍ لجاء على طريقةٍ تشبه أسلوباً من أساليب العرب أو مَن جاء بعدهم إلى هذا العهد، ولا من الاختلاف فيه عند ذلك بدّ في طريقته ونسَقِه ومعانيه"(3)، والدّراسات بلاغيّةً كانت أو أسلوبيّة، تبحث عن مواطن الإعجاز ومواضعه في النّص القرآني، من خلال التّمحيص

---

(1) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص150.

(2) - إتقان البرهان في علوم القرآن، أ.د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمّان، الأردن، ط1، 1997م، ص122/121.

(3) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص141.

في مستوياته التّركيبية، مع الأخذ بالاعتبار أنّ "طريقة نظم القرآن تجري على استواءٍ واحد في تركيب الحروف باعتبارٍ من أصواتها ومخارجها، وفي التّمكين للمعنى بحسّ الكلمة وصِفتِها، ثمّ الافتنان فيه بوضعها من الكلام، وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات، لا يتفاوت ذلك ولا يختلّ"(1)؛ ويوضّح الرّافعي هذه النّقطة بقوله: "لسنا نقول إن القرآن جاء بالاستعارة لأنها استعارة أو بالمجاز لأنه مجاز، أو بالكناية لأنّها كناية، أو ما يطّردُ مع هذه الأسماء والمصطلحات، إنما أريدَ به وضعٌ معجزٌ في نسق ألفاظه وارتباطِ معانيه على وجوه السّياستين من البيان والمنطق"(2)، وهذا في كلّ مستويات تركيبه صوتاً وصرفاً ونحواً وبلاغةً ودلالة.

5- بلاغة العدول :

لم تكن الدّراسات اللغويّة العربيّة أبداً عشوائيّة أو تكراريّة، إنّها دراسات تكامليّة منهجيّة، ينفرد كلّ تخصّصٍ منها بجانبٍ من اللّغة والأدب، لتلتقي في النّهاية راسمةً معالم اللغة وأبعادَها والإبداع فيها، و"إذا كان النّحاة واللّغويون قد أقاموا مباحثهم على رعاية الأداء المثاليّ، فإن البلاغيين ساروا في اتّجاهٍ آخر، حيث أقاموا مباحثهم على أساس انتهاك هذه المثاليّة والعدول عنها في الأداء الفنّي"(3)، ويبدو الأمر للوهلة الأولى وكأنّ مباحث كلٍّ من النّحو والبلاغة مختلفةٌ كلّ الاختلاف،

(1) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص167.
(2) - المصدر نفسه، ص178
(3) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص269.

ولكنها على العكس من ذلك، إذ تسير بالموازاة مع بعضها البعض، حيث يُذكَر الأصل دائماً ومعه دليله من القاعدة النّحوية، لتأتي البلاغة وتبيّن موطن الإبداع والخروج عن قاعدته، وتأتي الأسلوبية لتحاول اكتشاف سبب وفائدة هذا التّغيير، فتربط بذلك بين النّحو والبلاغة، في سبيل سبر أعماق العبارات والتّراكيب والنّصوص وإدراك دلالاتِها.

لا يعني اعتبار العدول جوهرًا للدّراسات الأسلوبية الحديثة، أنّ البحوث والطّروحات حوله كلّها جديدة، إذ يكثر ورود مصطلح العدول في الدّراسات البلاغية التّراثية، وورود "مقولة (العُدول) باعتبارها محوراً رئيسيًّا في البحث البلاغي يؤكّد المستوى الإخباري والإبداعي في الأداء اللغوي، وهو بهذا يمثّل قيمةً تعبيريّةً أو منبّهًا أسلوبيًّا في مباحث التّعريف والتّنكير، والحذف والذّكر، والتّقديم والتّأخير، والإيجاز والإطناب، والالتفات، والفصل والوصل..."[1]؛ هذه المباحث وغيرها تناولها البلاغيّون بالتّحليل والتّمحيص، وسار على نهجهم الأسلوبيّون، مركّزين على جوهر ودلالاتِ العُدول فيها.

يحيل ذِكر العدول في مباحث البلاغيين، إلى أنّ له قيمةً أدبيّةً ولغويّةً متميّزة، و"في التّعليل لبلاغة الاِلْتِفَات يَلحظ الزّمخشري أن العُدُول من أسلوبٍ إلى أسلوب فيه إيقاظٌ للسّامع، وتطريةٌ له بنقله من خطابٍ إلى خطابٍ آخر، لأن السّامع ربما ملّ من أسلوبٍ فينقله إلى أسلوبٍ آخرَ تنشيطاً له في الاستماع، واستمالةً له

(1) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص06.

في الإصغاء"(1)، وإضافةً إلى هذا الدّور الذي ذكره الزمخشري، "نجد السّكاكي – أيضاً- يربط بين معنى الأسلوب وخاصّيةٍ أخرى في التّعبير، هي خروجُ الكلام على خلاف مُقتضى الظّاهر بما يحويه من أفانين بلاغيّة، بحيث يواجَه المخاطَب بغير ما يتوقّع، وأطلق على هذه الخاصّية (الأسلوب الحكيم)"(2)، وكان هذا في الدّراسات البلاغيّة، وهو ذاته الأسلوب العدولي في الدّرس الأسلوبي الحديث.

تتمّ دراسة الأسلوب العدولي وفق مباحث الصّوت والتّراكيب والبلاغة والدّلالة، "وعلينا أن نهتمّ بمثل هذه الانتهاكات التي تتمثّل في ألوانٍ من الأداء، مثل: القلب والتّضمين والالتفات، وهي ألوانٌ من الأداء توفّرت فيها نيّةٌ جماليّةٌ من حيثُ تأكيدُها للمعنى أو توضيحُه أو إبهامه وتفسيره"(3)، والفائدة التي تضيفها الدّراسة الأسلوبية إلى الدّراسة اللسانيّة والبحوث البلاغية، هي أنها لا تكتفي بالوصف، كما لا تنجرّ إلى النّقد والانتقاد، إنّها تسلك طريقًا محايدًا يتمثّل في البحث عن مواطن العدول ومحاولة الوصول إلى الدّلالات المكنونة فيها.

- **دلالات العدول :**

لابدّ أن يكون للانحراف في أي مستوى كان، صوتيًا أو صرفيًّا أو نحويًّا، أثرٌ دلالي، فبعد أن يكتشف المحلّل الأسلوبي موضع العدول، يضع نفسه وفِكره أمام مهمّةٍ أخرى، وهي محاولة إيجاد دلالات هذا العدول، فـ"لكلّ لفظٍ معناه العرفي الذي

(1) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص279.
(2) - المرجع نفسه، ص22.
(3) - المرجع نفسه، ص209.

ينسب إليه في معجم اللّغة، وقد يكون للّفظ الواحد عددٌ من المعاني لايتعيّن له واحدٌ منها إلاّ بحسب بيئته التّركيبية واللفظية في السّياق، وهذا هو الذي يكشف عن القيمة الحقيقيّة للاستشهاد على المعاني في المعاجم... ولكن طاقة اللفظ تتّسع لما هو أكثر من مجرّد المعنى العُرفي الاجتماعي، بأن تشمل تسخير هذا اللفظ لتوليد معانٍ أخرى فنّيةٍ أسلوبيّة (ولكونها أسلوبية يمكن وصفها بأنها فرديّةٌ أو شخصيّة)"(1)، ولا يمكن بذلك كشفها بواسطة المعجم، أو عن طريق الاستعانة بالمعاني الشّائعة والمتداولة، فيتمّ اللّجوء إلى دلالة السّياق، والاستفادة من معطيات النصّ، ومتعلّقاته.

عند محاولةِ تحديدِ دلالاتِ العُدول، يتمّ الأخذ بعين الاعتبار أنّ الجملة العربية لها كثيرٌ من الخواصّ، وعلى قدر تعدّد هذه الخواصّ تتعدّد فروع العلوم اللّغوية الّتي تَدرس الجملة، وكثيرٌ من هذه الفروع يبحث في المعنى بطريقةٍ أو بأخرى، فهناك فرعٌ يبحثُ عن المعنى المعجمي للكلمة أي عن دلالتها القاموسيّة في أصل اللّغة، وهذا هو الفرع الّذي نستعين به في فهم النّص اللّغوي، وهناك فرعٌ لغوي يبحث في بنية الكلمة وكيفيّة صياغتها فيوضّح الصّيغة والزّمن والمعنى الّذي تأخذه الكلمة تبعًا لذلك، وهذا الفرع الّذي يبحث في البنية وما تدلّ عليه يُسمى الصَّرْف، وهناك المعالجة النّحوية –بالمعنى السّائد لمثل هذا التّركيب- ويُعْنَى فيها بالبحث في شكل أواخر الكلمات بناءً على تحديد موقعها من الجملة، وهذا الإعراب هو فرع المعنى الوظيفي؛ إذن كلٌّ من المستوى الصّوتي والتّركيبي الصّرفي والنّحوي، كلّها تنتظم لتشكّل جوهر الدّلالة استناداً إلى السّياق.

---

(1) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص352.

الباب الثاني:

العدولات الأسلوبية

في سورة المائدة

• في رحاب سورة المائدة :

أ. تسمية السّورة :

وردت لفظة (المائدة) في القرآن الكريم في موضعين، كلاهما في سورة المائدة:

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ (1).

وقال عزّ وجلّ: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾ (2).

وسمّيت سورة المائدة بهذا الاسم "لأنّ فيها قصّة المائدة الّتي سألها الحواريون من عيسى عليه السّلام، وقد اختصّت بذكرها... وتسمّى أيضًا سورة العقود: إذ وقع هذا اللفظ في أوّلها، وتسمّى أيضا المنقذة، ففي أحكام ابن الفَرَس: روي عن النّبي –صلى الله عليه وسلم- قال (سورة المائدة تدعى في ملكوت السّماوات المنقذة). قال: أي أنّها تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب"(3).

قال الأخفش: "و (المائدة) الطعام. و(فَعَلْتُ) منها: (مِدْتُ) (أمِيدُ). قال الشاعر: [الرجز]:

نُهْدِي رُؤوسَ المُجْرِمينَ الأنْدادْ *** إلى أمِيرِ المؤمِنِينَ المُمْتادْ

(1)- المائدة، 112.

(2)- المائدة، 114.

(3) - تفسير التّحرير والتّنوير، الشّيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج06، ص69./ وينظر: الإعجاز البلاغي، محمد حسين سلامة، ص83.

و(المُمْتاد) هو (مُفْتعِلٌ) من (مِدْتُ)"[1].

وجاء في (التّحرير والتّنوير) للطّاهر بن عاشور أن: "اسم (مَائِدَةٍ) هو الخوانُ الموضوعُ عليه طعامٌ، فهو اسمٌ لمعنى مركّب يدلّ على طعامٍ وما يوضع عليه. والخوان –بكسر الخاء وضمّها- تَخْتٌ من خشبٍ له قوائم، مجعولٌ ليوضع عليه الطّعام للأكل، اتّفقوا على أنّه مُعَرَّب؛ وقيل: المائدة اسم الطّعام، وإن لم يكن في وعاءٍ ولا على خِوان. وجَزَمَ بذلك بعض المحقّقين من أهل اللغة، ولعلّه مجازٌ مرسل بعلاقة المحلّ. وذكر القرطبي أنّه لم تكن للعرب موائد إنّما كانت لهم السُّفْرَةُ، وسمّيَت سُفْرَةً لأنّها يتّخذها المسافر. وإنّما سأل الحواريّون كونَ المائدةِ منزّلةً من السّماء لأنّهم رغبوا أن تكون خارقةً للعادة فلا تكون ممّا صُنِع في العالم الأرضي فتعيّن أن تكون من عالَمٍ عُلويّ[2].

"وقفت قصّة سؤال المائدة عند هذا المقدار وطُوي خبر ماذا حدث بعد نزولها لأنّه لا أثر له في المراد من القصّة، وهو العبرة بحال إيمان الحواريّين وتعلّقهم بما يزيدهم يقينًا، وبقربهم إلى ربّهم وتحصيل مرتبة الشّهادة على من يأتي بعدهم، وعلى ضراعة المسيح الدالّة على عبوديته، وعلى كرامته عند ربّه إذْ أجاب دعوته،

---

(1) - معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط (ت215هـ)، تعليق إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ-2002م، ص175. وكما جاء فيه: الرجز لرؤبة في ديوانه.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص106./ وينظر: بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابًا وتفسيرًا بإيجاز، بهجت عبد الواحد الشيخلي، مكتبة دنديس، عمّان، الأردن، ط1، 1422هـ/ 2001م، ج3، ص05.

وعلى سعة القدرة. وأمّا تفصيل ما حوته المائدة وما دار بينهم عند نزولها فلا عبرة فيه"[1]، لذلك يرى الطاهر بن عاشور، أنّه لم يرد في القرآن الكريم.

وسورة المائدة من السّور الطوال[2]، "وهي مدنيّةٌ باتّفاق، روي أنّها نزلت مُنْصَرَفَ رسول الله –صلى الله عليه وسلّم- إلى المدينة من صلح الحديبية، وقد جاءته المؤمناتُ مهاجراتٍ، وطلب منه المشركون إرجاعهنّ إليهم عملاً بشروط الصُّلح، فأذن الله للمؤمنين بعدم إرجاعهنّ بعد امتحانِهنّ"[3]، فهي مدنيّةٌ، إلاّ الآية الثّالثة منها فنزلت بعرفات في حجّة الوداع، وآياتها مائةٌ وعشرون نزلت بعد الفتح.

- **محتوى السّورة[4]:**

امتازت سورة المائدة باتّساع نطاق المجادلة مع النّصارى، واختصار المجادلة مع اليهود عمّا في سورة النساء، ممّا يدلّ على أنّ أمر اليهود أَخَذ في تراجعٍ ووهن، وأنّ الاختلاط مع النّصارى أصبح أشدّ منه من ذي قبل. وفي سورة النّساء تحريمُ السُّكر عند الصّلوات خاصّةً، وفي سورة المائدة تحريمُه بتاتًا.

---

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص111.
(2) - إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، ص448.
(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص69.
(4) - المصدر نفسه، ص74/71.

وقد احتوت سورة المائدة على تشريعاتٍ كثيرة تُنْبِئ بأنّها أُنزلت لاستكمال شرائع الإسلام، ولذلك افتُتحت بالوصاية بالوفاء بالعقود، أي بما عاقدوا الله عليه حين دخولهم في الإسلام من التزام ما يُؤمرون به.

كما احتوت على تمييز الحلال من الحرام في المأكولات، وعلى حفظ شعائر الله في الحجّ والشّهر الحرام، والنّهي عن بعض المحرّمات من عوائد الجاهلية مثل الأزلام؛ وفيها شرائع الوضوء والغُسل والتيمّم والأمر بالعدل في الحكم، والأمر بالصّدق في الشّهادة، وأحكام القصاص في الأنفس والأعضاء، وأحكام الحِرابة، وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلّم عن نفاق المنافقين، وتحريم الخمر والميسر، والأيمان وكفّاراتها، والحكم بين أهل الكتاب، وأصول المعاملة بين المسلمين وبين أهل الكتاب وبين المشركين والمنافقين، والخشية من ولايتهم أن تفضي إلى ارتداد المسلم عن دينه، وإبطال العقائد الضالّة لأهل الكتابين، وذكرٌ مساوٍ من أعمال اليهود، وإنصاف النّصارى فيما لهم من حُسن الأدب وأنّهم أرجى للإسلام، وذكر قضية التّيه، وأحوال المنافقين، والأمر بتخلّق المسلمين بما يناقض أخلاق الضالّين في تحريم ما أُحِلَّ لهم، والتّنويه بالكعبة وفضائلها وبركاتها على النّاس، وما تخلّل ذلك أو تقدَّمه من العِبر، والتّذكير للمسلمين بنِعم الله تعالى، والتّعريض بما وقع فيه أهل الكتاب من نبذ ما أُمروا به والتّهاون فيه، واستدعاؤهم للإيمان بالرّسول الموعود به. وخُتِمَت

بالتّذكير بيوم القيامة، وشهادة الرُّسل على أممهم، وشهادة عيسى عليه السّلام على النّصارى، وتمجيد الله تعالى(1).

وجاء في سورة المائدة أيضاً ذكرُ قصّة ابنَي آدم، وهي ترمز إلى الصّراع العنيف بين الخير والشّر، حيث قَتَل قابيل أخاه هابيل، كما تناولت السّورة كذلك قصّة المائدة التي كانت معجزةً لعيسى بن مريم عليهما السلام، ومنها تسميتها، كما تناولت السّورة كذلك مناقشةً لليهود والنّصارى في عقائدهم الزّائفة حيث نَسَبوا إلى الله تعالى ما لا يليق به ونقضوا العهود والمواثيق وحرّفوا التّوراة والإنجيل؛ وهي سورةٌ عظيمة وفضلها عميم(2).

- **الإعجاز البياني في السّورة :**

في القرآن الكريم آياتٌ عن البيان، حيث "ذكر الله تعالى جميل بلائه في تعليم البيان، وعظيم نعمته في تقويم اللسان"(3)، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾(4).

---

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص74/71.

(2) - الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص82.

(3)- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تح درويش جويدي، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، لبنان، 1425هـ-2004م، ص12.
(4)- سورة الرحمن، الآيات من 01 إلى 04.

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣﴾[1].

وسورة المائدة مثلها مثل كلّ سور القرآن الكريم، معجزةٌ بألفاظها ومعانيها، وقد "اشتملت السّورة الكريمة على كثيرٍ من الصّور البيانية"[2]، وممّا قيل حول الإعجاز فيها ما ذكره "ابن عطية: أنّ النَقّاش حكى: أنّ أصحاب الكِندي قالوا له: أيّها الحكيم اعمل لنا مِثْلَ هذا القرآن، قال: نعم أعْمَل لكم مثلَ بعضه، فاحتجبَ عنهم أيّامًا ثمّ خرج فقال: والله ما أقدر عليه، ولا يطيق هذا أحد، إنّي فتحت المصحف فخرجتْ سورة المائدة فنظرت فإذا هو قد أمر بالوفاء ونَهَى عن النّكث وحلّل تحليلاً عامًّا ثم استثنى استثناءً بعد استثناء ثم أخبرَ عن قدرته وحكمته في سطرين ولا يستطيع أحد أن يأتي بهذا إلاّ في أجْلاد"[3]. وفي سورة المائدة مؤشّراتٌ أسلوبيّة عديدة في كلّ المستويات، تشكّل وجه السّورة البياني المعجز، وعلماء اللغة وأساطين البيان هم الذين يرجع إليهم في إثبات هذا الرافد من روافد الإعجاز[4].

---

(1)- سورة طه، الآية 113.
(2) - المرجع نفسه، ص83.
(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص81.
(4)- روافد من نهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ-2010م، ص29.

الفصل الأول: العدول الصوتي

- الحروف وأصواتها
- الإيقاع
- الفاصلة القرآنية
- المناسبة الصوتية
- الـتـلاؤم

1. العدول الصّوتي :

إنّ إعجاز القرآن الكريم بارزٌ في كلّ مستوياته، فهو معجزٌ حتّى في أصغر وحدةٍ لغويّة يستطيع الدّارس الأسلوبي البحث فيها، وهي الصّوت؛ وقد "نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأفصح ما تسمو إليه لغة العرب في خصائصها العجيبة وما تقوم به، ممّا هو السّبب في جزالتها ودقّة أوضاعها وإحكام نظمها واجتماعها من ذلك على تأليفٍ صوتيٍّ يكاد يكون موسيقياً محضًا في التّركيب والتّناسب بين أجراس الحروف، والملاءَمة بين طبيعة المعنى وطبيعة الصّوت الّذي يؤدّيه"(1)، وإذا رجعنا إلى أصل البحث في أصوات العربيّة، نجده مرتبطاً بظهور الدّرس اللّغوي في القرآن الكريم، و"الدّراسات القرآنيّة التي تناولت وجوه الإعجاز في الكتاب المقدّس، إنّما انطلقت بادئَ بدءٍ من الظاهرة الصّوتية التي تزخر بها الآيات القرآنيّة الكريمة"(2)، كون أوّل إدراك العرب لإعجاز القرآن كان من سماعهم آياته، وإدراكهم اختلاف وجه التّركيب الصّوتي فيه، فلا هو بشعر ولا هو بنثر، بل هو قرآن كريم معجزٌ بأصواته وتراكيبه ومعانيه.

تعتبر الأسلوبية الصّوتية امتدادًا للبلاغة الصّوتية، التي تُعنى بـ" كلِّ وسيلةٍ صوتيّةٍ يتحقّق فيها مفهوم البلاغة بمعناها المصطلح عليه عند البلاغيين، فلابدّ فيها من ملاحظة أمرين: الأوّل: أن نتجاوز الإطار الصّوتي بجرسه وإيحائه وإيقاعه

---

(1) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص35.

(2)- الصّوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، محمد فريد عبد الله، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص72/71.

واعتداله، إلى ما يُحدثه من إبراز المعنى وتأكيده وتسلسله وانتظامه. والثّاني: أن يتحقّق بالأداء الصّوتي مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[1]، فتكتمل الجمالية بالفائدة اللغوية والدّلالية.

والصّوت كمستوى تحليلي في الأسلوبية متجذّر الأصول في البلاغة، و"البلاغة الصّوتية ليست بالعلم المستحدث، فقد حوم حولها وأصاب شيئًا منها القدماء، أدباء كالجاحظ، ولغويّون كابن جني، ومتكلّمون كالرماني، ونقّاد بلاغيون كابن سنان وابن الأثير والعلوي، ثم أصاب تسميتها المحدثون كالرّافعي"[2]، وغالبًا ما يكون المستوى الصّوتي منطلق العمليّات التّحليلية الأسلوبيّة، إذ "تبدأ الدراسة العلمية للغة العربيّة –أو غيرها من اللغات- بدراسة أصواتها، وتتوقف صحّة نطق كلماتها ومعرفة دلالتها على مدى المعرفة والدّراسة لأصواتها، التي أصبحت المبحث الأوّل من مباحث الألسنيّة"[3]، وذلك لقيمتها الدّلاليّة وكذا جماليّتها الفنّية.

لقد راعى العرب الجانب الصّوتي في كلامهم، وتفنّنوا فيه في أشعارهم وخطبهم، وقد استحكم لهم ذلك، فأبدعوا فيه على سجيّتهم دون تكلّف، فـ"كان العرب يترسّلون في منطقهم كيفما اتّفق لهم، لا يراعون أكثر من تكييف الصّوت؛ دون تكييف الحروف الّتي هي مادّة الصوت، إلى أن يتّفق من هذه قطعٌ في كلامهم تجيء

---

(1) - البلاغة الصّوتية في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم شادي، الشركة الإسلامية لإنتاج والتوزيع والإعلان الرسالة، الدقي، مصر، ط1، 1409هـ/ 1988م، ص11.

(2) - المرجع نفسه، ص22.

(3)- علم الأصوات اللغوية، أحمد عزوز، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران، الجزائر، ص09.

بطبيعة الغرض الّذي تكون فيه، أو بما تعمَّد لها المتكلّم، على نمطٍ من النّظم الموسيقي إن لم يكن في الغاية ففيه ما عرفوه من هذه الغاية. فلمّا قُرئ عليهم القرآن الكريم رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله ألحاناً لغويّةً رائعة؛ كأنها لائتلافها وتناسبها قطعةٌ واحدة قراءتها هي توقيعها، فلم يَفُتهم هذا المعنى، وأنه أمرٌ لا قِبَل لهم به وكان ذلك أبين في عجزهم"(1)، فقد تحدّاهم في ما برعوا فيه، ولم يجدوا فيه نقيصةً ممّا كان في كلامهم، وعجزوا عن مجاراته أو الإتيان بمثله.

وتُعدّ دراسة أصوات العربيّة من أجَلّ الدّراسات اللغوية كونها نشأت في كنف الدّراسات القرآنية، فقد عرف العرب علم الأصوات مبكّرًا، ورغم أنّهم لم يفردوا له تصنيفاتٍ خاصّةً به إلاّ أنّهم تعمّقوا في مواضيعه ومباحثه في كنف مؤلّفاتهم البلاغيّة والنّحويّة وكذا مؤلّفاتهم في علم التّجويد(2)؛ و"الدّراسة الصّوتية جزءٌ أصيل من دراسة المعنى"(3)، لذلك لقيت العناية من طرف المفسّرين والبلاغيّين وعلماء اللغة وعلماء التّجويد وعلماء القراءات، وساعد هذا الاهتمام في صقل المباحث الصّوتية، لتنضوي تحت علمٍ خاصٍ بها هو علم الأصوات، الذي وجد له مجالاً خصباً للدّراسة تحت راية اللسانيات إلى جانب بقية المستويات التّحليلية؛ و"لعلّ أحسن ما صنعه المفسّرون في المباني هو ذلك التتبّع الدّقيق لما يعتري الأبنية اللغوية من تبدُّلٍ وتغيير، ضمن نظام العلاقة الصّوتية القائم على التّأثر والتّأثير. ويبدو ذلك جليًّا في

(1) - آيات الله في الإعجاز، ماهر أحمد الصوفي، ص89.

(2)- المصطلح الصّوتي في الدّراسات العربيّة، عبد العزيز الصّيغ، دار الفكر، دمشق، سوريا، الإعادة الأولى، 1427هـ-2007م، ص15.

(3)- أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي –دراسة تطبيقية في سورة البقرة-، محمد مسعود علي حسن عيسى، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1430هـ-2009م، ص56.

ملاحظات الحذف والزيادة والإدغام والوقف وغيرها. وقد صدروا في ذلك عن فهمٍ عميقٍ لأصوات العربيّة ومخارجها، وتَمثُّلٍ حقيقي لفنون الصّرف وألوانه... وقد بدوا في هذا النّوع من المعالجة يعرفون طبائع الأدوات وأبنيتها المجرّدة، ويتمثّلون أحداث التّبدلات في الأسماء والأفعال، ممّا جعل جهودَهم مرجعاً خصباً في التّحليل الصّوتي الدّقيق، والملاحظات المتتابعة والمتكاملة النّافذة إلى أعماق البنى"(1). هذه القيمة التّحليليّة جعلت المستوى الصّوتي يحتلّ مكانةً أساسيّة في الدّراسات الأسلوبيّة.

ودراسة الأصوات لا تقلّ أهمّيةً عن باقي الدّراسات اللغوية، وليس هناك فارقٌ كبير بين النّظر إلى تلاؤم الحروف في الكلمة، والنّظر إلى تلاؤم الكلمة في الكلام، بل على العكس من ذلك، حيث كان القسم الأول قد استبدّ بأكثر جهود العلماء، وكشفوا فيه عن دقائق ولطائف تشير إلى ما ينطوي عليه اللسان من حكمةٍ ودقّة(2).

كما تتّفق طبيعة الدّراسة الصّوتية مع مناهج التّحليل الأسلوبي؛ و"تمتدّ جذور البلاغة الصّوتية في عمر التّأليف البلاغي والنّقدي واللغوي على نحوٍ يجعلها جديرةً بالتّتبع، لأنها لا تتفرّع ولا تتكرّر عند العلماء إلاّ في القليل النّادر، بل نجد جهداً أقرب إلى التّميز عند أغلب من عرضوا للطّريقة الأدائيّة والصّوتية عرضاً هو أقرب

(1) - الأدوات النّحوية في كتب التّفسير، د. محمد أحمد الصغير، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط1، 1422هـ/ 2001م، ص890.

(2) - الإعجاز البلاغي دراسة تحليليّة لتراث أهل العلم، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2، 1418هـ/ 1997م، ص140.

للنّاحية الجماليّة والبلاغيّة"[1]، وتلك هي خصائص الدّرس الأسلوبي، الذي يراعى فيه الإبداع، ويتنّوع فيه التّحليل من نصٍّ إلى آخر، ومن محلّلٍ إلى آخر.

وفي المستوى الصّوتي من الأسلوب القرآني يتمّ التطرّق إلى عديد الظّواهر، مثل "الإيقاع والفاصلة والحكاية والمناسبة وحسن التّأليف"[2]، وغير ذلك من المؤشّرات الّتي تترك أثرًا في المعنى.

من أوائل من اعتمدوا منهج المستويات في التّحليل الأسلوبي للقرآن الكريم والبحث في إعجازه: مصطفى صادق الرّافعي، الّذي يؤكِّد على أنّ "طبيعة الأسلوب يجب أن تجري على أصل تحقيق الحروف وتفخيمها، وأن أصوات الحروف إنما تنزل منزلة النّبرات الموسيقيّة المرسَلة في جملتها، ولابدّ مع ذلك من نوعٍ في التّركيب، وجِهةٍ من التّأليف حتى يمازج بعضها بعضًا، ويتألّف منها شيءٌ مع شيء فتتداخل خواصُّها، وتجتمع صفاتها ويكون منها اللّحن الموسيقيّ، وهو لا يتأتّى إلاّ من التّركيب الصّوتي الّذي يثيرُ بعضه بعضًا على نِسَبٍ معلومة، ترجع إلى درجات الصّوت ومخارِجه وأبعاده"[3]، وهذه الخصائص تُعتبر من مباحث الدّرس الأسلوبي الصّوتي للقرآن الكريم.

---

(1) - البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، ص12.

(2) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص12.

(3) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص92.

ولمعرفة الرّافعي بجوهر الأسلوب، الّذي يكمن في المعنى، ومراعاة المتلقّي في التّأليف، نجده كما ربط "بين المعنى أو المستوى العميق والأبعاد النفسية –يربط أيضاً بين هذا المستوى السطحي والانفعال النّفسي، فليس يخفى أن مادّة الصّوت هي مظهر الانفعال النّفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سببٌ في تنويع الحركات المختلفة"(1)، فالأمر قائمٌ إذن على تحقيق انفعالٍ نفسيّ لدى المتلقّي، عن طريق مؤشّراتٍ صوتيّة يتمّ توظيفها في الأسلوب.

2- الحروف وأصواتها :

إنّما أُخذ أكثر مخارج وصفات الحروف من ألفاظ القرآن، لا من كلام العرب وفصاحتهم، لأن ههنا موضعَ القولِ فيه، فإن طريقة النّظم التي اتّسقت بها ألفاظ القرآن، وتألّفت لها حروف هذه الألفاظ، إنما يُسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللّغوية في انسجامه واتّزانه على أجزاء النّفس مَقْطَعاً مَقطَعاً ونبرةً نبرةً كأنّها توقِّعه توقيعاً(2)، وما كان للعرب من سطوةٍ في الشِّعر، وبراعةٍ في نظمه، إنّما يأتي كلّه على أوزان بحور الشِّعر، لا يخرج عنها، كما لا يمكن اعتباره عند البحث في مخارج الحروف وصفاتها، لتميّزه عن النّثر، فالشّعر يغلّب الجانب الفنّي على الجانب اللّغوي، على خلاف النّثر، الّذي يعتمد على القواعد اللغوية، أكثر من تعويله على الجماليّة الفنية؛ أمّا النّص القرآني فهو يجمع حسن التّأليف، بسموّ المعاني.

---

(1) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص92.

(2) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص147.

ويمكن تبيان الفرق في المستوى الصّوتي بين القرآن الكريم وكلام العرب، "إذا أنشأتَ ترتِّل قطعَةً من نثر فصحاء العرب أو غيرهم على طريقة التّلاوة في القرآن، ممّا تُراعي فيه أحكام القراءة وطرق الأداء، فإنّك لابدّ ظاهرٌ بنفسك على النّقص في كلام البلغاء وانحطاطه في ذلك عن مرتبة القرآن"(1)؛ ولا عجب في ذلك، حيث أنّ علم الأصوات لم تقم له قائمة إلاّ في حضن الدّرس اللّغوي، الّذي قام أساسًا على النّص القرآني، وضَبَط مرجعيّته على قواعده في جميع المستويات، ولم يكن ذلك ممكناً قبل تنزيل القرآن الكريم، حيث أنّ نثر العرب لم يكن مضبوطاً صوتيًّا، كما أنّ شعرهم يعتني بالمعاني والبنى الجماليّة أكثر من مراعاة القواعد اللّغوية.

ولمّا كانت الجمالية الفنّية تمتزج بالتّراكيب اللّغوية الدّقيقة في النّص القرآني، صار للعلماء مرجعيّةٌ يستخرجون منها الخصائص الصّوتية للغتهم؛ "وحسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النّظم الموسيقي في القرآن، وأنّه ممّا لا يتعلّق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الّذي هو فيه إلا فيه، لترتيب حروفه باعتبارٍ من أصواتها ومخارجها، ومناسبةِ بعض ذلك لبعضه مناسبةً طبيعيّة في الهمس والجهر، والشّدة والرّخاوة والتّفخيم والتّرقيق والتّفشي والتّكرير..."(2)، إنّ هذا السّبك الكامل، كان ولايزال منبع الدّرس اللّغوي العربي، وكذا علم الأصوات، الّذي يعدّ من أدقّ العلوم عند العرب.

(1) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص148.

(2) - المصدر نفسه، ص149/148.

لا يُنقص التّركيب الدّقيق لنصّ القرآن الكريم، من معانيه أو جماليته الفنّية شيئاً، بل على العكس من ذلك، فهو مضبوطٌ بحيث يكون لكلّ حرفٍ ولكلّ كلمةٍ ولكلّ وحدةٍ تركيبيّةٍ موضعها المناسب، الذي لا يعوّضها فيه تركيبٌ آخر، ومعنى محدّد لا يمكننا الإتيان بتركيبٍ مغايرٍ يعبّر عنه ويكون بنفس جودته الفنّيّة غير الّذي وُضع له في الأصل، و"لما كان الأصل في نظم القرآن أن تُعتبر الحروف بأصواتِها وحركاتِها ومواقعِها من الدّلالة المعنويّة، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمةٍ زائدة أو حرفٍ مضطرب أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض"(1)، فهو تركيبٌ معجز، يجمع مستواه الصّوتي بين لفظه ومعانيه بحيث لا يخالف أحدهما الآخر.

يعتبر الصّوت اللّغوي أصل التّعبير الّذي يُبرز روح الفكر، و"ليس يخفى أن مادّة الصّوت هي مظهر الانفعال النّفسي، وأنّ هذا الانفعال هو بطبيعته إنّما هو سببٌ في تنويع الصّوت، بما يُخرجه فيه مَداً أو غنَّة أو ليناً أو شدّة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطراباته وتتابعه على مقادير تناسب ما في النّفس من أصولها، ثمّ هو يجعل الصّوت إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب والبسط، بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز وبُعد المدى ونحوها، ممّا هو بلاغةُ الصّوت في لغة الموسيقى"(2)، فكلّ ذلك باعتبار المتلقّي، حيث يعيد تركيب الصّوت بالطّريقة التي صحبته في التّأليف، فيدخل جوَّ الإبداع، ويصبح طرفاً في تلك العمليّة،

(1) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص155.

(2) - المصدر نفسه، ص149.

وحينئذٍ يصبح قادراً على استيعاب الفكرة التي يرمي إليها المؤَلِّف، بكلّ أجزائها ومكوّناتها.

3- الإيقاع :

الإيقاع من الظّواهر البارزة في الدّرس الصّوتي العربي، وله دخلٌ في عديد الأساليب، إذ يحدّد طبيعتها ويوجّه ذهن المستمع أو المتلقّي إلى المعنى المراد منها، فـ"إذا سمع أحدنا شخصًا غيره يتكلّم فسوف يلاحظ أنّ الكلام لا يجري على طبقةٍ واحدة، بل يرتفع الصّوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر ممّا يرتفع عند غيره، وذلك ما يُعرف باسم (التّنغيم) وبه يرتبط معنى الجملة إثباتاً أو تأكيداً أو استفهاماً أو إنكاراً أو غير ذلك. أمّا المتكلّم نفسه فسوف يرى أن الصّوت الّذي يتمّ عنده الانتقال من طبقةٍ صوتيّة إلى طبقة صوتيّةٍ أخرى، يتطلّب قدرًا من ضغط الحجاب الحاجز على الرّئتين يزداد به مقدار النّفس المطلوب لإحداث الصّوت... هذا الوضوح السّمعي يسمى النّبر"(1)، فالنّبر والتّنغيم ينضويان تحت مبحث الإيقاع، الّذي يحدّد طبيعة أسلوب المتكلِّم والمعنى الّذي يرمي إليه؛ كما يحقّق الإيقاع صلةً بين الأساليب المختلفة ويسمح بالانتقال السّلس بينها، فهو من أسباب الانسجام إذ يمثّل صفةً صوتيّةً تخلعُ على التّركيب توازناً وعلى الجُمَل تعادلاً وتوازياً(2).

(1) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص262.

(2) - البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، ص55.

أ- أنواع الإيقاع :

ينقسم الإيقاع بحسب الأسباب الباعثة إليه، إلى أنواع:

- **إيقاع النّغم:** يتمّ تمييز هذا النّوع، إذا كان الباعث على الإيقاع خاصًّا بنوعيّة المقاطع وكيفيّة توزيعها بحيث يكون الإيقاع بطيئاً أو سريعاً، بحسب التّجربة والمغزى والجوّ النّفسي، وهذا في الشّعر بارزٌ واضح حيث يُصحِب الشّاعر مقاطع شعره بمؤثّرات نفسيّة، تساعد على إيصال أحاسيسه ومشاعره إلى المستمعين، ويكاد ذلك يكون مطّرداً عند الشّعراء المطبوعين، فالشّاعر إذا كان مطبوعاً جاء شعره ذا نغماتٍ متوافقةٍ أو متنوّعةٍ ما بين البطء والسّرعة أو الهمس والقوة، موافقةً مضمونَ شعره وخلجاتِ نفسه(1).

- **إيقاع الصّيغ:** عندما تكون صيغ المفردات في العبارة متخيَّرَةً دقيقة، فإنّها تُحِدث قوّةً في السّبك وجمالاً في التّناسق، فضلاً عمّا تُحدثه من إيقاعٍ خاصّ ينسجم مع دلالة الجملة والعبارة، ولا شكّ أن تناغم دلالة المفردات يؤدّي تلقائياً إلى تناغم صيغ تلك المفردات عند من اختلطت بنفسه فطرة اللغة، وأوتي حظاً من ملَكة حسن التّعبير. والقرآن الكريم يبلغ القمّة في ذلك(2)، فهو يجمع بين دقّة التّعبير وجماليّة التّركيب.

(1) - البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، ص55-56.
(2) - المرجع نفسه، ص59.

- **إيقاع النّظم:** وهو الّذي يتأثّر بخصائص في التّعبير، أو بمذهبٍ خاصٍّ في التّأليف، أو بظواهر تعبيريّة تتّصل ببعض الألوان البلاغيّة والبديعيّة كالطّباق والمقابلة والجناس، ومراعاة النّظير، فكلّها وجوهٌ وألوان تؤدّي إلى توازي الجُمل وتعادل تأليفها[1]، وهي كمؤشّراتٍ أسلوبيّة، لا تكون ذات تأثيرٍ موضعي فقط، بل تجعل النّص يتميّز بجزئيّاته وكلّياته.

هذه الأنواع من الإيقاع يكاد ينعدم اجتماعها في غير النّص القرآني، فـ"كلام البشر قد يكتسب نوعاً من الإيقاع -كإيقاع الصّيغة- بحكم امتلاك مفردات اللغة، وقد يكتسب نوعاً من إيقاع النّغم بحكم البراعة في قول الشّعر، وقد يكتسب نوعًا من إيقاع النّظم بحكم الفطرة والموهبة والخبرة، أمّا يُسر الانتقال من كلمةٍ لأخرى بحيث تُسلَم نهاية الكلمة لبداية الكلمة الّتي تليها في لينٍ وسهولة وكأنّك تنطق كلمةً واحدة، فإنّها ميزةٌ مطّردة في القرآن الكريم كاطّراد غيرها من الميزات، لكن يندر أن تجدها في كلام بشر، وإن وُجدت فهي كالخرزة إلى جانب الماسة"[2]، كما أنّ تأليفات البشر يتمّ فيها دائماً تغليب جانبٍ على آخر، فإمّا يُؤخذ من الإيقاع لتكملة المعنى، أو تتمّ التّضحية ببعض المعاني لإعطاء النّص جماليّةً وحسنًا، ويتمّ ذلك وفق درجة أهمّية كلٍّ منهما في عمليّة التّأليف.

---

(1) - البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، ص60.

(2) - المرجع نفسه، ص67.

وينفرد القرآن الكريم بإيقاعٍ خاصّ، إنّه الإيقاع العذب المعبّر الذي لا تجده أبداً في كلام البشر، وهو ناشئٌ عن الأداء القرآني الملتزم بقواعد التّجويد، وهو يملأ السّمع عذوبةً والقلب خشوعاً والنّفس إعجاباً والكيان إجلالاً ومهابة، فضلاً عن دوره في الإشعار بالمعنى[1]، ويُسر الانتقال بين الآيات والمعاني.

الإيقاع الخاصّ بالقرآن الكريم محكومٌ بقواعد قراءته، و"الأداء التّجويدي الصّحيح للقرآن الكريم من أبلغ وسائل الدّلالة الصّوتية تعبيرًا عن جوّ المُراد، فضلاً عمّا يُحدثه الأداء الّتجويدي من إيقاعٍ عذبٍ وتركيبٍ منسجم. وبهذا نصل إلى أن ثمرة الالتزام بقواعد التّلاوة يعدّ من السّمات الأصيلة لأسلوب القرآن الكريم"[2]، فهو لا يؤثّر في نفسية المتلقّي فحسب، بل يساعد على إبراز المعاني أيضاً.

ب- من أنواع الإيقاع في القرآن الكريم:

يمتاز القرآن الكريم بأنواع خاصّة من الإيقاع، ترد في مواضع معيّنة، منها:

- **الإيقاع السّريع:** وعليه أغلب آيات القَسَم.
- **الإيقاع الهادئ:** ويقع في مواضع الدّعاء، حيث يلوذ العبد بخالقه ومُوجده.
- **الإيقاع البطيء:** وهو ما جاءت عليه آيات الأحكام، حيث فصّل سبحانه وتعالى أمور العبادات والمعاملات.

---

(1) - البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، ص67/ وينظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص329.

(2) - البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، ص69.

- **الإيقاع الشّديد:** وهو ما جاءت عليه الآيات الّتي تصف مشاهد القيامة، وتَظهر عناصر الشّدة والقوة في هذا الإيقاع فيما عليه الآيات في ظواهر النّظم، كالأمر، والنّداء والالتفات والتّحضيض والاستفهامِ خاتمةَ الآيات، وتكرار النّظم، والتّأكيد بأن واللام...[1]، وغيرها من المؤشّرات الأسلوبية العدوليّة.

4- الفاصلة القرآنية :

اهتمّ علماء التّجويد وعلماء الأصوات بالفاصلة القرآنية، فاكتسبت أهمّيةً بالغة في درس القرآن الكريم، و"تمثّل الفاصلة ملحضاً فنّياً لدراسة جانبَي الجرس: الإيقاع والصّوت في القرآن الكريم، وهي تعمّ القرآن كلّه وأثرها واضحٌ جليٌّ فيه. والفاصلة: كلمة آخر الآية، كقافية الشّعر وقرينة السّجع. قال الدَّاني: كلمة آخر الجملة؛ وقال القاضي أبو بكر: الفواصل حروفٌ متشاكلة في المقاطع، يَقع بها إفهام المعاني[2]، وهو هنا يشير إلى فائدةٍ من فوائدها، والدّور الذي تحقّقه في إيضاح المعنى من طريق المبنى.

أ- أهمّية الفاصلة القرآنية :

يوضّح الزركشي موقع الفاصلة وفائدتها يقول: "تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها؛ وهي الطّريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام. وتسمّى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فَصَل بينها وبين ما

(1) - الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص331.

(2) - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794ه)، تقديم مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، ج01، ص83/84.

بعدها، ولم يُسمّوها أسجاعاً. فأمّا مناسبةُ (فَوَاصِل)، فلقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ**﴾(1). وأمّا تجنّب (أسجاع) فلأنّ أصلَه من: (سَجَعَ الطّيرُ)، فشُرِّف القرآن الكريم أن يستعار لشيءٍ فيه لفظٌ هو أصلٌ في صوت الطّائر، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السَّجع الواقع في كلام آحاد الناس... ثم فرّقوا بينهما فقالوا: السَّجْع هو الّذي يُقْصَد في نفسه ثم يُحيل المعنى عليه، والفواصل الّتي تَتْبَع المعاني ولا تكون مقصودةً في نفسها"(2)، فليس المقصود بها زخرفة المبنى على حساب المعنى، وإنّما تتبع الفواصل المعاني وتزيدها حُسناً.

ومن المحدَثين يعرّفها فضل حسن عباس، يقول: "يُقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللّفظ الذي خُتمت به الآية، فكما سمّوا ما خُتم به بيت الشّعر قافيةً، أطلقوا على ما خُتمت به الآية الكريمة فاصلة"(3)، وينتهي التّشابه بينهما عند هذا الحدّ، إذ أنّ الفاصلة أجلّ فائدةً وأسمى موقعًا وموردًا. ونفس الأمر بالنّسبة للفرق بينها وبين السّجع، فقد "عُدّت الفواصل في وجوه إعجاز القرآن لأنها تسهم في حسن إفهام المعاني، ومن هنا خرجت عن السّجع"(4)، إذ أنّه يراعى فيه نسق المباني، ولو على حساب المعاني.

---

(1) - سورة فصّلت، الآية 03.

(2) - البرهان، الزركشي، ج01، ص84-85.

(3) - إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، دار الفرقان، ط5، ص225.

(4) - الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص339.

أمّا عن مواقع الفواصل القرآنيّة، فهي "لم تأتِ مصادفةً وإنّما جاءت مقصودةً ومتناسبةً مع سياقِ الآية، ومع ما قَبلَها وما بعدَها، تناسُباً لفظياً وتناسُباً معنوياً. فاصلةُ الآية لها دورٌ كبيرٌ في ((إحكام)) بناءِ الآية في الشّكلِ والمضمون أو في اللفظ والمعنى، لأنَّ منهجَ الآيةِ في التّقديم والتّأخير، والحذف والزّيادة، والفصلِ والوصل، لا يقوم على اعتباراتٍ شكليةٍ محضة بل يتبعُ كذلك المعنى، فيُسهمُ في إِحكامِه على أَوثَقِ وجوهِ الإحكام"(1)، إذن فالمواقع لا تتبع المباني فحسب، وإنّما تُراعَى عندها المعاني أيضاً؛ كما أنّ "الوصول بالقراءة إلى فاصلة الآية يتّفق في الأغلب الأعمّ مع طاقة النَّفَس الواحد لدى القارئ، فيقف القارئ عند الفاصلة ليتزوّد بزاد نَفَسٍ جديد وليحسّ عند الفاصلة بأنّه يقف لدى مَعْلَمٍ من معالم السّياق المتّصل تحفّ به روائق الإيقاع وروائع المعنى من كلّ جانب"(2).

وعن علاقة الأسلوب بالفواصل، "تتجلّى أهمّية الفواصل القرآنية في أنّها أَكسبت الأسلوب القرآني قوّةً وتماسكاً عن طريق انسياب النّغم وانسجام اللفظ في الآيات، وتدفّقه مع المعاني قوّةً وليناً، مما أثّر في نفوس المتلقّين"(3)، فالفواصل إذن لا تخضع للمفارقة القائمة بين المبنى والمعنى التي نجدها في كلام البشر، بل تجمع بينهما في صلةٍ قويّةٍ، هي من مواطن إعجاز القرآن الكريم.

---

(1) - إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتّاح الخالدي، دار عمار، عمّان، الأردن، ط1، 1421هـ/ 2000م، ص320.

(2) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص279.

(3) - الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص338.

إلى جانب أهمّيتها في توجيه المؤشرات الأسلوبيّة للنّص القرآني، وإيضاح المعاني، "تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقق للنّص جانباً جماليًّا لا يخطئه الذّوق السّليم، لأنّنا مهما يكن من شيء، نحسّ أنها تضفي على النّص قيمةً صوتيّةً منتظمة، ينقسم سياق النّص بها إلى وحداتٍ أدائيّة تُعدّ معالمَ للوقف والاِبتداء، وتتضافر مع الإيقاع... فينشأ من تضافرهما أثرٌ جماليّ لا يبعد كثيراً عمّا نحسّه من وزن الشِّعر وقافيته، ولكن هذا الأثر يمتاز عن ذلك بالحرّية من كلّ قيدٍ ممّا تفرضه الصّنعة على الوزن والقافية"(1)، فكما تُراعَى المعاني، يراعى أيضاً الجانب الجمالي.

ب- تقسيم الفواصل بحسب حروفها:

- **ما كان على حروفٍ متجانسة:** وهو أن يتكرّر في الفواصل حرفٌ كحرف الرّوي في الشِّعر، كما في قوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾(2).
- **ما كان على حروفٍ متقاربة:** كالميم والنون وكالدال والباء...(3)

ج- مواقع الفواصل :

تنبني العلاقة بين الفاصلة وموضعها، على "أنَّ فاصلةَ الآيةِ متوافقةٌ مع كلماتِها ومتناسبةٌ مع موضعها، وأنَّ ختامَ الآيةِ بالفاصلةِ يكونُ ختاماً موضوعيًّا

(1) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص279.
(2) - طه، الآيات من 01 إلى 04.
(3) - الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص346-347.

متناسباً معها؛ آياتُ البشارة تُختمُ بالرّحمة، وآياتُ التّهديدِ تُختمُ بالتّوجيهِ والتّذكير..."(1)، فالفائدة من الفاصلة ليست جماليّةً صوتيّةً فحسب، بل إنّ الهدف الأساس منها هو إفادة المعنى وتوجيهه.

ومواقع الفواصل القرآنية معلومةٌ ومحدّدة؛ قال الجعبريّ: لمعرفة الفواصل طريقان: توقيفيٌّ، وقياسي:

- **أمّا التوقيفيّ:** فما ثبت أنّه صلّى الله عليه وسلّم وقف عليه دائماً، تَحَقَّقْنَا أَنه فاصلة، وما وصله دائماً تحققنا أَنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرَّة ووصله أخرى: احتمل الوقف أَن يكون لتعريف الفاصلة، أَو لتعريف الوقف التّام، أَو للاستراحة...

- **وأمّا القياسيّ:** فهو ما أُلحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسبة، ولا محذورَ في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنما غايتُه أنّه محلّ فصلٍ أو وصل، والوقف على كلّ كلمةٍ جائز ووصل القرآن كلّه جائز، فاحتاج القياس إلى طريق تُعرّفه، فنقول: فاصلة الآية كقرينة السّجعة في النّثر وقافية البيت في الشّعر، وما يُذكر من عيوب القافية –من اختلاف الحركة والإشباع والتّوجيه- فليس بعيب الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة، والقرينة وقافية الأُرجوزة من نوعٍ آخر بخلاف قافية القصيدة، ولا يجوز تسميتها قوافيَ إجماعاً، لأنّ الله تعالى لمَّا سلب عنه اسم الشِّعر وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه، وخاصّةً في الاصطلاح، وكما يمتنع

(1) - إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتّاح الخالدي، ص320.

استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشّعر، لأنّها صفةٌ لكتاب الله تعالى فلا تتعدَّاه[1].

وكمثالٍ عن فائدة الفواصل وموافقتها للمعاني ودعمها لها، "من طرائف ما رواه الأصمعي راوية العرب أنه مرّ بفتاةٍ نصرانيّةٍ من بني تَغلب، فقرأ أمامها آيةً من القرآن أَخطأً في فاصلتها فردّته الفتاةُ النَّصرانية. تلا آيةَ حَدِّ السرقة مخطئاً في فاصلتها: ((والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم)). فردَّتْه الفتاةُ النّصرانية وقالت له: أخطأت.

فأعاد قراءة الآية ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[2].

ثمّ سأَلها: كيف عرَفتِ أنِّي أخطأْت؟ هل تحفظين القرآن؟ قالت: لا، أنا نصرانيَّة، لكن لا تتناسبُ المغفرةُ مع قطعِ اليد وإنما يتناسبُ معه العزَّة، لأنّ الله عزَّ فحكمَ فقطَع يد السارق"[3]، وفي هذا بيانٌ لعلاقة الفاصلة بالمعنى الموضعي والمعنى السّياقي واختلالهما باختلالها، فإلى جانب قيمتها وفائدتها الصّوتية، لها فائدةٌ معنويّة لا تقلّ أهمّيةً.

---

(1) - الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (849هـ-ت911ه)، تحقيق فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م، ص673.

(2) - المائدة، 38.

(3) - إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص321.

جَليٌّ إذن أنّ "القرآن لا يُعنى بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسّياق، بل هو يحسب لكلّ ذلك حسابه فهو يختار الفاصلة مراعًى فيها المعنى والسّياق والجرس ومراعًى فيها خواتم الآيات وجوّ السّورة، ومراعًى فيها كلّ الأمور التّعبيرية والفنّية الأخرى بل مراعًى فيها إلى جانب ذلك كلّه عمومُ التّعبير القرآني وفواصله بحيث تدرِك أنه اختار هذه الفاصلة في هذه السّورة لسببٍ ما، واختار غيرها أشبهها بها في سورةٍ أخرى لسببٍ دعا إليه، وجمع بين كلّ ذلك ونسّقه بطريقةٍ فنّيةٍ في غاية الرّوعة والجمال، حتى كأنك تحسّ أنّها جاءت بصورةٍ طبيعيّةٍ غير مقصودة، مع أنها في أعلى درجات الفنّ والصّياغة والجمال. فما أجلّه من كلامٍ وأعظَمَه من تعبير"(1)، وما هذا إلاّ عنصرٌ من إعجازه.

وعن الأهمية الصّوتية والجماليّة للفاصلة القرآنية ومناسبتها لمواضعها، يقول الرّافعي: "ماهذه الفواصل الّتي تنتهي بها آيات القرآن إلاّ صورٌ تامّةٌ للأبعاد الّتي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متّفقةٌ مع آياتها في قرار الصّوت اتّفاقاً عجيباً يلائم نوع الصّوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنّون والميم وهما الحرفان الطبيعيّان في الموسيقى نفسها، أو بالمدّ وهو كذلك طبيعيٌّ في القرآن، فإن لم تنته بواحدةٍ من هذه كأن انتهت بسكون حرفٍ من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعةً لصوت الجملة وتقطيع كلماتها ومناسبةً للون المنطق بما هو أشبه وألْيَق بموضعه، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلاّ

(1) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، د. فهد خليل زايد، دار النفائس، عمّان، الأردن، ط1، 1428هـ/ 2008م، ص294.

في الجُمَل القِصار، ولا يكون إلاّ بحرفٍ قويٍّ يستتبع القلقلة أو الصّفير أو نحوهما ممّا هو ضروبٌ أخرى من النّظم الموسيقي"[1]. إنّ هذا التّحليل الذي أورده الرّافعي، في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، يُبرز انسجام الفاصلة القرآنية بجماليّتها وفائدتها الصّوتيّة مع السّياق الذي وُظِّفت فيه.

5- المناسبة الصّوتية :

المناسبة الصّوتية ظاهرةٌ تشكّل ملمحاً أسلوبياً هامًّا، نظراً لتأثيرها المباشر على المتلقّي، وهي محطّ اهتمام ومتابعة الأصواتيّين وعلماء التّجويد، و"يُقصد بالمناسبة الصّوتية أن يكون الصّوتان المتجاوران أو اللذان يفصل بينهما حاجزٌ غير حصين، أن يكونا على صورةٍ لا يَرد فيها تنافر أحدهما مع الآخر لا في الأداء ولا في السّمع، وتخضع بعض صور المناسبة الصّوتية في اللّغة العربية للتّقعيد، ويظلّ بعضها الآخر للاختيار الأسلوبي الفردي الفنّي.

- **من قواعد المناسبة الصّوتية :**

أ- تفخيم لام لفظ الجلالة وترقيقه بحسب الصّوت الّذي يسبقه.

ب- تحريك ضمير الغيبة بحسب ما يسبقه أيضا.

ت- كسرة المناسبة قبل ياء المتكلّم عند الإضافة، وياء المخاطبة في الفعل المضارع والأمر.

---

(1) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص150.

ث- بناء الماضي والأمر على الضمّ لمناسبة واو الجماعة.

ج- تحريك آخِرِ كلِّ فعلٍ بالفتحة إذا أُسند إلى الألف.

ح- الفتحة الدّالة على الألف المحذوفة في نحو (يسعون) و(يرضون).

خ- الجرّ بالكسرة لما دخل عليه حرف الجرّ الزّائد.

د- اتباع العين للفاء في جمع المؤنث السّالم من الثّلاثي نحو (سجدات)(1).

هذه القواعد وغيرها من القواعد الصّوتية للقرآن الكريم، يعتمدها المجوّدون وعلماء القراءات لتوجيه المتعلّمين إلى القراءة الصّحيحة والأداء الصّحيح لآيات الذّكر الحكيم. أمّا الدّراسات الأسلوبية فتتناول الجانب الصّوتي الذي يعتمد على الاختيار الفردي الفنّي، والذي يبني قواعده الخاصّة بتكرّره في الأعمال الإبداعيّة، سواءٌ لنفس المؤلّف أو لمجموعةٍ من المبدعين، ومن الأساليب الفنية الشّائعة الخاصّة بالمناسبة الصّوتية:

ذ- إعراب الجوار: مع اطّراح الإعراب بحسب القاعدة، ويعدّ ذلك نوعاً من التّرخّص في القرينة الإعرابية.

ر-الإتباع: وهو يتمّ بإيراد لفظين بينهما شبه تقفية، بحيث لا يُعطف أحد اللّفظين على الآخر، فإن عُطف نحو أهلاً وسهلاً فليس ذلك من الاتباع(2). هذه الأساليب وغيرها

---

(1) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص301.

(2) - المرجع نفسه، ص301.

لا تعتمد على قاعدةٍ لغويّة صارمة بل تقوم على الاختيار، الذي تراعى فيه المناسبة الّتي تخدم سياقات النّص.

الأسلوب القرآني في عموم أحواله يراعِي أو ينسجم مع القواعد الّتي تحكم النّوع الأوّل الخاصّ بالقواعد الثّابتة، أمّا المناسبة الفنّية الّتي لا تحكمها القاعدة فهي الّتي يحاول الدّارسون الأسلوبيّون التعرّض لمظاهرها في الأسلوب القرآني؛ ولعلّ أشهر مظهرٍ قرآني للمناسبة الصّوتية الّتي لا تحتّمها القاعدة هي الفاصلة القرآنيّة، لأنّ طبيعة الفاصلة أنّها إتيانٌ بخواتم الآيات طبقًا لاختيارٍ أسلوبيٍّ مقصود، بحيث يكون ثمّةَ مناسبةٌ صوتيّةٌ بين رأسَي الآيتين المتتاليتين، ولكون المناسبة الصّوتية تعتمد على الانسجام لا على المطابقة التّامة، نجد الفاصلة القرآنية تتحقّق بالصّوتين المنسجمين ولا يتحتّم فيهما أن يكونا متطابقين(1).

6- التّلاؤم :

يعرّف السّيوطي التّلاؤم، يقول: "هو أن يكون الكلام –لخلُوّه من العقادة- منحدراً كتحدّر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقّةً، والقرآنُ كلّه كذلك"(2)؛ فالسّيوطي إذن يربط بين التّلاؤم كظاهرةٍ صوتيّة وطبيعة التّركيب الجُملي واللّفظي، ومن هنا تتّضح أهمّية التّلاؤم بالنّسبة للبناء اللغوي بالإضافة إلى الجماليّة الفنّية التي يحقّقها.

---

(1) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص302.

(2) - الإتقان، السيوطي، ص653.

ويقول الشّيخ محمد محمد أبو موسى عن التّلاؤم: "يلتقي هذا الوجه مع الفواصل، والتّجانس في أن ثلاثتها تنظر إلى البناء الصّوتي في أسلوب القرآن الكريم، وتُلفِت إلى ما فيه من التّفوق والتّأثير، والعناية بمذاقَةِ حروف العربيّة وتعديل مزاجها من البحوث الباكرة في هذا اللسان، لأن هذه النّاحية هي جوهر اللغة وأصل مادتها، وليست دراسة الصّرفيين إلا بحثًا في القوانين المحكمة التي أقامت عليها سليقةُ القوم أصول اللسان، والنّظر فيها هَدَى أهل العلم إلى حقيقةٍ مهمّة وراء أكثر الأحكام في التّصريف والاشتقاق وهي الخفّة، تجد ذلك في الإعلال والإبدال والإدغام والحذف والقلب، وغير ذلك ممّا يعتري الكلمة"[1]، وأبو موسى هنا يضيف إلى الأثر الصّوتي، التّأثير الصّرفي الذي ينشأ من اجتماع ظاهرة التّلاؤم بالتّجانس والفواصل، فطبيعة هذه الظّواهر تجعل المحلّل الأسلوبي يربط المستويات التّحليلية لدراسته، وينتقل بيُسرٍ بينها.

التّلاؤم الصّوتي كظاهرةٍ أسلوبيّة "يبيّن القيمة الذّاتية للألفاظ، لا من حيثُ ارتباطُها بالدّلالة وإنما من حيثُ الاستجابةُ الحسّية التي يجدها المتلقّي مستمعاً أو قارئاً، وهي تنشأ من تتابع أجراس حروفها وتوالي الأصوات التي تتألّف منها في النّطق وفي الوقوع على السّمع، فالتّلاؤم وصفٌ لابدّ منه لِكي يكون الكلام خفيفاً على اللسان مقبولاً في الأذن موافقاً لحركات النّفس مطابقاً لطبيعة الفكرة أو الصّورة أو العاطفة التي يعبّر عنه. وهو في الكلمة ائتلاف الأصوات وحلاوة الجرس، وفي

---

(1) - الإعجاز البلاغي، محمد محمد أبو موسى، ص139.

الكلام تناسق النّظم وتناسب الفقرات وحُسن الإيقاع"[1]؛ فهو في الأسلوب الجيّد حاضرٌ في كلّ المستويات والتّراكيب حروفًا وألفاظًا وجُملاً وفقراتٍ ونصوصًا.

ولبيان وجوه التّلاؤم في القرآن الكريم، "وضع الرماني مقياساً لكشفه بمعرفة نقيضه وهو التّنافر. ولما كان القرآن خالياً من التّنافر فقد انتهى إلى أن القرآن كلّه من التّلاؤم في الطّبقة العليا. ثم إن معرفة التّلاؤم في القرآن تكون بمعرفة الفَرق بين المتنافر والمتلائم في الطّبقة الوسطى"[2]، كالشِّعر وكلام الخطباء والبلغاء، باعتبار كلامهم من أرقى كلام البشر، ولكن رغم ذلك فلابدّ فيه من نقدٍ وانتقاد ولا مناص فيه من التّنافر، إن صوتيًّا وإن دلاليًّا -ولو قلّ مقارنةً بالكلام العادي-، فمن المعروف عند الشّعراء مراعاة المبنى على حساب المعنى في مواضع، والعكس في مواضع أخرى، وكذلك عند الخطباء. فمعرفة المتنافر في تعابير البلغاء والشّعراء وتمييزه من المتلائم تجعلنا ندرك البون الشّاسع بين كلام البشر، وبين تنزيل الخالق عزّ وجلّ.

والفائدة من التّلاؤم: "(حسن الكلام في السّمع، وسهولته في اللفظ، وتقبّل المعنى له في النّفس) وهذه ثلاثةٌ منفصلةٌ في مواقعها وآثارها، فهناك الآذان واللسان والنّفس، وكلٌّ منها ميزانٌ في تقدير الكلام، فالأذن تعرف الحَسَن والقبيح، واللسان

(1) - الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص334-335.

(2) - المرجع نفسه، ص335.

يذوق السّهل والصّعب، والنَّفْس تُحْبَس بما يُؤْنس وما يوحش..."[1]، والتّلاؤم هو السّبيل إلى كلّ هذا، ويمكن اعتباره بذلك عنصراً إقناعيّاً هامّاً في عمليّة التلقّي.

إلى جانب القواعد الصّوتيّة المتعلّقة بمخارج الحروف وصفاتها، "ليس يخفى أن مادّة الصّوت هي مظهر الانفعال النّفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سببٌ في تنويع الصّوت، بما يُخرجه فيه مدًّا أو غنّةً أو ليناً أو شدّةً، وبما يهيّئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تُناسب ما في النّفس من أصولها، ثمّ هو يجعل الصّوت إلى الإيجاز والاجتماع أو الإطناب والبسط بمقدار ما يكسبه من الحدّة والارتفاع والاهتزاز وبُعد المدى، وحسبنا بهذا اعتباراً في إعجاز النّظم الموسيقا في القرآن وقصصه، لترتيب حروفه باعتبارٍ من أصواتها ومخارجها ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبةً طبيعيّةً في الهمس والجهر، والشّدّة والرّخاوة، والتّفخيم والتّرقيق، والتّفشي والتّكرير، ونحو ذلك ممّا هو بلاغة الصّوت في لغة الموسيقا..."[2]. إذن فمباحث علم الأصوات سواء المقعَّد لها أو المتعلّقة بالانفعال النّفسي، كلّها تجتمع لتشكّل معالم التّلاؤم كظاهرةٍ صوتيّةٍ أسلوبيّةٍ لها اليد الطّولى في التّأثير على المتلقّي وجلب فكره ونفسيّته.

يؤدّي الجانب الصّوتي دورًا هامّاً جدّاً في النّصّ القرآني، وقد ساعد على روعة النّغم القرآني –أو الإيقاع الصّوتي لألفاظه- عوامل، مثل: فواتح السّوره،

(1) - الإعجاز البلاغي، محمد محمد أبو موسى، ص144.

(2) - الإعجاز القصصي في القرآن، أ.د. سعيد عطية علي مطاوع، دار الآفاق العربية القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ص150-151.

وفواصل الآيات، وأدب التّلاوة: من مدٍّ وإدغامٍ وغنّةٍ وقلقلةٍ ووصلٍ وإظهارٍ وإخفاءٍ وتفخيمٍ وترقيق... ويتعدّى المستوى الصّوتي ذلك إلى بناء الجمل بناءً موسيقياً شجياً من تقابلٍ بين الكلمات في الحروف والحركات[1].

(1) - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1413هـ/ 1992م، ج1، ص297.

الفصل الثاني: العدولات الصرفية والنحوية

العدول الصرفي :

- الأسلوبية الصرفية
- اللفظ والمعنى
- تخير اللفظ
- حسن التأليف (الإنسجام)
- الأوزان والصيغ الصرفية
- الجمع والتثنية والإفراد

العدول النحوي :

الأساليب النحوية ذات الجملة الإنشائية:

- التعجب
- الإستفهام
- الأمر والنهي
- النداء

الأساليب النحوية ذات الجملة الخبرية:

- التوكيد
- التقديم والتأخير
- الإستثناء

أ- العدول الصّرفي :

1. الأسلوبيّة الصّرفية :

يُعنى المحلّل الأسلوبي في المستوى الصّرفي بالكلمة، باعتبارها "أصلَ الدّقة في التّعبير، والوضوح في المعنى، والصّدق في الدّلالة، لأن الكلمة إذا تمكّنت في موضعها الأصل دلّت على المعنى كلّه، فإذا حُشرت حشراً أو قُسرت قسراً دلّت على بعض المعنى أو ألجأت إلى غيره. وفي اختيار الكلمة الخاصّةِ بالمعنى إبداعٌ، والكلمة في الجملة كالقطعة في الآلة إذا وُضعت في موضعها على الصّورة اللازمة والنّظام المطلوب تحرّكت الآلة، وإلاّ ظلّت جامدة"(1)، وتأثير الكلمة يتعدّى معناها المعجمي إلى المعنى السّياقي للجملة ومنه إلى المعنى العامّ للنّص وصولاً إلى الأثر الأسلوبي، ويكون التّأثير متفاوتاً إذ يكون أعمق إذا حقّق عدولاً أسلوبيًّا، ويقاس ذلك بالأثر في المعنى ومراعاة البنية الجماليّة.

إذا أردنا تعريف التّصريف وفقاً لهذه المعطيات، نجد أنّ (التّصريف) أو(علم الصّرف) "هو لغةً التّغيير"(2)، وهو عند الزّركشي اصطلاحًا: "ما يلحق الكلمة ببنيتها"(3)، وهو "علمٌ له أصول تعرف بها أبنية الكلمات المتصرّفة"(4)؛ وتتمّ دراسته في علم الأسلوب كمستوى يتمّ التّوصّل من خلاله إلى أثر المبنى على المعنى،

(1) - إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص166-167.

(2)- شذا العرف في فنّ الصّرف، أحمد الحملاوي، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 1424هـ-2003م، ص23.

(3) - البرهان، الزركشي، ج01، ص373.

(4)- المعجم الميسّر في القواعد والبلاغة والإنشاء والعروض، محمّد أمين ضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ-1999م، ص45.

فـ"الألفاظ شطر اللغة، والمعاني شطرها الآخر"(1)، يجتمعان ليشكّلا جزءًا من طبيعة الأسلوب.

وتتّضح علاقة التّصريف بالعدول، من خلال تعريف ابن جنّي حين يقول: "التّصريف هو أن تأتي إلى الحروف الأصول، فتتصرّف فيها بزيادة حرفٍ، أو تحريفٍ بضربٍ من ضروب التغيير، فذلك هو التّصرُّف فيها والتّصريف لها"(2)، بحيث يكون لهذا التّصرّف أثرٌ دلالي.

وأثر الألفاظ وأهمّيتها في توجيه دلالات القرآن الكريم واضحٌ وجليٌّ، فـ"لألفاظ القرآن جانبٌ كبير في سموّه فوق أنماط التّعبير الأخرى. وتقوم هذه الألفاظ القرآنية على اعتباراتٍ لم تتحقّق لغيرها، لذلك فإن النّظر فيها لم يقتصر على جانبٍ واحد، بل يجد الباحث المجال فسيحاً أمامه حين يعمد إلى دراسة ألفاظ القرآن"(3)، فبالإضافة إلى المباحث التي تتعلّق بالمعنى، هناك مباحث صرفيّة خاصّة بالمبنى، كما أنّنا "إذا كنا نتحدّث عن الكلمة القرآنية فإنما نعني بها (الكلمة باصطلاح اللغويين) اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً من حروف المعاني"(4)، ولكلّ قسمٍ مباحثه وموضوعاته الخاصّة أيضاً.

---

(1)- المعنى اللغوي –دراسة عربية مؤصّلة نظريًّا وتطبيقيًّا-، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2009م، ص09.

(2)- التصريف الملوكي، ابن جنّي، تح ديزيره سقال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1998م، ص12.

(3) - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، ص245.

(4) - إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص193.

البحث في المواضيع الصّرفية لا يقتصر على مباحث المباني، فالعلاقة بين المبنى والدّلالة لا تخفى في هذا الموضع من الدّرس الأسلوبي، و"البناء الصرفي لكثيرٍ من المفردات القرآنية أسهم في توسيع الكثير من دلالات الخطاب القرآني، ويمكننا أن نرصد ذلك في دلالة الوزن الصّرفي للكلمة على عددٍ من الصّيغ الصّرفية، وكذلك في دلالته على صيغةٍ صرفيّة ومعنى معجمي من جذرٍ واحد، وأيضاً نلمس ذلك في تعدّد معاني الصّيغة الصّرفية، وفي دلالة الصّيغة الواحدة على معنيين مختلفين من جذرٍ لغويٍّ واحد، وفي دلالة صيغة الفعل على زمنين ماضٍ ومضارع، أو لازمٍ ومتعدٍّ في آن معاً"[(1)]، ولعلّ هذه القدرة على احتواء المباحث التي تتراوح بين البنى والدّلالات في المستوى الصّرفي هي الّتي جعلت الزّركشي يقول في المفاضلة بين معرفة الصّرف ومعرفة النّحو بأنّ فائدة التّصريف حصولُ المعاني المختلفة المتشعّبة عن معنى واحد، فالعلم به أهمّ من معرفة النّحو في تعرّف اللغة؛ لأن التّصريف نظرٌ في ذات الكلمة، والنّحو نظرٌ في عوارضها.

غالباً ما تسبق الدّراسةُ الصّرفيّة الدّراسةَ النّحوية، لتمهيد الطّريق نحو معرفة المعاني والدّلالات المحتواة في النّصوص. "ومن أجل هذا كلّه اتّجه كثيرٌ من الدّراسات اللغوية نحو القرآن الكريم، وكان للجانب الدّلالي والصرفي حظٌّ وافرٌ في هذه الدّراسات لكون الجانب الدّلالي يبحث في دلالة اللفظة القرآنية، والجانب

(1) - اتّساع الدّلالة في الخطاب القرآني، د.محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2010م، ص165.

الصّرفي يبحث في ضبط أقيستها"(1)، أمّا التّحليل الأسلوبي فيجمع بين التّصريف والدّلالة ليكشف من خلالهما جزءًا من صورة الأعمال الإبداعي.

وينقسم التّصريف حسب الزّركشي إلى قسمين، تندرج تحت كلٍّ منهما مجموعةٌ من المباحث:

"**أحدهما:** جعل الكلمة على صيغٍ مختلفةٍ بضروبٍ من المعاني، وينحصرُ في: التّصغير والتّكبير والمصدر واسمَي الزّمان والمكان واسم الفاعل واسم المفعول والمقصور والممدود.

والثّاني: تغيير الكلمة لمعنى طارئٍ عليها، وينحصر في: الزّيادة والحذف والإبدال والقلب والنّقل والإدغام"(2). وتتمّ معالجة عديدٍ من هذه المباحث وغيرها في التّحليل الأسلوبي.

2- اللّفظ والمعنى :

لطالما كانت قضيّة اللفظ والمعنى قضيّةً شائكةً في الدّراسات اللغوية والبلاغيّة، من حيثُ أسبقيّةُ أحدهما على الآخر، إلى درجة إقصاء البعض أو نفيه لأثر أحدهما في النّصوص الأدبيّة. ولكن هذا الإشكال يُحلّ إذا ما أراد المتأمّل أو الباحث الغور في مباني النّص القرآني ومعانيه، حيث نجد ائتلافًا بين اللفظ والمعنى، هو من إعجاز القرآن الكريم.

(1)- صيغ "فَعلَة" و"فِعلَة" و"فُعلة" في القرآن الكريم –دراسة صرفيّة دلاليّة-، زيرفان قاسم أحمد البرواري، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص09/08.
(2) - البرهان، الزركشي، ج01، ص373.

يقول الرافعي في هذا الباب: "من أعجب ما رأيناه في إعجاز القرآن وإحكام نظمه، أنك تحسب ألفاظه هي الّتي تنقاد لمعانيه، ثم تتعرّف ذلك وتتغلغل فيه فتنتهي إلى أن معانيه منقادةٌ لألفاظه، ثمّ تحسب العكس وتتعرّفه متثبّتاً فتصير منه إلى عكس ما حسبت، وما إن تزال متردّداً على منازعة الجهتين كلتيهما، حتى تردّه إلى الله الذي خلق في العرب فطرة اللّغة، ثمّ أخرج من هذه اللّغة ما أعجز تلك الفطرة"(1)، فتدرك أنّ ألفاظه ومعانيه هي من التّآلف بحيث لا يمكن الفصل بينهما.

وائتلاف اللفظ مع المعنى: "أن تكون ألفاظ الكلام ملائمةً للمعنى المراد، فإن كان فخماً كانت ألفاظه فخمة أو جزلاً فجزلة أو غريباً فغريبة أو متداولاً فمتداولة أو متوسّطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك"(2). وممّا يتّصل بهذا المعنى أن ألفاظ القرآن تأتي قويّةً في مقام التّهديد والوعيد وما أشبه ذلك، ورقيقةً عذبةً في التّرغيب والتّبشير وما أشبههما، وهادئةً ثريّةً في مقام التّشريع والتّوجيه وما قاربهما(3).

يقول ابن جنّي في باب (قوّة اللفظ لقوّة المعنى): "هذا فصلٌ من العربيّة حَسَن. منه قولهم: خَشُن دون معنى اخشوشن؛ لِمَا فيه من تكرير العين وزيادة الواو... ومثله باب فَعَل وافتعل نحو قدر واقتدر فاقتدر أقوى معنى من قولهم: قدر.

(1) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص36.

(2) - الإتقان، السيوطي، ص655.

(3) - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، ص266.

كذلك قال أبو العبّاس وهو محض القياس: قال الله سبحانه: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(1)؛ فمقتدر هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدّة الأخذ"(2)؛ فهَهُنا أثرٌ دلاليٌّ من آثار اللّفظ وصياغته. و"الكلمة في الحقيقة الوضعيّة إنّما هي صوت النَّفس، لأنها تَلبَس قطعةً من المعنى فتختصّ به على وجهٍ لمناسبةٍ قد لحظته النّفس فيها من أصل الوضع حين فصِّلَت الكلمة على هذا الترّكيب"(3)، فلابدّ إذن أن يلحق التّغييرَ في الصّياغة أثرٌ في الدّلالة؛ ودراسة الصّرف تساعد على اكتشاف الفروقات بين الأوزان والصّيغ المختلفة، وقد "رصد الصرفيّون العرب مظاهر العدول عن الأصل، وفصَّلوا القول فيها، وفسّروا التغييرات التي تحدث في بنية الكلمة لتنقلها من الأصل المجرّد إلى الأصل المستعمل"(4)، ليدخل الصّرف في مجال التّحليل الأسلوبي والدّلالي، ويتأسّس مستوى تحليليًّا في الدّراسات اللغوية الحديثة.

3- تــخـيّـــــر الــلـفـــظ :

ألفاظ القرآن الكريم هي من الدّقة في مواضعها، بحيث لا يمكن تعويضها أو استبدالها، إذ أنّ لكلٍّ منها سبباً في الوضع، و"لاختيار الألفاظ في القرآن الكريم جوانب متعدّدة من حيث الدّلالة على المعنى دلالةً فائقة الوضوح، فقد تعبّر الكلمة بجرسها عن المعنى، وقد يراعى في اختيارها مشاكلة الفواصل، وقد تندرج ضمن

(1) - القمر، 42.

(2) - الخصائص، ابن جنّي، ج02، ص466.

(3) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص152.

(4)- أثر الانسجام الصّوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، فدوى محمد حسان، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ-2011م، ص98.

فنٍّ بلاغيٍّ يزيد المعنى وضوحًا"[1]، إذن فلوضع اللفظ في موضعه ضوابط، إن تحقّق أحدها في غيره فسيغيب آخر، إذ يمكن أن تتشابه اللفظتان اصطلاحيّاً، ولكن لابدّ أن يكون هناك فرقٌ في جانبٍ آخر، وهذا الفرق -ولو بدا لنا طفيفاً- يكون له أثرٌ بالغٌ في المعنى، وهو ما لا تقبله تراكيب القرآن الكريم.

إضافةً إلى الفروق في المعاني، هناك فروقاتٌ عديدة يتحقّق بها سرّ الفصاحة والبلاغة، فـ"لا جرمَ أن المعنى الواحد يعبَّر عنه بألفاظ لا يجزي واحدٌ منها في موضعه عن الآخر إن أريد شرط الفصاحة، لأن لكلّ لفظٍ صوتاً أشبه موقعه من الكلام ومن طبيعة المعنى الّذي هو فيه والّذي تُساق له الجملة"[2]، إنّه تركيبٌ متماسك، بأصواته وألفاظه وجمله وآياته وسوره، بجماليّاتها ومعانيها، فـ"الكلمة الفصيحة هي الّتي حسُن تأليفها، أي تناسبت أجراس حروفها الأصليّة بحيث لا يكون في نطقها عسرٌ ولا ثِقل"[3]، إضافةً إلى ائتلافها مع الألفاظ التي تشكّل معها الجمل، كما تجدها مناسبةً لموضعها في السّياق وكذا المعنى العام.

القرآن الكريم معجزٌ بأصواته وألفاظه وآياته وسوره ونصّه، و"مردّ بلاغة القرآن الكريم ترجع في جانبٍ كبيرٍ منها، إلى الدّقة المتناهية في اختيار ألفاظه، من حيث مطابقة اللّفظ للمعنى، وعرضه في المظهر المطلوب والمكان المناسب، وأن الكلمة القرآنية تمتاز إلى جانب الإيقاع الخاص في السّمع باتّساقها الغريب

---

(1) - الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص273.

(2) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص155.

(3) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص308.

مع المعنى، حتى إنّ القارئ يُحسّ بإطلالة المعنى المطلوب، أو كأن فيها إشراقًا تتألّق فيه صورة المعنى أمام ذهنه وبصره"(1)، بينما تعجز المجلّدات عن الإتيان بالمعنى في صورةٍ مماثلةٍ لما هو عليه في تراكيب القرآن الكريم.

وتحقيقاً لصفة انتقاء الألفاظ وعذوبتها، فإن القرآن يعمد إلى تهذيب ما قد يُعاب من اللفظ إذ دعا داعٍ بلاغي لوروده فيه. ولهذا فإنك ترى في القرآن كلماتٍ يشهد الذّوق بحسنها لأنها هُذِّبت ووُضعت وضعاً مُحْكماً فيه، بينما تراها في غيره مَعيبةً شاذة(2).

تحقّق ألفاظ القرآن كلّها جزءًا هامًّا من بلاغته، و"إنك لا تجد في القرآن كلمةً معيبةً من حيث الصّورة أو الاستعمال، ولاتجد فيه لفظاً قلقاً مضطرباً أو نابيًّا في موضعه. إلى آخر تلك العيوب التي يردّدها نقّاد الشّعر وخبراء الأساليب، وسلامة اللفظ القرآني من العيوب نعني بها أن الألفاظ في القرآن مختارةٌ منتقاة لم يأت لفظٌ فيه حيثما اتّفق، بل تدبير حكيمٍ عليم. وإلى جانب انتقاء اللفظ القرآني من حيث صورة اللفظ نفسه –حروفه وحركاته وسكناته- فإن القرآن يؤثر استخدام الألفاظ القصار الثّلاثية الأصول أو الرّباعية الأصول. والثّلاثية الأصول فيه أوفر عدداً من الرّباعية"(3)، وهذا كلّه يسهم في جعل ألفاظ القرآن عنصرًا أساسيًّا يعطي للنّصّ القرآني ميزةً أسلوبيّةً متفرّدة معجِزة.

(1) - الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص292.
(2) - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، ص246.
(3) - المرجع نفسه، ص246.

4- حسن التّأليف (الانسجام):

من مميّزات ألفاظ القرآن الكريم حسن التّأليف، وهو "أن تتّخذ المفردات مواقعَ معيّنةً في تشكيلٍ لغويٍّ مفيد، فالتّأليف هو النّظم وهو التّشكيل، لكن عندما يكون حديثنا عن التّشكيل الذي تُردّ إليه موسيقيّة اللغة وانسجام تأليفها وبلاغة إيقاعها، فإننا حينئذٍ نعني التّشكيل الحيّ النّابض المتلائم والذي ينشأ بدايةً من حسن توزيع المواقع، ومن دقّة ترتيب وتركيب الكلمات"(1)، للوصول إلى معاني لا تنبغي لغير تلك الصّورة التي أتت عليها الألفاظ اختياراً وتأليفاً، صوتًا وصياغةً وتركيباً جُمليّاً، وأسلوباً جماليّاً.

والانسجام في نصّ القرآن الكريم نابعٌ من جميع مستوياته اللغوية، بدايةً من المستوى الصّوتي، إذ تتكوّن الكلمة في التّشكيل المنسجم من حروفٍ ذات صفاتٍ معيّنة تتناغم مع المعنى والجوّ الذي يدور في إطاره النّص، وهذه الميزة عزيزة المنال، وقلّما تجدها إلاّ عند شاعرٍ مطبوع أو أديبٍ فذّ، قد استوعب إحساس اللغة واستجاب لصدى أصواتها فأحسن التّعامل معها، وهذه الميزة وإن تحقّقت في كلام الأدباء والشّعراء فإنها عزيزة المنال قلّما تجدها عند أديبٍ أو شاعرٍ ولا تجدها عنده إلا بعد تفتيشٍ وطول نظرٍ في كلامه. أمّا القرآن الكريم كتاب الله المعجز، فإن تلك

(1) - البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، ص48.

الميزة تتحقّق فيه بشكلٍ مطّرد[1]، وفي صورةٍ تحمل إيحاءً وسرًّا جماليّاً وأسلوبيًّا ليس في كلام بلغاء وفصحاء البشر من مثلِه شيء.

والأمر في حسن التّأليف في المستوى الصّوتي لا يقتصر على مخارج الحروف، وإنما يتعدّاها إلى الاعتداد بالصّفات، فكما يتنافر الصّوتان بسبب مخرجيهما يتنافران بسبب الصّفتين أيضاً، فثمّة صفاتٌ تقف الواحدةُ منها من الأخرى موقفاً عناديًّا تناكريًّا، بحيث لا تتّفق الواحدة مع الأخرى في جوارٍ واحد، مثال ذلك أن الاستعلاء لا ينسجم مع الاستفال ولا ينسجم الإطباق والانفتاح ولاالصّفير والتّفشي...[2]، والقرآن يراعي جميع ذلك، دون أن يَحدث خلل في المعاني والدّلالات.

والانسجام حاضرٌ أيضاً في المستوى اللفظي من النّص القرآني، ومن دلائله: "يُسر الانتقال من الكلمة إلى الّتي تليها، بحيث ينتقل اللسان من كلمةٍ لأخرى في سهولةٍ وراحةٍ وكأنه ينطق كلمةً واحدة، وبحيث يصل بين نهاية كلمةٍ وبداية أخرى وكأنه ينطق حرفاً واحداً"[3]، ولأصوات الحروف دورٌ كبيرٌ في هذا، كما ينتقل التّأثير إلى المستوى الجُملي، ومنه إلى أسلوب النّص القرآني كلّه.

---

(1) - البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، ص52.

(2) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص310.

(3) - البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، ص54.

إنما يُعنى بالكلام عن ظاهرة حسن التّأليف في مستوى الألفاظ، الأصول الثّلاثة للكلمة المفردة، أما فيما يتجاوز هذه الأصول فإنّنا نجد من حالات التّوالي ما يدعو إلى شيءٍ من التّرخص في التّأليف[1]، والتّرخّص هنا ليس خروجًا عن الانسجام، وإنّما هو عدولٌ أسلوبيٌّ يحقّق أغراضًا دلاليّةً، دون الإخلال بالجانب الجمالي.

- **أمثلة عن الانسجام ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة:**

قوله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ﴾[2].

في لفظ (بسطت) توالت الطّاء (وهي لام الكلمة) والتّاء (وهي ضمير المخاطب) لأن الاستعمال يحتّم التّاء للدّلالة على المخاطَب فالتّاء بخصوصها ضروريّةٌ للدّلالة على المخاطَب، كما أن الطّاء بخصوصها لا يُستغنى عنها بوصفها لام الكلمة في الفعل (بَسَطَ) ومن هنا لا يمكن إسناد (بَسَطَ) إلى المخاطَب إلاّ بتوالي الطّاء والتّاء، وهكذا يأتي التّرخص في التّأليف طبيعيًّا[3]، والقراءة القرآنية تؤدّي دوراً هامًّا وأساسيًّا في تحقيق الانسجام في مثل هذه المواضع.

(1) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص310.

(2) - المائدة 28.

(3) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص313.

ومن التّرخص أيضاً: الالتزام عند مفصل الكلمتين بتكوين كلٍّ منهما. مثالٌ عن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾[1]. فالتقت الذّال والتّاء ومخرجاهما متقاربان فالذّال تُنطَق بوضع طرف اللّسان بين الأسنان والتّاء تُنطق بوضعه بحيث يلامس داخل الأسنان العليا وجزءًا من اللّثة، وحكمُه في الكلمة الواحدة الإدغام كما في قوله تعالى من سورة يوسف: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[2]. ولكن (إذ) كلمةٌ مستقلّة تبدأ بهمزةٍ مكسورة وتنتهي بذالٍ ساكنة و:((تُخْرِجُ)) كلمةٌ أخرى مستقلّة تبدأ بتاء المضارعة، ولو ذهب أحد الصّوتين لذهبت الكلمة الّتي هو منها، فلا مناص من التّرخص في التّأليف للمحافظة على الكلمتين وبالتّالي المحافظة على المعنى بأسلوبٍ جماليٍّ معجز[3].

قال سبحانه: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[4].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾[5].

في الآيتين الكريمتين من سورة المائدة، التقت الدّال والضّاد عند مفصل الكلمتين (فقد ضلّ)، و:(قد ضلّوا)، على رغم اتّصال مخرجيهما واشتراكهما في

---

(1) - المائدة 110.
(2) - يوسف 45.
(3) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص314.
(4) - المائدة، 12.
(5) - المائدة، 77.

بعض الصّفات، ولكن النّص القرآني عالج هذا النّوع من التّرخص إمّا بقلقلة الدّال كما في قراءة حفص وإمّا بإدغامٍ كما في قراءة ورش. وهكذا خفّت وطأة التّرخص في الآيات المذكورة(1)، فتحقّق المعنى وروعيَت جماليّة المبنى عن طريق القراءة وتوظيف الجانب الأسلوبي الصّوتي.

يعتبر الانسجام الكامن في المستويين الصّوتـي والصّرفي أحد أوجه الإعجاز اللغوي والبلاغي للقرآن الكريم، وعلى الرّغم من كثرة الحديث حول هذا المحور، بما يعكس الإحساس القويّ به، فإننا لا نكاد نرى أحداً يضبط خصائصه وقواعده ضبطاً محدّدًا أو يخرج بنظريّةٍ صوتيّةٍ تحدّد معالم موسيقيّة اللغة وأسباب انسجام تراكيبها(2)، فإعجاز القرآن الكريم ليس مقتصراً على وحداته التّركيبيّة الجمليّة ودلالاته السّياقية، وإنّما يتحقّق جزءٌ غير محصورٍ منه في المستويين الصّوتي والصّرفي.

5- الأوزان والصّيغ الصّرفية :

تمثّل الأوزان والصّيغ الصّرفية الجزء الأهمّ من الدّراسات الصّرفية، لما لها من تأثير كبيرٍ في تحديد الدّلالات الموضعيّة، ورسم الطّريق نحو الدّلالات السّياقيّة، فكلّ عدولٍ في استعمال هذه الأوزان والصّيغ، لابدّ وأن يكون لغايةٍ دلاليّة إمّا بصفةٍ مباشرة أو مرورًا بالمؤثّرات الجماليّة.

(1) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص315.

(2) - البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، ص49.

- صيغ المبالغة :

من الأبنية الصّرفية (صيغ المبالغة)، والمبالغة عند البلاغيّين هي: "أن يَذكرَ المتكلِّم وصفاً فيزيد فيه حتّى يكون أَبلغ في المعنى الذي قصده"[1]، فتلحق الزّيادةَ في المبنى زيادةٌ في المعنى، وكلّ زيادةٍ وكلّ صيغةِ مبالغة تؤدّي معنًى محدّدًا يدعمه السّياق الذي ترد فيه.

ولصيغ المبالغة حسب الزّركشي طريقان:

- **أحدهما:** أن يُستعمل اللفظ في غير معناه لغةً، كما في الكناية والتّشبيه والاستعارة وغيرها من أنواع المجاز، ويُدرك المعنى هنا وفقًا للسّياق أو وفقًا لما درجت عليه العرب في الشّائع من التّعبيرات البلاغيّة.
- **والثاني:** أن يُشْفَع ما يفهِم المعنى بالمعنى على وجهٍ يقتضي زيادة[2]، وهنا تكون الزّيادة محكومةً بما يتطلّبه الشّرح والتّوضيح الذي يورده المتكلّم قصد تبليغ فكرته.

(1) - الإتقان، السيوطي، ص667.

(2) - البرهان، الزركشي، ج03، ص60-61.

ومن الأمثلة عن دور الأوزان والصّيغ الصّرفية ومدى تأثيرها الدّلالي والجمالي في النّص القرآني، من سورة المائدة :

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ﴾[1].

لصيغ الأفعال دلالاتها أيضًا، ومعرفتها تساعد على إدراك المعنى، لكنّها تبقى محكومةً بالسّياق، والفعل (اصْطَادُوا) في الآية الكريمة على وزن (افْتَعَلُوا) وهي صيغة افتعال، استُعملت في الكلام لغير معنى المطاوعة الّذي هو مدلول صيغة الافتعال في الأصل، (فاصطاد) في كلام العرب مبالغةٌ في (صَادَ)، ونظيره: اضطرّه إلى كذا. وقد نُزّل (اصْطَادُوا) منزلةَ فعلٍ لازمٍ فلم يُذكر له مفعول[2].

ووردت في الآية لفظة: (شَنَآن) والشنآن هو البغض، وقيل: شدّة البغض. وهو من المصادر الدالّة على الاضطراب والتقلّب لأنّ الشنآن فيه اضطراب النّفس، فهو مثل الغليان والنزَوان[3].

قال عزّ وجلّ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾[4].

---

(1) - المائدة، 02.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص85.

(3) - المصدر نفسه، ج06، ص86.

(4) - المائدة، 03.

جاءت لفظتا (النّطيحة) و(المنخنقة) بصيغة المؤنّث، وظهرت علامة التّأنيث (تاء التّأنيث) في هذه الأوصاف، وهي من باب فَعِيل بمعنى مَفْعُول، لأنّها لم تجرِ على موصوفٍ مذكور فصارت بمنزلة الأسماء(1).

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾(2).

الفعل المضارع (يسألونك) مستعملٌ للدّلالة على تجدّد السؤال، أي تكرّره أو توقّع تكرّره وإن كان السّؤال لم يقع، وإنّما قُصد به توقّع السؤال،كأنّه قيل: (إن سَألوكَ)، فالإتيان بالمضارع بمعنى الاستقبال لتوقّع أن يسأل النّاس عن ضبط الحلال(3).

قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا﴾(4).

لفظة: (النّقيب) فَعِيل بمعنى فَاعِل، وهي تحتمل معنيين: إمّا من (نَقَب) إذا حُذِف مجازًا، أو من (نقّب) إذا بُعِث (فنقَّبوا في البلاد)، وعلى الأخير يكون صوغ

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص92.

(2) - المائدة، 04.

(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص110.

(4) - المائدة، 12.

(فَعِيل) منه على خلاف القياس وهو واردٌ كما صيغ (سميع) من (أسمَع) في قول عمرو بن معد يكرب: "*أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ*" أي المُسْمِع(1).

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(2).

لفظة: (قاسيةً) مفعولٌ به ثانٍ لجعلنا وأصله قَاسِوَةً لأنّه من القَسوة، فقُلبت الواو ياءً لتُناسب الكسرة قبلها. وخيانة: أصلها خِوانة لقولهم: فلان يخون، وفلان أخْوَنُ من فلان، وهو خَوَّان، فقُلبت الواو ياءً لتُناسب الكسرة قبلها(3)؛ فههنا مناسبةٌ صوتيّة.

والفعل (يُحَرِّفُونَ) في الآية الكريمة جيء به على صيغة المضارع للدّلالة على استمرارهم في التّحريف(4).

وفي قوله تعالى: (وَنَسُوا حَظًّا)، جيء بالفعل (نَسُوا) بصيغة الماضي لأنّ النّسيان لا يتجدّد فإذا حصل مضى حتّى يُذكِّره مذكِّر، وهو وإن كان مرادًا به

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص140.

(2) - المائدة، 13.

(3) - معرض الإبريز من الكلام الوجيز عن القرآن العزيز، عبد الكريم محمّد عبد الكريم الأسعد، دار المعراج الدّولية للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ/ 1997م، ص471.

(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص143.

الإهمال فإنّ في صوغه بصيغة الماضي ترشيحًا للاستعارة أو الكناية لتهاونهم بالذّكرى(1).

وفي قوله عزّ وجلّ (لا تَزَالُ تَطَّلِعُ)، جيء بالفعل (لا تزال) بصيغة المضارع للدّلالة على استمرار الفعل، لأنّه في قوّةِ أن يقال: (يدوم اطّلاعك). فالاطّلاع مجازٌ مشهورٌ في العلم بالأمر، والاطّلاع هنا كناية عن المطّلَعِ عَليه، أي: لا يزالون يخونون فتطّلع على خيانتهم. والاطّلاع افتعالٌ من طَلع، والطُّلُوع: الصُّعود. وصيغة الافتعال فيه لمجرّد المبالغة إذ ليس فعله متعدّيًا حتّى يصاغ له مُطاوع فاطّلع بمنزلة تطلّع، أي: تكلّف الطُّلوع لقصد الإشراف. والمعنى: ولا تزال تكشف وتشاهد خائنةً منهم(2).

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾(3).

نظر الطّاهر بن عاشور لقوله تعالى: (وَجَعَلَكُم ملوكًا) من زاويتين اثنتين، قال: "وهذا تشبيهٌ بليغ، أي كالملوك في تصرّفهم في أنفسهم وسلامتهم من العبوديّة الّتي كانت عليهم للقبط... أو استعمل فعل (جَعَلَكُم) في معنى الاستقبال مثل (أَتَى أَمْرُ الله) قصدًا لتحقيق الخبر، فيكون الخبر بشارةً لهم بما سيكون لهم"(4).

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص144.
(2) - المصدر نفسه، ج06، ص144.
(3) - المائدة، 20.
(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص161.

قال عزّ وجلّ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(1).

لفظ (قَرَّبَا) هنا فِعْلٌ مشتقّ من القُربان، الّذي صار بمنزلة الاسم الجامد، وأصله مصدر كالشُّكران والغفران والكُفران، يسمّى به ما يَتقرّب به المرء إلى ربّه من صدقةٍ أو نُسكٍ أو صلاة، فاشتُقّ من القربان قرّب كما اشتقّ من النُّسك نَسَكَ ومن الأضحيّة ضَحَّى ومن العقيقة عَقَّ، وليس (قَرَّبَا) هنا بمعنى أدْنَيَا إذ لا معنى لذلك هنا(2).

قال تعالى: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(3).

"ضمير (فِيهَا) عائدٌ إلى التّوراة، فتأنيثه مراعاة لاسم التّوراة، وإن كان مسمّاها كتابًا، ولكن لأنّ صيغة فعلاة معروفة في الأسماء المؤنّثة مثل مَومَاة"(4).

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞ﴾(5).

(1) - المائدة، 27.
(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص169.
(3) - المائدة، 43.
(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص207.
(5) - المائدة، 45.

تحتمل لفظة (قِصَاص) معنيين حسب الطّاهر بن عاشور: أحدهما كونها مصدرًا للفعل (قَاصَّ) الدّال على المفاعلة، لأنّ المجنيّ عليه يقاصّ الجاني والجاني يقاصّ المجني عليه، أي يقطع كلٌّ منهما التّبعة عن الآخر بذلك. والمعنى الثّاني كون (قصاص) مصدرًا بمعنى المفعول، كالخلْق بمعنى المخلوق والنّصب بمعنى المنصوب، أي: مَقْصُوصٌ بعضُها ببعض(1).

قال سبحانه: ﴿**وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ**﴾(2).

فعل (قفّى) المشدّد مضاعف (قفا) المخفّف، والأصل في التّضعيف أن يفيد تعدية الفعل إلى مفعولٍ لم يكن متعدّيا إليه، فيكون حقّ التّركيب: وقفَّيناهم عيسى بن مريم، ويكون إدخال الباء في (بعيسى) للتّأكيد. وإذا جُعل التّضعيف لغير التّعديّة بل لمجرّد تكرير وقوع الفعل مثل (جَوَّلْت) و(طَوَّفْت) كان حقّ التّركيب: وقفّيناهم بعيسى بن مريم. وعلى الوجه الثّاني جرى كلام الكشّاف فجعل باء (بعيسى) للتّعدية. وعلى كلا الوجهين يكون مفعول (قَفَّيْنَا) محذوفًا يدلّ عليه قوله تعالى: (عَلَى آثَارِهِم) لأنّ فيه ضمير المفعول المحذوف(3).

---

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص215.

(2) - المائدة، 46.

(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص218.

قال عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[1].

جيء في قوله (يَقتلون) بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية، والحكمة من ذلك استحضار تلك الحالة الفظيعة، إبلاغًا في التّعجيب من شناعة فاعليها[2].

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

معنى عبارة (ثَالِثُ ثَلاثَةٍ): واحدٌ من تلك الثّلاثة، لأنّ العرب تصوغ من اسم العدد (من اثنين إلى عشرة) صيغةَ (فاعل) مضافًا إلى اسم العدد المشتقّ هُو منه، لإرادة أنّه جزءٌ من ذلك العَدد نحو: (ثَانِي اثْنَيْن)، فإن أرادوا أنّ المشتقّ له وزنُ فاعل هو الّذي أكْمَلَ العدد أضافوا وزنَ (فاعل) إلى اسم العدد الّذي هو أرقَى منه فقالوا: (رابِعُ ثلاثة)، أي جَاعل الثّلاثة أربعة[4].

---

(1) - المائدة، 70.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص275.

(3) - المائدة، 73.

(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص282.

قال عزّ وجلّ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(1).

فعل (يقولون): جيء به على صيغة المضارع لأنّه المناسب للانتهاء، إذ الانتهاء إنّما يكون عن شيءٍ مستمرّ؛ ومعنى (عمّا يقولون): (عمّا يعتقدون)، لأنّهم لو انتهوا عن القول باللّسان وأضمروا اعتقاده لما نفعهم ذلك، فلمّا كان شأن القول لا يصدر إلاّ عن اعتقادٍ كان صالحاً لأن يكون كنايةً عن الاعتقاد مع معناه الصّريح(2).

قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾(3).

(ما) في قوله (بما عصوا) مصدريّة، أي: (بعصيانهم وكونِهم معتدين)، فعُدل عن التّعبير بالمصدرين إلى التّعبير بالفعلين مع (ما) المصدريّة لتفيد صيغة الفعلان معنى تَجدُّد العصيان واستمرار الاعتداء منهم، ولتفيد صيغة المضيّ أنّ ذلك أمرٌ قديم فيهم، وصيغة المضارع أنّه متكرّر الحدوث، فالعصيان هو مخالفة أوامر الله تعالى والاعتداء هو إضرارٌ بالأنبياء، وإنّما عبّر في جانب العصيان بالماضي لأنّه تقرّر فلم يَقبل الزّيادة، وعُبّر في جانب الاعتداء بالمضارع لأنّه مستمرّ، فإنّهم اعتدوا

(1) - المائدة، 73.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص283.

(3) - المائدة، 78.

على محمّد صلّى الله عليه وسلّم، بالتّكذيب والمنافقة ومحاولة الفتك والكيد(1)، وهذا العدول في استعمال صيغتي الماضي والمضارع في موضعين متقاربين، ومناسبة كلٍّ منهما للسّياق، هو من الحكمة ومن الإعجاز الذي يتميّز به لفظ القرآن ونظمه.

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾(2).

حرفا السين والتاء في لفظ الاستكبار للمبالغة، وهو يُطلق على التكبّر والتّعاظم، ويطلق على المكابرة وكراهية الحقّ وهما متلازمان. فالمراد من قوله (لا يستكبرون) أنَّهم متواضعون منصفون(3)، وذلك ضدّ الاستكبار.

قال عزّ وجلّ: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(4).

عبارة (استَحقَّا إثما) إثباتٌ لارتكابهما ما يأثمان به، فقد حقّ عليهما الإثم، أي وقع عليهما، فالسّين والتاء أفادتا التّوكيد(5).

---

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص293.

(2) - المائدة، 82.

(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص08.

(4) - المائدة، 107.

(5) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص89.

قال عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[1].

العدول في الآية في صيغة الماضي للفعل (قالوا)، عن جواب الرُّسل، مع أنّ الجواب لم يقع، والحكمة من ذلك: الدّلالة على تحقيق أنّه سيقع حتّى صار المستقبَل من قوّة التّحقّق بمنزلة الماضي في التّحقّق. على أنّ القول الذي تحُكى به المحاورات لا يلتزم فيه مراعاة صيغته لزمان وقوعه، لأنّ زمان الوقوع يكون قد تعيّن بقرينة سياق المحاورة[2].

ومن صيغ المبالغة في سورة المائدة لفظة (سمّاعون) في قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾[3]. وهي على وزن (فَعَّال)، بمعنى: (مبالِغون في سماع الكذب)[4].

6- الجمع والتّثنية والإفراد :

يرى السّيوطي أن ليس في القرآن من الألفاظ المعدولة إلاّ ألفاظ العدد: كما في قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[5]. ومن غيرها ﴿طُوًى﴾[1] فيما ذكره

(1) - المائدة، 109.
(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص100.
(3) - المائدة، 41.
(4) - الإعجاز البلاغي، محمد حسين سلامة، ص87.
(5) - النساء، 03./ و: فاطر، 01.

الأخفش[2]، ومن الصّفات: ﴿أُخَرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[3] '[4]؛ ويرى الرّاغب الأصفهاني أنّ (أُخَرُ) مَعْدُولٌ عن تقدير ما فيه الألف واللام وليس له نظيرٌ في كلام العرب، إلاّ أن يُذْكَرَ معه (مِنْ) لَفْظاً أو تقديراً فلا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ ولا يُؤَنَّثُ، وإمّا أن يُحْذَف منه (مِنْ) فيَدْخُل عليه الألفُ واللامُ فيُثَنَّى ويُجمع. وهذه اللفظة مِن بين أخواتها جُوِّزَ فيها ذلك من غير الألف واللام[5]، فعُدل بها عمّا اعتاده العرب إلى ما لا يقدرون على الإتيان بمثله، فكانت بليغةً معجزةً.

والقاعدة عند السّيوطي أن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي تارةً مقابلة كلّ فردٍ من هذا بكلّ فردٍ من هذا، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾[6]. أي: استغشى كلٌّ منهم ثوبَه؛ وتارةً يقتضي ثبوت الجمع لكلّ فردٍ من أَفراد المحكوم عليه، نحو قوله

---

(1) - طه، 12.

(2) - يقصد كتاباً في الإفراد والجمع، ذكر فيه الأخفش جَمْعَ ما وقع في القرآن مفرداً، ومفرد ما وقع جمعاً؛ ينظر: الإتقان، السيوطي، ص462.

(3) - آل عمران، 07.

(4) - الإتقان، السيوطي، ص462.

(5) - المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالرّاغب الأصفهاني (ت502هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، ج01، ص16.

(6) - نوح، 07.

عزّ وجلّ: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[1]. أي ثمانين جلدةً لكلّ فردٍ منهم؛ وتارةً يحتمل الأمرين، فيحتاج إلى دليلٍ يعيّن أحدهما[2].

وأمّا مقابلة الجمع بالمفرد فالغالب ألاّ يقتضي تعميم المفرد، وقد يقتضيه كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[3]. المعنى: على كلّ واحدٍ لكلّ يومٍ طعام مسكين، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[4]؛ لأنّ على كلّ واحدٍ منهم ذلك[5]، أي لكلّ واحدٍ منهم ثمانين جلدةً، فهنا قوبل الجمع بالمفرد.

قال عزّ وجلّ في سورة المائدة: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[6].

هنا عدولٌ أسلوبيٌّ معجز، إذ أراد الله تعالى بـ (أيديهما): أيمانَهما، بالخَبَر والإجماع، أي –بالسُّنَّة وما جاء في ذلك عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم (كما بيّن الشّارح)- وإنّما اختير الجمع على الإفراد لمناسبته للتّثنية في أنه ضمُّ مفردٍ إلى شيءٍ

---

(1) - النور، 04.
(2) - الإتقان، السيوطي، ص463.
(3) - البقرة، 184.
(4) - النور، 04.
(5) - الإتقان، السيوطي، 463.
(6) - المائدة، 38.

آخر، ولذلك قال بعض الأصوليين: إن المثنّى جمع، ولم يفرّق سيبويه بين أن يكون متّحدًا في كلّ واحدٍ منهما، نحو: قلوبكما، أو لا يكون نحو: أيديكما، استدلالاً بقوله تعالى: فاقطعوا أيديهما(1).

والعدول إلى المفرد في القرآن الكريم ورد لأغراضٍ بلاغيّةٍ أيضاً، ومثاله ما جاء في القرآن الكريم من إفراد لفظ النّعمة في سياقاتٍ عديدة أريدَ التّعبير فيها عن كثرة النِّعم، ومع ذلك فقد جاءت الصّيغة مفردةً في تلك المواضع، حتّى بلغ عددها سبعةً وأربعين موضعا، ولم ترد مجموعةً إلاّ في مواضع ثلاثة(2)؛ مثال عن ورودها مفردةً:

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠﴾(3).

يقول عبد الحميد هنداوي في بحثه في الإعجاز الصّرفي في الآية الكريمة بأنّ سيّدنا موسى عليه السّلام عدّد ثلاث نعمٍ على سبيل الإجمال، وإلاّ فتفصيل تلك النّعم وخاصّةً إيتاؤهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين لا يُستطاع ولا يُقدر على عدّه، ومع ذلك فقد أفرد الله تعالى النّعمة. وهكذا في سياقاتٍ كثيرة يدلّ السّياق على العدول في لفظ النّعمة عن الجمع إلى الإفراد، ويعلّل العلماء لذلك بأن النّعمة (اسم جنسٍ) فهي مفردةٌ بمعنى الجمع، فالنّعمة إذًا على بناء اسم الهيئة كالمشية والجلسة، وهذا البناء

(1) - ينظر: شرح الرّضيّ على الكافية، ج3، ص361.
(2) - الإعجاز الصرفي، عبد الحميد هنداوي، ص178.
(3) - المائدة، 20.

إنما وُضع للدّلالة على الهيئة لا على العدد، ومعلومٌ أن هيئة الشّيء يدخل فيها إفراده التي تركّب منها والنّظر إلى دقّة صنعها وما فيها من جمالٍ ولطفٍ وإبداع، فكأنّ تراكب الدّلالة للفظة النّعمة في تلك السّياقات من الإفراد والهيئة يدلّ على أن المراد هو في تفاصيل كلّ نعمةٍ بمفردها، وفي هيئتها الحاصلة وما اشتملت عليها من نعمٍ لا تعدّ ولا تحصى(1).

وبعض الألفاظ لم يأت في القرآن إلاّ مجموعاً، كلفظة (اللُّبّ) فإنها لم ترد إلاّ مجموعة ولم تجئ فيه مفردةً، وإذا أريد المفرد جيء بلفظة (القلب)، وذلك لأن لفظ الباء شديدٌ مجتمِع ولا يُفضي إلى هذه الشّدة إلاّ من اللام الشّديدة المسترخية، فلمّا لم يكن ثمّ فصلٌ بين الحرفين يتهيّأ معه الانتقال على نسبةٍ بين الرّخاوة والشدّة، تَحْسُن اللفظة مهما كانت حركة الإعراب فيها نصباً أو رفعاً(2).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(3).

وعكس ذلك لفظة (الأرض)، فإنها لم ترد في القرآن الكريم إلاّ مفردةً، فإذا ذُكرت السّماء مجموعةً جيء بها مفردةً في كلّ موضعٍ منه، ولمّا أريد الجمع أُخرجت على صورةٍ ذهبت بسرّ الفصاحة وذهب بها، حتّى خرجت من الرّوعة بحيث يسجد لها كلّ فكرٍ سجدةً طويلة، وهي في قوله تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ**

(1) - الإعجاز الصرفي، عبد الحميد هنداوي، ص179/178.
(2) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص160.
(3) - المائدة، 100.

﴿سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾(1). ولم يقل: وسبع أرَضِين، لهذه الجسأة التي تدخل اللفظ ويختل بها النّظم اختلالاً(2)، ووردت لفظة الأرض في سورة المائدة خمسة عشر مرّةً، كلّها بصيغة المفرد، وذلك في الآيات: (17- 18- 21- 26- 31- 32- 33- 36- 40- 64- 97- 106- 120).

- **أمثلة عن صيغ الجمع والتثنية والإفراد ودلالاتها العدوليّة من سورة المائدة:**

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾(3).

يقول الطاهر بن عاشور: "الجَوَارِح: جمع الجَارِح أو الجَارِحَة، جرى على صيغة جمع (فَاعِلَة)، لأنّ الدوابّ مراعى فيها تأنيث جمعها"(4).

قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(5).

يرى الطاهر بن عاشور أن قوله تعالى: (وجعلكم ملوكًا)، يحتمل معنيين: أحدهما: معنى جَعْل الأنبياء فيهم، إذ يجوز أن يكون في عمود نسبهم فيما مضى مثل سيدنا يوسف والأسباط وموسى وهارون عليهم السّلام؛ أمّا الاحتمال الآخر فيجوز

(1) - الطلاق، 12.
(2) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص160.
(3) - المائدة، 04.
(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص114.
(5) - المائدة، 20.

أن يراد جعل المخاطبين أنبياءَ فيُحتمل أنّه أراد نفسه، فيكون قوله (أنبياءَ) جمعًا أريد به الجنس فاستوى الإفراد والجمع لأنّ الجنسيّة إذا أريدت من الجمع بطلت منه الجمعية، وهذا الجِنس انحصر في فردٍ يومئذ، كقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾[1]. يريد محمّداً صلى الله عليه وسلّم، أو أراد من ظهر في زمن موسى من الأنبياء[2].

قال عزّ وجلّ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[3].

في الآية الكريمة أُفرِد لفظ (القربان) وذلك لإرادة الجنس، إذ المعنى أنّ كلّ واحدٍ منهما قرّب قربانًا وليس هو قربانٌ مشترك[4].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[5].

أفرد الضّمير في قوله (به) مع أنّ المذكور شيئان هما: (ما في الأرض– ومثلَه)، يذكر الطّاهر بن عاشور للإفراد هنا تفسيرين: أحدهما على اعتبار الضّمير

(1) - المائدة، 44.
(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص161.
(3) - المائدة، 27.
(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص170.
(5) - المائدة، 36.

راجعا إلى (ما في الأرض) فقط، ويكون قوله (ومثلَه معه) معطوفًا مقدّمًا من تأخير؛ وأصل الكلام: لو أنّ لهم ما في الأرض ليفتدوا به ومثلَه معه. ودلّ على اعتباره مقدَّمًا من تأخير إفراد الضّمير المجرور بالباء. ونكتة التّقديم: تعجيل اليأس من الافتداء إليهم ولو بمضاعفة ما في الأرض. والتّفسير الآخر -وهو الظّاهر عند الطاهر بن عاشور- أن يكون الضّمير عائدًا إلى (مثله معه)، لأنّ ذلك (المثل) شمل ما في الأرض وزيادة، فلم تبقَ جدوى لفرَض الافتداء بما في الأرض لأنّه قد اندرج في مثله الّذي معه[1].

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلاً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

في قوله تعالى (أَيْدِيَهُمَا) جمعٌ وتثنية، وكلاهما مرادٌ به معنى التّثنية، إذ "جُمِع الأيدي باعتبار أفراد نوع السّارق. وثنّي الضّمير باعتبار الصّنفين الذّكر والأنثى، فالجمع هنا مرادٌ منه التّثنية"[3]، مثل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[4].

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص189/188.

(2) - المائدة، 38.

(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص190.

(4) - التحريم، 04.

قال عزّ وجلّ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾[1].

اللومة الواحدة من اللّوم، وأريد بها هنا مُطلق المصدر (اللّوْم) لأنّها لمّا وقعت في سياق النّفي فعمّت زال منها معنى الوحدة، كما يزول معنى الجمع في الجمع المعمَّم بدخول (ال) الجنسية لأنّ (لا) في عموم النّفي مثل (ال) في عموم الإثبات، أي: لا يخافون جميع أنواع اللّوم من جميع اللائمين، إذ اللّوْم أنواع، منه: شديدٌ كالتّقريع، وخفيف، واللائمون كذلك: منهم اللّائم المخيف، والحبيب، فنفى عنهم خوفَ جميع أنواع اللّوم. ففي الجملة ثلاث عمومات: عُموم الفعل في سياق النّفي وعموم المفعول وعموم المضاف إليه[2].

قال عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[3].

في قوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان): ذكر اليد بصيغة المثنّى لزيادة المبالغة في الجُود، واليَدُ في حال الاستعارة للجود أو للبُخل لا يُقصد منها مفردٌ ولا عدد، وجملة (يُنفقُ كيف يَشَاءُ) بيانٌ لاستعارة (يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ)؛ فالتّثنية مستعملةٌ في

---

(1) - المائدة، 54.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص238.

(3) - المائدة، 64.

مطلق التّكرير، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾(1)، وقولِهم (لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْك).

وقول الشّاعر:

جَادَ الْحِمَى بَسِطُ اليدَيْن بِوَابِل *** شَكَرَتْ نَدَاهُ تِلاعُهُ ووِهَادُه(2).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(3).

لفظ (رجس): اسم جنس، والإخبار به كالإخبار بالمصدر، أفاد المبالغة في الاتّصاف به حتّى كأنّ هذا الموصوف عينُ الرّجس، ولذلك أيضًا أفرد (رجس) مع كونه خبرًا عن متعدّد لأنّه كالخبر بالمصدر(4).

قال تعالى: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾(5).

قوله تعالى (الأَوْلَيَان) تثنيةٌ لـ (أَوْلَى)، وهو: الأَجْدَرُ والأَحَقُّ، أي: الأَجْدَرَان بقبول قولِهِمَا(6).

---

(1) - المُلك، 04.
(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص250.
(3) - المائدة، 90.
(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص24.
(5) - المائدة، 107.
(6) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص90.

هناك إجراءات عدوليّة صرف-صوتيّة تتبع صياغة البنية، كالإدغام والإخفاء والإقلاب والإعلال والإبدال والنّقل والقلب والحذف والمناسبة، علاجًا لمشاكل تجاور الأصوات؛ ومن هنا نشأت قواعد، كقولهم:

- إذا تحرّكت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها قُلبت ألفا.
- إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسّكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.
- تنقل حركة الواو أو الياء عند ثقلها إلى السّاكن الصحيح قبلها.
- إذا وقعت الواو أو الياء متطرفة إثر ألف زائدة قلبت همزة.
- والمناسبة تحكم تفخيم اللام وترقيقها في لفظ الجلالة، وتحكم حركة الهاء من ضمير الغيبة فتُكسر الهاء إذ سُبقت بكسر أو ياء ساكنة وتُضمّ فيما عدا ذلك وهلّم جرّا(1). هذه القواعد وغيرها فصّل فيها علماء الأصوات، وعلماء التّجويد والقراءات القرآنيّة.

تكتسب الكلمة مرتبةً أساسيّة في الإعجاز الأسلوبي للقرآن الكريم، فـ"القرآن إنما أَعْجَزَ في اللّغة بطريقة النّظم وهيئة الوضع، ولن تستويَ هذه الطّريقة إلاّ بكلّ ما فيه على جهته ووضعه، فكلّ كلمةٍ منه ما دامت في موضعها فهي من بعض إعجازه"(2)، وكلّ مستوى لغويّ يكمّل ويتكامل مع بقيّة المستويات ويؤدّي دورًا في تشكيل دلالات النّص وجماليّاته الفنّية.

---

(1) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص348.

(2) - إعجاز القرآن، الرافعي، ص162.

ب- العدول النّحوي :

لابدّ أن يكون المستوى النّحوي في الدّراسات الأسلوبية متّصلاً ببقية المستويات بالإضافة إلى ارتباطه العميق بالدّلالة وقد "وقف علماؤنا أمام كثير من الظّواهر الدّلالية في تراكيب القرآن الكريم أثناء تفسيرهم للبنيات، فتحدثوا عن التّقديم والتّأخير والحذف والإضمار، والزّيادة والتكرير، وهم إلى جانب عنايتهم بما في أساليب الاستفهام والأمر والنّهي من قضايا نحويّة، ركّزوا أيضًا على ما لهذه الأساليب من دلالاتٍ، ومعانٍ قد تخرج إليها لأغراضٍ خاصّة، ولا سيما في أسلوب القرآن الكريم"(1)، حيث يمكن عدّها عدولاتٍ ومؤشّراتٍ أسلوبيّةً.

وقد كانت الدّراسات النّحوية والصّرفية ترد في نفس المواضع والسّياقات، فارتباطها لا يخفى، و"دراسة الجملة القرآنية تتّصل اتصالاً مباشراً بدراسة المفردة القرآنية لأن هذه أساس الجملة ومنها تركيبها، وإذ كان علماء البلاغة يجعلون البلاغة درجاتٍ فإنهم يُقرُّون دون جدل أن صياغة العبارة القرآنية في الطّرف الأعلى من البلاغة الذي هو الإعجاز ذاته، وللإعجاز فيها وجوهٌ كثيرة"(2)، ويقوم المحلّل الأسلوبي بمحاولة استخراج المؤشّرات الأسلوبية الّتي تكمن فيها هذا الإعجاز بالمرور على مراحل تركيب الجملة أو النّص؛ و"الجملة في القرآن تجدها

(1)- العربية والنص القرآني –دراسة للقضايا اللغوية في كتب إعراب القرآن ومعانيه في أوائل القرن الثالث الهجري، عيسى شحاتة عيسى علي، دار قباء، القاهرة، مصر، 2001م، ص465.

(2) - نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظرياً وتطبيقياً، سامي محمد هشام حريز، دار الشروق، عمّان، الأردن، ط1، 2006م، ص72.

دائما مؤلَّفَةً من كلماتٍ وحروفٍ، وأصواتٍ يستريح لتألفها السّمع والصّوتُ والمَنطِق، ويتكوّن من نظامها نسقٌ جميل ينطوي على إيقاعٍ رائع، ما كان ليتمّ لو نقصت من الجملة كلمةٌ أو حرف أو اختلف تركيبٌ ما بينها بشكلٍ من الأشكال"(1)، مثلما هو عليه الحال في تعابير البشر، الّتي مهما سمت أساليبها ورقت، لابدّ أن يكون للنّقاد إليها مداخل ومؤاخذات.

وقد عُرف العدول النّحوي عند اللغويين والبلاغيين القدامى والمحدثين، حيث يكثر ذكره في المواضع التي تتحدّث عن المؤشرات الأسلوبية النّحوية، و"العُدُول، أو (العَدْل) في اصطلاح النّحويين هو: (خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغٍ أخرى)، سواءٌ أكان هذا الخروج بإسقاط صيغة الاسم الأصلية وإحلال صيغةٍ (نائبةٍ) عنها في محلّها، حيث يَأخذ الاسم النّائب (شيئًا) من خصائص الاسم المنُوب عنه وأحكامه ووظائفه، على سبيل الفرعيّة وليس على سبيل الأصالة كما هو الحال في (النّيابة). أو بإقامة كلمةٍ مكان كلمة وذلك (بتعويض) هذه الإقامة أو (الخروج) بعوضٍ في مكان المعوّض عنه أو في غير مكانه، بحيث لا يمكننا تقدير أصل التّركيب كما هو حاصل في العدول والنّيابة. أو إغناء عنصرٍ عن العنصر المُسْقَط دلالةً لا تركيبًا كما هو الحال في الاستغناء. أو تعاقب الشّيء في الموقع أو الحكم، وليس بين المتعاقبين أصليّةُ أو فرعيّة، وكذلك ليس في (التّعاقب) إسقاطٌ وإحلال

(1) - نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظرياً وتطبيقياً، سامي محمد هشام حريز،ص72.

زيادة"[1]؛ إنّ هذا القول يعني أنّ العدول أو الانزياح من صيغةٍ شائعة إلى صيغةٍ أخرى يكون لسببٍ معيّن، ويكون ذا فائدةٍ دلاليّةٍ، وليس فقط استبدال صيغةٍ بأخرى مكانها، بحيث لا يمكن ذلك دون إحداث أثر في المعنى والدّلالة، فالاختيار بين الصّيغ يكون قائماً على ضوابط، أهمّها إفادة المعنى، و"من المبادئ الملتزمة في علم اللغة الحديث، أن تتّخذ الجملة أساس كلّ دراسةٍ نحويّة وأن تكون بداية كلّ وصفٍ لغويٍّ ونهايته"[2]، لذلك تعتبر الدّراسة النّحويّة ضروريّةً بعد كلّ دراسة صرفيّة في إطار التّحليل اللّغوي.

كما أنّ العدول ليس دائمًا استبدالاً للفظة أو عبارة مكان أخرى لغرضٍ معيّن، إذ "يمكن أن ننظر إلى التّعبير ببنيةٍ تركيبيةٍ مُتَصَرَّفٍ في بنيتها الأصل، تقديمًا أو تأخيرًا على أنّه (عدولٌ) أيضًا، لأنّ هذا التصرّف في بنية التّركيب اللغوي يَشترك هو وكلّ من: النّيابة والتّعويض والاستغناء والتّعاقب مع (العُدُول) في كون كلٍّ منها يخلق أنساقًا تعبيريّةً جديدةً تقتضيها اعتباراتٌ إيقاعيّةٌ وأسلوبيٌّة ودلاليّة تمثّل فروعًا لأصولٍ تقتضيها قواعد التّركيب، وتدلّ عليها قرائن السّياق وتُؤدِّي من خلالها دلالاتٍ محدّدةً دون غيرها، وقيمًا أسلوبيّةً جديدةً فيها من سماتِ الإيجاز والاختصار، أو الاتّساع والتّجوّز والمبالغة وغيرها من الوظائف ما فيها[3]، فالعدول ليس اختياراً

(1) - ينظر: علم الدّلالة التطبيقي في التراث العربي، أ.د هادي نهر، دار الأمل، إربد، الأردن، ط1، 1427هـ/ 2007م، ص348/349.

(2)- نظرات في التّراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص31.

(3) - علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، ص349.

لفظياً فقط، بل أساسه التّغيرات التي تطرأ على الدّلالات، وهنا يتمّ الانتقال إلى مستوى العدول النّحوي.

تتميّز مباحث النّحو سواء الّتي وظّفها البلاغيون أو الألسنيّون في دراساتهم بارتكازها الكبير على القواعد والقوانين، فـ"الدّراسة النّحوية في أساسها معياريّة، أي إنّ الهدف منها إنما هو بيان الصّواب في الاستعمال، فالصّحة اللغوية هي غايةُ الدّراسة النّحوية دون أن يكون لها التزامٌ ببيان الأنماط المتفاوتة في (الجودة) مع اتّفاقها في (الصّحة)، وتُرِك هذا الأمر لعلوم البلاغة وخاصّةً علم المعاني، وتسميته اختصارًا لعبارة (المعاني النحوية)"(1)، فالدّراسات اللغوية والأدبية والنّقدية بتعدّد فروعها، تشترك دائماً في المواضيع والمباحث، بحيث يتناول كلّ علم أو فنّ جانباً معيّنًا منها، والأسلوبيّة تضع الرّوابط المناسبة لتشكيل عملٍ تحليليٍّ متناسقٍ وممنهج ومتكامل.

تهتمّ الدّراسات الأسلوبية النّحوية بالظواهر التي تبرز في الجمل والعبارات، و"العبارة تُختار لسبك تركيبها ووضوح معناها واتجاهه إلى الصّراحة أو التّلميح ولمناسبتها للغرض منها إيجازًا وإطنابًا وحقيقةً ومجازًا، ولحسن جرسها ثم لانسجامها مع بيئتها من السّياق وتفضيلها بعض المفردات على بعض"(2)، ويقترن ذلك بقضايا ومباحث مثل التّقديم والتّأخير والاستفهام والأمر والنّهي والنّداء... وغيرها من الظّواهر الإنشائيّة والخبريّة.

(1) - الأسلوب والنحو، محمد عبد الله جبر، ص15.

(2) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص320/319.

▪ الأساليب النّحوية ذات الجملة الإنشائيّة:

ترتكز البنى الإنشائية على إنشاء الكلام وإيجاده ابتداءً، ولذا تتميز هذه البنى بأنها بنى إنتاجية متولّدة، فهي تثير الذهن وتنشط العقل وتحث النّفس على الإدراك(1)؛ والإنشاء ما لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، وهو قسمان: طلبي، وغير طلبي:

- يكون الإنشاء طلبيًّا حين يستدعي الكلامُ الذي تقوله شيئًا غير حاصلٍ عند النّطق، كقولك: (اكتُب الدّرس)، فإن هذا القول يستدعي شيئاً غير حاصلٍ عند تلفّظك به، لأنّ الّذي تخاطبهُ لم يكن قد كتب الدّرس. وينحصر الإنشاء الطلبي في خمسة مباحث: الأمر، والنّهي، والتّمني، والاستفهام، والنّداء(2).

- أمّا الإنشاء غير الطّلبي لا يستدعي أمراً حاصلاً عند الطّلب، وذلك كالتّعجب والمدح والذّم والدّعاء وصيغ العقود والقَسَم، وبعض أفعال المقاربة، وأفعال الرجاء(3).

1- أسلوب التـــعـــجّـــــب :

يعرّفه عباس حسن بأنّه: "شعورٌ داخلي تنفعل به النّفس حين تَستعظم أمراً نادراً أو لا مثيل له، مجهول الحقيقة أو خفيَّ السبب"(1)؛ وله أساليب كثيرة يمكن حصرها في نوعين رئيسيّين:

---

(1)- البلاغة الأسلوبية –تصوير الموت في القرآن الكريم "نموجًا"-، محمد أحمد أبوبكر أبوعامود، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1430هـ-2009م، ص42.

(2) - المرجع نفسه، ص261.

(3) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص261./ وينظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص376.

- أحدهما: مطلق، لا تحديد له ولا ضابط وإنما يُتْرَك لمقدرة المتكلم ومنزلته البلاغية، ويُفهَم بالقرينة.

- والآخر: اصطلاحيّ، أو (قياسيّ) مضبوطٌ بقواعد محدّدة، ولا تكاد تختلف في استعماله أقدار المتكلّمين(2).

- **أمثلة عن أسلوب التّعجّب ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة :**

قوله تعالى: ﴿**فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ**﴾(3).

صيغة (وَيْلَتَا): من صيغ الاستغاثة المستعملة في التعجّب، وأصلها: يا لَوَيْلَتِي، فعُوِّضت الألف عن لام الاستغاثة نحو قولهم: (يا عَجَبا)، ويجوز أن يجعل الألف عوضًا عن ياء المتكلّم، وهي لغة، كقوله تعالى: ﴿**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ**﴾(4). فالنّداء هنا مجازٌ، بتنـزيل الويلة منزلة ما يُنَادَى(5).

---

(1) - النّحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرّفيعة والحياة اللغوية المتجدّدة، عباس حسن، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1425هـ/ 2004م، ج03، ص264.

(2) - المصدر نفسه، ج03، ص264-265.

(3) - المائدة، 31.

(4) - الزمر، 56.

(5) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص173.

2- أسلوب الاستـفـهـــــام :

الاستفهام من الأساليب النّحوية ذات الجملة الإنشائيّة الأكثر استعمالاً وأهمّية، ويراد به طلب الفهم، وله أدواتٌ متعدّدة تتميّز كلّ واحدةٍ منها بالسّؤال عن جهةٍ من جهات الكلام. وقد عرض المفسّرون لأدواته، فأظهروا معانيها الأساسيّة والفوارق فيما بينها والمعاني البلاغيّة الّتي خرجت إليها، وتنبّهوا إلى آثار ذلك في جماليّات النّصوص وصلتها بقرائن المقام والمقال، وأهمّيتها في الكشف عن أسرار القرآن وخصوصياته في هذا الأسلوب الشّائق، الذي يكثر فيه وتتنوّع فوائده في التّعبير والإثارة والتّأثير(1).

- وأدوات الاستفهام إحدى عشر أداةً:

7- حرفان: الهمزة، هل.

8- تسعة أسماء: (من، ما، متى، أين، أيّان، أنّى، كيف، كم، أي)(2).

- **أنواع الاستفهام :**

يخرج الاستفهام حسب الغرض منه إلى أنواع :

- **الاستفهام التّقريري:** ومعناه أن تقرّر المخاطَب بشيءٍ ثبت عنده، لكنك تخرج هذا التّقرير بصورة الاستفهام، ذلك لأنه أَوقعُ في النّفس وأَدَلُّ على الإلزام، كقوله

(1) - الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمد أحمد الصغير، ص634.

(2) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص 272.

تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾(1). فإن الغرض منه إقرارهم بمجيء النّذير، لكنه أخرجه بصورة الاستفهام وذلك لما فيه من حُجّةٍ دامغة(2).

- **الاستفهام الإنكاري:** هو من أهمّ الأغراض التي تخرج إليها أدوات الاستفهام عن وضعها الحقيقي، ومن أكثرها شيوعاً، ويسمى استفهاماً إنكارياً(3).

الفرق بين الاستفهامين التّقريري والإنكاري، أنّك من خلال الاستفهام التّقريري تريد تثبيت الأمر وتحقيقه أو تنـزع إقرار المخاطب واعترافه، أمّا في الاستفهام الإنكاري فأنت لا تقرّر المخاطَب في شيء وإنما تُنكِر عليه وتستهجن ما حدث في الماضي، أو ما يمكن أن يحدث في المستقبل(4). ومن الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام أيضًا: "التّعجب، الوعيد والتّخويف، الأمر، النّهي، التّهكم، الاستبعاد، التّهويل، التّحقير، التّمني، الاستبطاء، التّعظيم، النّفي، التّشويق، التّكثير، التّسوية(5).

لقد تحدّث المفسّرون عن معاني "(الهمزة) و(أَمْ) و(هَلْ) و(كَمْ) و(مَنْ) و(ما)، و(أَيْنَ) و(أَيّ) و(كَيفَ) و(مَتَى)، و(أَنّى)، و(ماذا) و(أَيّانَ)، وجعل بعضهم (لَعَلَّ) منها، وفصّلوا القول في المعاني التي صحبتها وربطوها بالمعنى الكلّي للنّص، وقرنوها بما يضارعها في الأساليب الأخرى ومثّلوا لها وشرحوها، واختلفوا كثيراً

(1) - الملك، 08.
(2) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرن الكريم، فهد خليل زايد، ص279.
(3) - المرجع نفسه، ص279 / 280.
(4) - المرجع نفسه، ص280.
(5) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرن الكريم، فهد خليل زايد، ص273-274.

في تقريرها فامتزجت في توجيهاتهم المعاني الأساسية بالفرعية، وتماست الدّلالات المختلفة وعبّروا عنها بطرقٍ مختلفة، ففرّقوا بعضها وجمعوا بعضها الآخر، ومزجوا فيما بينها في بعض الدّلالات والوجوه"(1)، فمعانيها ودلالاتها تبقى تابعةً للتّراكيب الجُمليّة، والسّياقات التي ترد فيها.

يقول ابن جنّي في الخصائص: "واعلم أنه لا شيء يخرج عن بابه إلى غيره إلاّ لأمرٍ... وذلك أن المستفهِم عن الشّيء قد يكون عارفاً به مع استفهامه في الّظاهر عنه، لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء. منها أن يُري المسئول أنّه خفي عليه ليسمع جوابَه عنه. ومنها أن يتعرّف حال المسئول هل هو عارفٌ بما السّائل عارفٌ به. ومنها أن يُرِي الحاضر غيرهما أنه بصورة السّائل المسترشد؛ لما له في ذلك من الغرض. ومنها أن يُعدّ ذلك لما بعده ممّا يتوقّعه، حتّى إن حلف بعد أنه قد سأله عنه حلف صادقاً، فأوضح بذلك عذراً. و(لغير ذلك) من المعاني التي يسأل السّائل عمّا يعرفه لأجلها وبسببِها"(2)، كلّ ذلك في أسلوبٍ استفهاميٍّ، ذي دلالات عدوليّة.

فلفظ الاستفهام إذا ضامّه معنى التعجّب استحال خبراً. وذلك قولك: مررتُ برَجلٍ أيِّ رَجل. فأنت الآن مخبِرٌ بتناهي الرَّجُل في الفضل ولستَ مستفهِمًا؛ ومِن ذلك لفظ الواجب إذا لحقته همزة التّقرير عاد نفياً وإذا لحقه لفظ النّفي عاد إيجاباً.

(1) - الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمد أحمد الصغير، ص634.

(2) - الخصائص، ابن جني، ج02، ص224-225.

وذلك كقوله عزّ وجلّ: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾[1]. أي: ما قلتَ لهم، وقوله تعالى: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[2]. أي: لم يأذن لكم. وأمّا دخولها على النّفي فكقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[3]. أي: (أنا كذلك)، وقولِ جرير –من الوافر-:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكبَ المطَايَا *** وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ[4]

أي: (أنتم كذلك). وإنّما كان الإنكار كذلك لأنّ منكِر الشّيء إنما غرضه أن يحيله إلى عكسه وضدّه، فلذلك استحال به الإيجاب نفياً والنّفي إيجاباً[5].

- **أمثلة عن أسلوب الاستفهام ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة :**

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾[6].

استفهامٌ مرادٌ به التّعجّب من تحكيمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلّم وهم لا يؤمنون به ولا بكتابه[7].

(1) - المائدة، 116.

(2) - يونس، 59.

(3) - الأعراف، 172.

(4) - ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تح نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، ج03، ص85.

(5) - الخصائص، ابن جنّي، ج02، ص470.

(6) - المائدة، 43.

(7) - الإعجاز البلاغي، محمد حسين سلامة، ص87.

قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾[1].

قوله عزّ وجلّ: (فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ): "استفهامٌ يراد به الأمر، أي: انتهوا، وهو من أبلغ ما يُنهى به. قال أبو السّعود: ولقد أكّد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التّأكيد، حيث صدرت الجملة بإنما وقُرِنَا بالأصنام والأزلام، وسُمِّيا رجزًا من عمل الشّيطان تنبيها على أن تعاطيها شرٌّ بحت، وأمر بالاجتناب عن عينهما، وجعل ذلك سببًا يرجى عنه الفلاح، ثمّ قرّر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدّنيوية والدّينية المقتضية للتحريم... ثم أعيد الحثّ على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبًا على ما تقدّم من أصناف الصوارف فقيل: (فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) إيذانًا بأن الأمر في الزّجر والتّحذير قد بلغ الغاية وأن الأعذار قد انقطعت بالكلّية"[2].

قال عزّ وجلّ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾[3].

(1) - المائدة، 90- 91.

(2) - تفسير أبي السعود، أبو السعود الحنفي (900هـ-982هـ)، تح عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج2، ص116.

(3) - المائدة، 17.

(قل فمن يملك من الله شيئا): الفاء عاطفةٌ للاستفهام الإنكاري على قولهم: إنّ الله هو المسيح، للدّلالة على أنّ الإنكار ترتّب على هذا القول الشّنيع، فهي للتّعقيب الذِّكري؛ ولمّا كان الاستفهام هنا بمعنى النّفي كان نفي الشّيء القليل مقتضيًا نفي الكثير بطريق الأَولى، فالمعنى: فمن يقدر على شيءٍ من الله(1).

قال سبحانه: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾(2).

الاستفهام في عبارة: (أعجزت)، استفهامٌ إنكاري (3).

قال تعالى: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(4).

الاستفهام في عبارة (كيف يحكّمونك) غرضه التّعجيب، وهو مبنيّ على الفتح في موضع نصب حال مقدّم وجوباً لأنّ أسماء الاستفهام لها الصدارة في الكلام(5).

قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص154.

(2) - المائدة، 31.

(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص174.

(4) - المائدة، 43.

(5) - معرض الإبريز، عبد الكريم الأسعد، ص491.

بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[1].

فرّعت الفاء على مضمون قوله (فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ) استفهامًا عن مرادهم من ذلك التولّي، والاستفهام إنكاري، لأنّهم طلبوا حكم الجاهليّة. والواو في قوله (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا) واو الحال، وهو اعتراض، والاستفهام إنكاري في معنى النّفي، أي لا أحسن منه حكمًا[2].

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾[3].

الاستفهام في (أَهَٰؤُلَاءِ) مستعملٌ في التّعجّب من نفاقهم، ومحلّ العجب هو قَسمَهم أنّهم معهم، وقد دلّ هذا التّعجّب على أنّ المؤمنين يظهر لهم من حال المنافقين يوم إتيان الفتح ما يفتضح به أمرهم فيعجبون من حلفهم الإخلاص للمؤمنين[4].

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾[5].

(1) - المائدة، 49 – 50.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص227.

(3) - المائدة، 53.

(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص223.

(5) - المائدة، 59.

الاستفهام في الآية الكريمة إنكاريٌّ يخرج إلى التّعجّب، فالإنكار دلّ عليه الاستثناء والتعجّبُ دلّ عليه أنّ مفعولات (تنقِمون) كلّها محامد لا يَحقّ نَقْمُها، أي لا تجدون شيئًا تنقمونه غير ما ذُكر، وكلّ ذلك ليس حقيقًا بأن يُنقم[1].

يقول الشّيخ الطّاهر بن عاشور: "والّذي يظهر لي أن يكون قوله (وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) معطوفاً على (أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ) على ما هو المتبادر ويكون الكلام تهكُّمًا، أي: تنقمون منّا أنّنا آمنّا كإيمانكم وصدّقنا رسلنا وكتبكم، وذلك نَقْمُهُ عجيب وأنّنا آمنّا بما أُنزل إلينا وذلك لا يهمّكم. وتنقمون منّا أنّ أكثركم فاسقون، أي ونحنُ صالحون، أي هذا نَقْم حَسَد، أي ونحن لا نملك لكم أن تكونوا صالحين. فظهرت قرينة التهكّم فصار في الاستفهام إنكارٌ فتعَجُّب فتهكُّم، تولَّد بعضها عن بعض، وكلّها متولّدة من استعمال الاستفهام في مَجازاته أو في معانٍ كنائيّة"[2]، وهذه العدولات الدّلالية إنّما هي من إعجاز القرآن، حيث يتّسع المبنى اليسير للمعاني والدّلالات المتعدّدة، لتتشكّل صورةٌ إبداعيّة معجزة.

قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

الهمزة في قوله تعالى (أفلا يتوبون) للاستفهام الذي غرضه التّوبيخ[4].

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص243.

(2) - المصدر نفسه، ج06، ص245.

(3) - المائدة، 74.

(4) - معرض الإبريز، عبد الكريم الأسعد، ص517.

قال عزّ وجلّ: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[1].

"(كيف) اسم استفهام معلِّق لفعل (انظر) عن العمل في مفعولين، وهي في موضع المفعول به لـ(انظر)، والمعنى: انظر جواب هذا الاستفهام. وأريد مع الاستفهام التّعجيب كنايةً، أي: انظر ذلك تجد جوابك أنّه بيانٌ عظيمُ الجلاء يتعجّب النّاظر من وضوحه"[2]، فالمراد من الاستفهام هنا: التّعجيب.

قال سبحانه: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[3].

(أتعبدون): الهمزة للاستفهام، والغرض منه التّوبيخ[4].

قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[5].

قوله تعالى (فهل أنتم منتهون): "الفاء تفريعٌ عن قوله (إنّما يريد الشيطان) الآية، فإنّ ما ظهر من مفاسد الخمر والميسر كافٍ في انتهاء النّاس عنهما، فلم يبق

(1) - المائدة، 75.
(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص287.
(3) - المائدة، 76.
(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص288.
(5) - المائدة، 91.

حاجة لإعادة نهيهم عنهما، ولكن يستغنى عن ذلك باستفهامهم عن مبلغ أثر هذا البيان في نفوسهم، ترفيعًا بهم إلى مقام الفَطِن الخبير، ولو كان بعد هذا البيان كلّه نهاهم عن تعاطيها لكان قد أنزلهم منزلة الغبي، ففي هذا الاستفهام من بديع لطف الخطاب ما بلغ به حدّ الإعجاز"(1).

"ولذلك اختير الاستفهام بـ(هل) التي أصل معناها (قد). وكثر وقوعها في حيّز همزة الاستفهام، فاستغنوا بـ(هل) عن ذكر الهمزة، فهي لاستفهامٍ مضمَّنٍ تحقيقَ الإسناد المستفهَم عنه وهو (أنتم منتهون)، دون الهمزة إذ لم يقل: أتنتهون، بخلاف مقام قوله (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ)(2). وجُعلت الجملة بعد (هل) اِسميّةً لدلالتها على ثبات الخبر، زيادةً في تحقيق حصول المستفهَم عنه، فالاستفهام هنا مستعملٌ في حقيقته، وأريد معها معناه الكنائي، وهو التّحذير من انتفاء وقوع المستفهم عنه"(3). فهو يجمع المعنيين الحقيقي والكنائي.

قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾(4).

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص28.
(2) - الفرقان، 20.
(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص28.
(4) - المائدة، 109.

الاستفهام في قوله (مَاذَا أُجِبْتُمْ) الغرض منه الاستشهاد وتوبيخ المكذّبين، فهو مستعملٌ في الاستشهاد، ينتقل منه إلى لازمه، وهو توبيخ الذين كذّبوا الرّسل في حياتهم أو بدّلوا وارتدّوا بعد مماتهم(1).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(2).

جرى قوله تعالى (هل يستطيع ربّك) على طريقةٍ عربيّةٍ في العرض والدُّعاء، إذ يقال للمستطيع لأمر: (هل تستطيع كذا؟)، على معنى تطلّب العذر له إن لم يجبك إلى مطلوبك، وأنّ السّائل لا يحبّ أن يكلِّف المسؤول ما يشقّ عليه، وذلك كناية، فلم يبق منظورًا فيه إلى صريح المعنى المقتضى أنّه يشكّ في استطاعة المسؤول، وإنّما يقول ذلك الأدنى للأعلى منه، وفي شيءٍ يعلم أنّه مستطاعٌ للمسؤول، فقرينة الكناية تَحَقُّقُ المسؤولِ أنّ السّائل يعلم استطاعته، فليس قول الحواريّين المحكي بهذا اللفظ في القرآن إلاّ لفظًا من لغتهم يدلّ على التلطّف والتأدّب في السؤال، وليس شكًّا في قدرة الله تعالى، ولكنّهم سألوا آيةً لزيادة اطمئنان قلوبهم بالإيمان، بأن ينتقلوا من الدّليل العقلي إلى الدّليل المحسوس. فإنّ النفوس بالمحسوس آنس.

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص99.

(2) - المائدة، 112.

كما لم يكن سؤال إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾(1) شكًّا في الحال(2).

قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾(3).

الهمزة في قوله تعالى: (أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ) للاستفهام، الذي هو هنا كقوله تعالى للرُّسل (مَاذَا أُجِبْتُمْ)(4)، والله يعلم أنّ عيسى لم يقل ذلك، ولكن أريد إعلان كذب من كفر من النّصارى. وتقديم المسنَد إليه على الخبر الفعلي يدلّ على أنّ الاستفهام متوجّه إلى تخصيصه بالخبر دون غيره، مع أنّ الخبر حاصّل لا محالة. فقول قائلين: اتّخِذوا عيسى وأمّه إلهين، واقع. وإنّما ألقي الاستفهام لعيسى أهو الذي قال لهم ذلك تعريضًا بالإرهاب والوعيد بتوجّه عقوبة ذلك إل من قال هذا القول إن تنصّل منه عيسى، فيَعلم أحبارُهم الذين اخترعوا هذا القول أنّهم المراد بذلك(5)، فذاك هو الغرض من الاستفهام هنا.

---

(1) - البقرة، 260.
(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص105.
(3) - المائدة، 116.
(4) - المائدة، 109.
(5) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص113/112.

3- الأمـر والنّـهي :

من أقسام الإنشاء الأمر: وهو طلب فعل غير كفٍّ. وصيغته: (افعل) و(ليفْعل). وهي حقيقةٌ في الإيجاب، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[1]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾[2]. وتَرِدُ مجازاً لمعانٍ أُخَر، منها: النّدب، والإباحة، مثل قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[3]. والدّعاء، والتّهديد، والإهانة، والتّسخير، والتّعجيز، والامتنان، والتّسوية، والإرشاد، والاحتقار، والإنذار، والإكرام، والتّكوين، والإنعام، والتّكذيب، والمشورة، والاعتبار، والتّعجّب[4].

والأمر أيضًا: طلب الفعل على جهة الاستعلاء[5]، مثل قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾[6].

---

(1) - البقرة، 43.
(2) - النساء، 102.
(3) - المائدة، 02.
(4) - الإتقان، السيوطي، ص641-642.
(5) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص261.
(6) - البقرة، 110.

- **صيـغ الأمـر:**

1- فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾(1).

2- المصدر النّائب عن الفعل: كقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ((صبراً آل ياسر، فموعدكم الجنة)).

3- المضارع المقترن بلام الأمر: كقوله تعالى: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ**﴾(2).

4- اسم فعل الأمر: مثل: صه/ لا تتكلّم إلا بخير. واسم فعل الأمر: منه ما هو سماعي (مه، صه، آمين)، ومنه ما هو قياسي وهو ما كان على صيغة (فَعَال) من الفعل الثّلاثي، مثل (دَرَاك) بمعنى (أدرك) و(نزال) بمعنى (انزل)(3).

- **العدول في أسلوب الأمر:**

الأصل في الأمر أن يدلّ على الوجوب، وإنما يدلّ على غيره بالقرائن، ومن هنا لابدّ أن يكون من جهة العلوّ (من أعلى لمن هو أدنى منه). فإن كان من الأدنى

(1) - المزمل، 20.

(2) - الطلاق، 07.

(3) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص262./ وينظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص369.

إلى الأعلى فهو الدّعاء، مثل قولك: (اللهم اغفر لنا وارحمنا). وإذا كان إلى مَن يساويك، فهو التماس[1].

وقد يخرج أسلوب الأمر إلى معانٍ أخرى، أهمّها: الإرشاد، الاعتبار، التّخيير، الإباحة، الدّوام، التّأديب، التّعجّب، التّهديد، التّمني، الإهانة والتّحقير، التّعجيز، التّسوية، الامتنان... وهذه الصّيغ قد يتداخل بعضها في بعضها الآخر. وهي ليست على سبيل الحصر، فهناك صيغٌ كثيرة يمكن أن ُتستفاد من السّياق: كـ (النّدب، والتّلهف، والتّحسر، والخبر، والإكرام، والتّكوين، والتّفويض، والتّكذيب، والمشُورة، والتّسخير، والتّسليم)[2]. إنّ أسلوب الأمر غنيٌّ بالمعاني، حيث يخرج إلى هذه الأغراض والدّلالاتِ وغيرها في صورٍ متناغمةٍ مع السّياق، "وكُتُب الأصول اشتملت على كثيرٍ من هذه الأغراض، واتّفق الأصوليّون على إطلاقها بإزاء خمسة عشر غرضاً[3]:

1- الوجوب: كقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾[4]

2- النّدب: كقوله تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾[5]

3- الإرشاد: كقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾[6]

---

(1) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص262.

(2) - المرجع نفسه، ص263-264.

(3) - المرجع نفسه، ص264-265.

(4) - الإسراء، 78.

(5) - النور، 33.

(6) - النساء، 15.

4- الإباحة: كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾[1]

5- الامتنان: كقوله تعالى: ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾[2]

6- التّأديب: كقوله صلى الله عليه وسلّم: (كُلْ ممّا يليك).

7- الإكرام: كقوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾[3]

8- التّهديد: كقوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾[4]

9- الإنذار: كقوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾[5]

10- التّسخير: كقوله تعالى: ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾[6]

11- التّعجيز: كقوله تعالى: ﴿ كُونُوا حِجَارَةً ﴾[7]

12- الإهانة: كقوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[8]

13- التّسوية: كقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾[9]

14- الدّعاء: كقوله تعالى: ﴿ اغْفِرْ لِي ﴾[10]

---

(1) - المائدة، 02.

(2) - الأنعام، 142.

(3) - الحجر، 46.

(4) - فصلت، 40.

(5) - هود، 65.

(6) - البقرة، 65.

(7) - الإسراء، 50.

(8) - الدخان، 49.

(9) - الطور، 16.

(10) - الأعراف، 151.

15- القدرة: كقوله تعالى: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

الأصل في الأمر هو الدّلالة على الطّلب الواجب، وأنّه يدلّ على غير ذلك من المعاني مجازًا؛ وبناءً على ذلك فإنّ تغيّر دلالة الأمر من الوجوب الأصلي إلى غيره من المعاني ليس نقلًا، أي ليس حقيقةً شرعيّةً ولا عرفيّة ولكنّه مجازٌ يُفهم بالقرائن[2]، وبالنّظر إلى التغيّرات الدّلالية الكثيرة التي تدخل على الدّلالة الأصلية لصيغة الأمر، فإن قارئ النّص القرآني مطالبٌ بتحرّي القرائن وفهم كلّ أمرٍ في سياقه الخاصّ[3].

- **أمثلة عن أسلوب الأمر ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة :**

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**﴾[4].

الأمر هنا محمولٌ على الإباحة[5].

قال سبحانه: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾[6].

---

(1) - يس، 82.

(2) - التّغيّر الدّلالي وأثره في فهم النص القرآني، محمد بن علي الجيلاني الشّتيوي، مكتبة حسن العصرية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1432هـ/ 2011م، ص85/86.

(3) - المرجع نفسه، ص86.

(4) - المائدة، 02.

(5) - التغير الدلالي، محمد الجيلاني، ص86.

(6) - المائدة، 01.

افتُتحت السّورة بالأمر بالإيفاء بالعقود، وهذا مؤذنٌ بأن ستَرد بعده أحكامٌ وعقود، كانت عُقدت من الله على المؤمنين إجمالاً وتفصيلاً، ذكّرهم بها لأنّ عليهم الإيفاء بما عاقدوا الله عليه [1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[2].

قوله تعالى: (وإذا حللتم فاصطادوا): تصريحٌ بمفهوم قوله: (غير محلّي الصّيد وأنتم حرم) لقصد تأكيد الإباحة. فالأمر فيه للإباحة، وما هنا إنّما هو نهيٌ مؤقّت وأمرٌ في بقيّة الأوقات[3].

وقوله عزّ وجلّ: (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) تأكيدٌ لمضمون (وتعاونوا على البرّ والتقوى) لأنّ الأمر بالشّيء، وإن كان يتضمّن النّهي عن ضدّه، فالاهتمام

---

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ص 74.

(2) - المائدة، 02.

(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص85./ وينظر: معرض الإبريز، عبدالكريم الأسعد، ص460.

بحكم الضدّ يقتضي النّهي عن خصوصه. والمقصود أنّه يجب أن يصدّ بعضكم بعضًا عن ظلم قومٍ لكُم نحوَهم شنآن(1).

قال سبحانه: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾(2).

قوله تعالى: (واذكروا اسم الله عليه) أمرٌ بذكر الله على الصّيد، عند الإرسال لأنّه قد يموت بجرح الجارح، وأمّا إذا أمسكه حيًّا فقد تعيّن ذبحه، فيذكر اسم الله عليه حينئذ. ولقد أبدع إيجازُ كلمة (عليه) ليشمل الحالتين(3).

قال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾(4).

الأمر بالتّبليغ هنا مستعملٌ في طلب الدّوام، ومعنى الرّسالة إبلاغ ما أنزل إلى مَن يُراد علمه به وهو الأمّة، ولأجل هذا حُذف متعلّق (بلّغ) لقصد العموم(5).

قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾(6).

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص88.
(2) - المائدة، 04.
(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص118.
(4) - المائدة، 67.
(5) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص258.
(6) - المائدة، 75.

قوله تعالى (انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ): استئنافٌ للتّعجيب من حال الّذين ادّعوا الإلهيّة لعيسى؛ واستعمل الأمر بالنّظر في الأمر بالعِلم لتشبيه العالم بالرّأي والعلمِ بالرّؤية في الوضوح والجلاء، وقد أفاد ذلك معنى التّعجيب. ويجوز أن يكون الخطاب للرّسول عليه الصّلاة والسّلام، والمُراد هو وأهل القرآن[1].

قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[2].

الأمر في قوله (تعالَوْا) غنيٌّ بالمعاني، فهو يفيد معنى طلب الإقبال وإصغاء السّمع ونظر الفكر، وحضور مجلس الرّسول صلى الله عليه وسلّم وعدم الصّد عنه، فهو مستعملٌ في حقيقته ومجازه[3].

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[4].

قوله تعالى (وَاسْمَعُوا): الأمر بالسّمع مستعملٌ في الطّاعة مجازاً[5].

قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص287.
(2) - المائدة، 104.
(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص75.
(4) - المائدة، 108.
(5) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص94.

قول عيسى عليه السّلام حين أجابهم (اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) أمرٌ بملازمة التّقوى وعدم تزلزل الإيمان، ولذلك جاء بـ(إن) المفيدة للشّك في الإيمان، ليعلم الدّاعي إلى ذلك السّؤال خشية أن يكون نشأ لهم عن شكٍّ في صدق رسولهم[2].

- **النّهـي :**

النّهي: طلب الكفّ عن فعل. وصيغته: (لاَ تَفْعَلْ). وهي حقيقةٌ في التّحريم، وتَرد مجازاً لمعانٍ، منها: الكراهة، والدّعاء، والإرشاد مثلما في قوله عزّ وجلّ: ﴿**لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾[3]، والتّسوية، والاحتقار والتّقليل، وبيان العاقبة، واليأس، والإهانة[4].

ويعرّفه فهد خليل زايد بأنّه: "طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدةٌ وهي المضارع مع (لا) النّاهية، مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾[5]. فإن لم يكن على وجه الاستعلاء، كان دعاءً –إن كان

(1) - المائدة، 112.
(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص106.
(3) - المائدة، 101.
(4) - الإتقان، السيوطي، ص642.
(5) - الإسراء، 32.

من الأدنى إلى الأعلى– كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[1].

أوالتماساً..."[2].

- **العدول في أسلوب النّهي :**

صيغة النّهي عند الجمهور تدلّ على المنع والتّحريم حقيقةً، وعلى غيره من المعاني مجازًا، فالتّغير الدّلالي بناءً على ذلك يكون بصرف النّهي عن مدلوله الحقيقي الّذي هو المنع والتّحريم إلى مدلولٍ مجازي آخر، ويُفهم ذلك من القرائن[3] الموجودة في السّياق.

إذن قد تخرج صيغة النّهي عن مدلولها الرئيسي إلى معانٍ تُعرف بالقرائن، وتُستفاد من السّياق، ومنها[4]:

- الإرشاد: كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾[5].

- التّهديد: كقولك للمهمل في دراسته: لا تدرسْ.

(1) - البقرة، 286.

(2) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص264.

(3) - التغير الدلالي، محمد الجيلاني، ص87.

(4) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص265-266.

(5) - المائدة، 101.

- التّيئيس: كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(1).

- التّوبيخ: كقول الشّاعر:

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي بِمِثْلِهِ *** عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

- التّسلية والتّصبُّر: كقول الشاعر:

لاَ تَلُمْ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا *** صَحَّ مِنِّي الْعَزْمُ وَالدَّهْرُ أَبَى

- التّحقير: كقوله تعالى: ﴿**لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ**﴾(2).

- التّمني: كقول الشّاعر:

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَلاَ تَجْمَدَا *** أَلاَ تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى.

- **أمثلة عن أسلوب النّهي ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة :**

قال سبحانه: ﴿**حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ**﴾(3).

(1) - التحريم، 07.

(2) - الحجر، 88.

(3) - المائدة، 03.

يقول الطّاهر بن عاشور في تفسير أسلوب النّهي في الآية الكريمة: "كان مقتضى الظّاهر أن يقال: وما استقسمتم عليه بالأزلام، فغيّر الأسلوب وعُدل إلى (وأن تستقسموا بالأزلام)، ليكون أشمل للنّهي عن طريقتي الاستقسام كلتيهما، وذلك إدماجٌ بديع"(1)، وتلك حكمةٌ من العدول، وإعجازٌ في الأسلوب.

و"أفاد قوله تعالى (فلا تخشوهم واخشون) مفاد صيغة الحصر، ولو قيل: فإيّاي فاخشون، لجرى على الأكثر في مقام الحصر، ولكن عُدل إلى جملتَي نفيٍ وإثبات: لأنّ مفاد كلتا الجملتين مقصودٌ فلا يَحسُن طيّ إحداهما. وهذا من الدّواعي الصّارفة عن صيغة الحصر إلى الإتيان بصيغتَي إثباتٍ ونفي"(2) لإفادة المعنى كاملاً.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾(3).

قوله تعالى: (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) تفريغٌ على الإخبار بالعقاب، لأنّه علم أنّ موسى يحزنه ذلك، فنهاه عن الحزن لأنّهم لا يستأهلون الحزن لأجلهم، لفُسقهم(4).

---

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص97.

(2) - المصدر نفسه، ج06، ص102.

(3) - المائدة، 26.

(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص168.

قال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾[1].

قوله سبحانه: (لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) نهيٌ للرّسول صلّى الله عليه وسلّم عن أن يحصل له إحزانٌ مُسند إلى الّذين يسارعون في الكفر. والإحزان فعل الّذين يسارعون في الكفر، والنّهي عن فعل الغير إنّما هو نهيٌ عن أسبابه، أي لا تجعلْهم يحْزنونك، أي: لا تهتمّ بما يفعلون ممّا شأنه أن يُدخِل الحزن على نفسك. وهذا استعمالٌ شائع، وهو من استعمال المركّب في معناه الكِنائي[2].

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾[3].

قوله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ): نهيٌ عن اتّباع أهواء اليهود حين حكّموه طامعين أن يَحكم عليهم بما تَقَرّر من عوائِدهم، والمقصود منه النّهي عن الحكم بغير حكم الله إذا تحاكموا إليه، إذ لا يجوز الحكم بغيره ولو كان شريعةً سابقة، لأنّ نزول القرآن مهيمنًا أبطل ما خالفه، ونزولَه مصدّقًا أيّد ما وافقه، وزكّى ما لم يخالفه[4].

---

(1) - المائدة، 41.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص197.

(3) - المائدة، 48.

(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص222.

قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝﴾[1].

جملة (إنّما وليّكم الله ورسوله) إلى آخرها متّصلةٌ بجملة النّهي: (يأيّها الّذين آمنوا لا تَتّخذوا اليهود والنّصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) وما تفرّع عليها من قوله (فترى الّذين في قلوبهم مرض) –إلى قوله (فأصبحوا خاسرين).

ووقعت جملة (يأيّها الّذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه) بين الآيات معترضةً، ثُمّ اتّصل الكلام بجملة (إنّما وليّكم الله ورسوله). فموقع هذه الجملة موقع التّعليل للنّهي، لأنّ ولايتهم لله ورسوله مقرّرة عندهم، فمن كان اللهُ وليّه لا تكون أعداءُ الله أولياءه. وتفيد هذه الجملة تأكيدًا للنّهي عن ولاية اليهود والنّصارى وفيه تنويهٌ بالمؤمنين بأنّهم أولياء الله ورسوله بطريقة تأكيد النّفي، أو النّهي بالأمر بضدّه، لأنّ قوله (إنّما وليّكم الله ورسوله) يتضمّن أمرًا بتقرير هذه الولاية ودوامها، فهو خبرٌ مستعملٌ في معنى الأمر، والقصر المستفاد من (إنّما) قصر صفةٍ على موصوف قصرًا حقيقيًّا. وعُدل عن لفظ اليهود إلى الموصول والصّلة وهي (الّذين اتّخذوا دينَكم هزؤا) الخ، لِما في الصّلة من الإيماء إلى تعليل موجب النّهي[2].

(1) - المائدة، الآيات من 55 إلى 57.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص239/ 241.

قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(1).

قوله تعالى (ولا تتّبعوا أهواءَ قومٍ قد ضلّوا من قبل): عطفٌ على النّهي عن الغلوّ(2).

قال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾(3).

جملة (ولا تعتدوا) معترضة، لمناسبة أنّ تحريم الطيّبات اعتداءٌ على ما شرع الله، فالواو اعتراضية؛ وبما في هذا النّهي من العموم كانت الجملة تذييلاً. والاعتداءُ افتعالُ العَدْو، أي الظُّلم. وذِكره في مقابلة تحريم الطيّبات يدلّ على أنّ المراد النّهي عن تجاوز حدّ الإذن المشروع، فلمّا نهى عن تحريم الحلال أردفه بالنّهي عن استحلال المحرّمات. وقوله تعالى (وكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّبا): تأكيدٌ للنّهي عن تحريم الطيّبات(4).

(1) - المائدة، 77.
(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص290.
(3) - المائدة، 87 – 88.
(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص17.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾[1].

في الآية استئنافٌ ابتدائيٌّ للنّهي عن العودة إلى مسائل سألها بعض المؤمنين رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم، ليست في شؤون الدّين ولكنّها في شؤونٍ ذاتيّةٍ خاصّةٍ بهم، فنُهوا أن يشغلوا الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بمثالها، بعد أن قدّم لهم بيان مُهمّة الرسول بقوله تعالى: (ما على الرّسول إلاّ البلاغ)[2].

4- أسلوب النّداء :

النّداء من الأساليب النّحوية ذات الجملة الإنشائيّة، يعرّفه السّيوطي بأنّه: "طلب إقبال المدعوّ على الدّاعي، بحرفٍ نائبٍ مناب (أَدعو). ويصحب في الأكثر الأَمر والنّهي، والغالب تقدّمه"[3]، نحو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾[4]، وقوله سبحانه: ﴿**يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ**﴾[5]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[6]. وقد يصحب الجملة الخبريّة: فتعقبها جملة الأمر، نحو

(1) - المائدة، 101 – 102.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص65.

(3) - الإتقان، السيوطي، ص644.

(4) - البقرة، 21.

(5) - الزمر، 16.

(6) - النور، 31.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ**﴾(1). وقد لا تعقبها، نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿**يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾(2)، وقد تصحبه الاستفهامية(3)، نحو قوله تعالى: ﴿**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ**﴾(4).

ويعرّفه فهد خليل زايد بأنّه: "طلب إقبال المخاطَب، أو دعوة المخاطَب بحرفٍ نابَ مناب الفعل، كـ(أَدْعُو) أو (أُنَادِي)"(5). ويعرّفه أحمد مطلوب بأنّه: "التّصويت بالمنادَى ليُقبِل، أو هو طلب إقبال المدعو على الدّاعي"(6).

حروف النّداء ثمانية: (يا، الهمزة، أي، أيا، هيا، وا، آ، آي)، وهي تنقسم إلى قسمين: فمنها ما هو لنداء القريب: (الهمزة: أَبُنَيّ) و (أي: أي بُنَيّ). ومنها ما هو لنداء البعيد:

- **(يا):** وهي الأكثر استعمالاً، وهي مشتركةٌ بين النّداء البعيد والقريب، ولكن كثيراً من العلماء ذهب إلى أنها وُضعت لنداء البعيد. مثالٌ عنها قولُ الشّاعر:

أَيَا شَجَرَ الخَابُورِ مَالَكَ مُورِقاً *** كَأَنكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طريفِ

(1) - الحج، 73.

(2) - الزخرف، 68.

(3) - الإتقان، السيوطي، ص644.

(4) - مريم، 42.

(5) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص269.

(6) - البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب/ وكامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1430هـ/ 1999م، ص140.

بينما يرى آخرون أنّه يجوز مناداة القريب بما للبعيد، والعكس، وذلك لعلّةٍ بلاغية، كتنزيل أحدهما منزلة الآخر وكالتّأكيد(1).

وكثيراً ما تُحذف (يا)، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**﴾(2)، وقوله سبحانه: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ**﴾(3).

- **(أيا):** مثالها قول الشّاعر:

أَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِ بَلاَغَةٍ *** لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

- **(وا):** أكثر استعمالها في النّدبة. مثل: (وا حرّ قلباه)، (وا معتصماه).

بقيّة أحرف النّداء (هيا، آ، آي) أقلّ استعمالاً من سابقاتها: كقولك: (هيا ذكريات الماضي)، (آي بني قومي)، (آفلسطين سلاماً واعتذاراً)(4).

- **مواضع استعمال حروف النّداء :**

- الهمزة المفتوحة المقصورة: لاستدعاء المخاطَب القريب في المكان الحسيّ أو المعنوي.

(1) - النحو الوافي، عباس حسن، ج04، ص9.

(2) - القصص، 16.

(3) - يوسف، 46.

(4) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص 269 – 270./ وينظر: النّحو الوافي، عباس حسن، ج04، ص5.

- (آ- يا[1]- أيَا- هَيَا- أَيْ، بسكون الياء مع فتح الهمزة مقصورةً وممدودة): لاستدعاء المخاطَب البعيد حسًّا أو معنى؛ والذي في حكم البعيد كالنّائم، والغافل... أمّا تحديد القرب والبعد فمتروُك للعُرف الشّائع: سواءٌ أكانا حسّيَّين أم معنويَّين.

- (وَا): يُستعمل لنداء المندوب –وهو المتفجَّع عليه، أو المتوجَّع منه-.

- قد تُستعمل ((يا)) للنّدبة، بشرط وضوح هذا المعنى في السّياق وعدم وقوع لَبسٍ فيه[2].

- **أقسام المنادى خمسة، هي:**

- **المفرد العَلَم:** ويراد بالمفرد ما ليس مضافاً، ولا شبيهاً بالمضاف.
- **المنادى النّكرة المقصودة الموصوف بكلمة:** ((ابن))، أو ((ابنة)) أو غيرهما.
- **النّكرة غير المقصودة:** –وتسمّى اسم الجنس غير المعيَّن-، وهي الباقية على إبهامها وشيوعها كما كانت قبل النّداء، ولا تدلّ معه على فردٍ معيّنٍ مقصودٍ بالمناداة؛ ولهذا لا تستفيد منها تعريفاً.
- **المضاف:** بشرط أن تكون إضافته لغير ضمير المخاطب.

(1) - يرى البعض أن الحرف ((يا)) يستعمل في القريب والبعيد. ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، ج04، هامش ص05.

(2) - النحو الوافي، عباس حسن، ج04، ص5-6.

▪ **الشّبيه بالمضاف:** ويراد به كلّ مُنَادى جاء بعده معمولٌ يُتمِّم معناه، سواءٌ أكان هذا المعمول مرفوعاً بالمنادى أمْ منصوباً به أم مجروراً بالحرف –لا بالإضافة- والجار والمجرور متعلّقان بالمنادى، أم معطوفًا على المنادى قبل النّداء أم نعتاً له قبل النّداء أيضاً(1).

- **العدول في أسلوب النّـداء :**

قد ترد صورة النّداء لغيره مجازاً: كالإغراء والتّحذير، والاختصاص، والتّنبيه، والتّعجُّب، والتّحسُّر(2)، والنّدبة، والزّجر والملامة(3).

ويخرج النّداء لغرض التّعجب لأحد أمرين:

▪ أن يرى المرء شيئاً عظيماً يتميّز بذاته أو بكثرته أو شدّته أو غرابةٍ فيه؛ فينادي جنسَه، إعلاناً بإعجابه، وإذاعةً به.

▪ أن ينادي من له صلةٌ وثيقةٌ بذلك الشّيء وتخصُّصٌ فيه وتمكّنٌ منه، حمداً له وتقديراً أو طلباً لكشف السِّرّ فيه ومواطن العجب، كقول المتعجّب: (يا للعباقرة) أو (يا للعلماء).

هذا والتّعجّب بكلّ أنواعه وصيغه، ليس مقصوراً على الأمر الحميد أوالمحبوب وإنما يكون فيهما وفي الذّميم أو البغيض(1).

---

(1) - النحو الوافي، عباس حسن، ج04، ص33/12.

(2) - الإتقان، السيوطي، ص644.

(3) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص271-272.

- أمثلة عن أسلوب النّداء ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة :

جاء في الإتقان للسّيوطي: "قال الزمخشريّ وغيرُه: كَثُر في القرآن النّداء بـ (يا أيها) دون غيره، لأن فيه أوجهاً من التّأكيد وأسباباً من المبالغة: منها: ما في (يا) من التّأكيد والتّنبيه، وما في (ها) من التّنبيه، وما في التدرُّج من الإبهام في (أَيْ) إلى التّوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتّأكيد"(2)، فوقّت (يا أيّها) بذلك.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(3).

افتَتح سبحانه الاستئناف بالنّداء ليحصل إقبال السّامعين على سماعه(4).

قال سبحانه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾(5).

قوله تعالى: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة) هو الغرض من الخطاب، فهو كالمقصد بعد المقدّمة، والأمر بالدّخول أمرٌ بالسّعي في أسبابه، أي: تهيَّأوا للدّخول(6).

---

(1) - النحو الوافي، عباس حسن، ج04، ص77-78.

(2) - الإتقان، السيوطي، ص645.

(3) - المائدة، 11.

(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص137.

(5) - المائدة، 21.

(6) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص162.

قال عزّ وجلّ: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

ابتدأ الحواريّون خطابهم عيسى بندائه باسمه، للدّلالة على أنّ ما سيقولونه أمرٌ فيه اقتراحٌ وكلفةٌ له[2].

قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[3].

اشتملت عبارة (اللهمّ ربّنا أنزل علينا مائدة) على نداءين، إذ كان قوله (رَبَّنَا) بتقدير حرفِ النّداء. وكرّر النّداء مبالغةً في الضّراعة؛ وجمع سيدنا عيسى عليه السّلام بين النّداء باسم الذّات الجامع لصفات الجلال وبين النّداء بوصف الرّبوبية له وللحواريّين استعطافًا لله ليُجيب دعاءَهم[4].

- **الأساليب النّحوية ذات الجملة الخبرية :**

5- أسلوب التّوكيد :

التّوكيد من الأساليب النّحوية ذات الجملة الخبريّة، و"يشكّل هذا الأسلوب في العربية عنصراً حيوياً من عناصر التّعبير، ويحتلّ موقعاً متقدماً في الاستعمال والتّأثير، فلا يكاد يبرأ منه تركيبٌ نحويٌّ في تأسيسه وبنائه أو توضيحه وبيانه. وهو

---

(1) - المائدة، 112.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص105.

(3) - المائدة، 114.

(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص108

على تعدّد الطّرق التي يؤدَّى بها، تبدو الأدوات فيه ركناً رفيعَ الشَّأن بما تمنحه للنّصوص من تقويةٍ وتمكين في طلائع الكلام أو في أعطافه وأعقابه"(1)، كما تدخل هذه الأدوات في تحديد معاني السّياق وتوجيه دلالاته.

ويمتاز التّوكيد القرآني بأنّه كلّه وحدةٌ متكاملة، وقد روعيَت في ذلك جميع مَوَاطِنه فهو يؤكِّد في موطنٍ ما مراعياً موطناً آخر قَرُب أو بَعُد، فتدرك أنّه أَكَّدَ في هذا الموطن بسببٍ اقتضى التّوكيد ولم يؤكِّد في موطنٍ آخر يبدو شبيهاً به بمؤكِّدٍ واحد، لسببٍ دعا إلى استعمال كلِّ تعبيرٍ في موطنه المناسب له(2).

ويذكر الدّكتور فهد خليل زايد أدوات التّوكيد يقول: "للتّأكيد بالعربيّة أدواتٌ وطرق لابد من معرفتها، ليستعملها عند الخاصّة وهذه الأدوات هي: (إن، لام الابتداء، ضمير الفصل، القسم، إمّا الشّرطية، حرفا التّنبيه (ألا وأما)، الحروف الزائدة، إن، أن، ما، من، الباء، قد للتّحقيق، السين وسوف الدّاخلتان على فعلٍ دالٍّ على وعدٍ أو وعيد، تكرير النّفي، إنما، نون التّوكيد)"(3).

---

(1) - الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمد أحمد الصغير، 579.

(2) - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص155.

(3) - المرجع نفسه، ص156.

- **"التّوكيد قسمان: معنويٌّ، ولفظي"(1):**

أ- التّوكيد المعنوي:

ألفاظه الأصليّة سبعة، وقد تلحق بها –أحياناً- ألفاظٌ فرعيّةٌ أخرى. والسّبعة الأصليّة ثلاث أنواع:

الأول: نوعٌ يراد منه إزالة الاحتمال عن الذّات في صميمها، وإبعاد الشّك المعنوي عنها، وأشهر ألفاظه الأصليّة: (نفْس، وعيْن).

الثاني: نوعٌ يراد به إزالة الاحتمال والمجاز عن التّثنية، وإثبات أنها هي –وحدها- المقصودة حقيقةً. وله لفظان: ((كِلاَ)) للمثنّى المذكّر، و((كلتا)) للمثنّى المؤنّث، نحو: (أَفَادَ الخَبِيرَان كِلاَهُما).

الثالث: نوعٌ يراد منه إفادة التّعميم الحقيقي المناسِب لمدلوله المقصود، وإزالة الاحتمال عن الشّمول الكامل. وأشهر ألفاظه ثلاثة: (كُلّ- جميع- عامَّة)، وأقواها في التّوكيد وأكثرها أصالةً: (كُلّ)، ثمّ (جميع)، ثمّ (عامّة)، نحو: (قرأت ديوان المتنبي كلَّه، واستوعبت قصائدَه كلَّها)، فلو لم نأت بكلمة: (كُلّ) لكان من المحتمل أن المراد من المقروء ومن المستوعَب، هو: الأكثر، أو الأقلّ، أو النّصف، أو غير ذلك؛ إذ ليس في الكلام ما يدلّ على الإحاطة الكاملة، والشّمول الوافي(2).

(1) - النحو الوافي، عباس حسن، ج03، ص390.

(2) - المصدر نفسه، ج03، ص396/392.

ب- التّوكيد اللفظي:

هو تكرار اللّفظ السّابق بنَصّه –ولا يضرّ أن يدخل على نصّه بعضُ تغييرٍ يسير، كقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[1]. أو بلفظٍ آخر مرادف له...

وفي جميع صوَر التّوكيد اللفظي وحالاته لا يصحّ تكرار اللفظ السّابق (وهو: المؤكَّد) أكثر من ثلاث مرّات، كقول الشّاعر:

أَلاَ حَبَّذَا، حَبَّذَا، حَبَّذَا *** صَدِيقٌ تَحَمَّلْت مِنْهُ الْأَذَى[2].

من أغراض التّوكيد اللفظي: تمكين السّامع من تدارك لفظٍ لم يسمعه، أو سمِعه ولكن لم يتبيّنه. وقد يكون الغرض التّهديد، كقوله تعالى في خطاب المعاندين بالباطل: ﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(4)**﴾[3].

وقد يكون للتّهويل: كقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ(17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ(18)**﴾[4].

---

(1) - الطّارق، 17.

(2) - النحو الوافي، عباس حسن، ج03، ص409.

(3) - التّكاثر، 03 – 04.

(4) - الانفطار، 17 – 18.

وقد يكون لغرض التّلذّذ: بترديد لفظٍ مدلولُه محبوبٌ مرغوبٌ فيه، نحو: (الجنَّةَ الجَنَّةَ ما أسعدَ من يفوز بها)(1).

- أمثلة عن أسلوب التّوكيد ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة :

نظرًا لأهمية أسلوب التّوكيد تجده محطّ اهتمام المفسّرين دائمًا، "وقد وجدوا معنى التوّكيد في كلٍّ من: الباء والتّاء والفاء والكاف واللام وألْ وأَنْ ولا ومِنْ ومَنْ وهُوَ وها، وإذَنْ وإنَّ وألا وكُلّ، وأَمّا وكَلاّ وإنّما. وذلك على اختلاف مواقعها وطريقة إفادتها ومستوى هذه الفائدة"(2)، تبعاً للموضع والسّياق. و"يصل الأسلوب القرآني إلى التّوكيد بوسائل متعدّدة منها التّوكيد اللفظي والمعنوي، واستعمال الحرف الزّائد والتّقديم والقصر والتّعميم والصّيغ اللفظية الخاصّة وأدوات النّسخ وضمير الفصل وأدوات الاستفتاح وغير ذلك من الوسائل"(3).

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(4).

تمّ تأكيد الخبر الفعلي بقَد وباللام للاهتمام به، كما يجيء التّأكيد بإنّ للاهتمام(5).

---

(1) - النحو الوافي، عباس حسن، ج03، ص410.

(2) - الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمد أحمد الصغير، ص580.

(3) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص496.

(4) - المائدة، 12.

(5) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص139.

قال عزّ وجلّ: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[1].

تمّ تأكيد الامتناع من دخول أرض العدوّ توكيدًا قويًّا بمدلول (إنّ) و(لنْ) في (إنّا لن ندخلها) تحقيقًا لخوفهم، وفي قوله تعالى: (فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون) تصريحٌ بمفهوم الغاية في قوله في قوله عزّ وجلّ: (وإنّا لن ندخلها حتّى يخرجوا منها)، والغاية من ذلك تأكيد الوعد بدخولها إذا خلت من الجبّارين الّذين فيها[2].

قال سبحانه: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[3].

خاطبوا موسى عليه السّلام عقبَ موعظة الرَّجلين لهم، رجوعًا إلى إبايتهم الأولى الّتي شافهوا بها موسى إذ قالوا (إنّ فيها قومًا جبّارين)، أو لقلّة اكتراثهم بكلام الرجلين وأكّدوا الامتناع الثّاني من الدّخول بعد المحاورة أشدّ توكيد، دلّ على شدّته في العربيّة ثلاث مؤكّدات: إنّ، ولن، وكلمة أبدًا[4].

---

(1) - المائدة، 22.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص163.

(3) - المائدة، 23 – 24.

(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص166.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾(1).

قوله تعالى: (ولهم عذابٌ مقيمٌ) أي: دائم، وهو تأكيدٌ لقوله عزّ وجلّ: (وما هم بخارجين منها)(2).

قال سبحانه: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾(3).

قوله تعالى: (عَلَىٰ آثَارِهِم) تأكيدٌ لمدلول فعل (قفّينا)، وأفاد ذلك أيضًا سرعة التّقفية(4).

قال عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(5).

---

(1) - المائدة، 36-37.

(2) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص189.

(3) - المائدة، 46.

(4) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص218.

(5) - المائدة، 93.

جملة (ثمّ اتَّقوا وآمنوا) تأكيدٌ لفظي لجملة (إذا ما اتّقوا وآمنوا وعملوا الصالحات)، وقُرن بحرف (ثمّ) الدالّ على التّراخي الرُّتبي، ليكون إيماءً إلى الازدياد في التّقوى وآثارِ الإيمان. أمّا جملة (ثمّ اتّقَوا وأحسَنوا) فتفيد تأكيدًا لفظيًّا لجملة (ثمّ اتّقوا)، وتفيد الارتقاء في التّقوى بدلالة حرف (ثمّ) على التّراخي الرُّتَبي مع زيادة صفة الإحسان(1).

قال تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(2).

قوله تعالى (وما اعتدينا) توكيدٌ للأحقّية، لأنّ الأحقّية راجعةٌ إلى نفعهما بإثبات ما كتمه الشّاهدان الأجنبيان... والمعنى: وما اعتدينا على الشّاهدين في اتّهامهما بإخفاء بعض التَّرِكَة(3).

قال سبحانه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(4).

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص36.

(2) - المائدة، 107.

(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص91.

(4) - المائدة، 115.

قوله تعالى (قال الله إنّي منزّلها): جواب دعاء عيسى عليه السّلام، فلذلك فُصِّلت على طريقة المحاورة، وأكّد الخبر بـ(إنّ) تحقيقًا للوعد، والمعنى: إنّي منزّلها عليكم الآن، فأجاب تعالى الدّعاء بالاستجابة(1).

قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾(2).

الباء في قوله (بحقّ) زائدةٌ في خبر (ليس) لتأكيد النّفي الذي دلّت عليه (ليس)، وقد أفاد الكلام تأكيدَ كون ذلك ليس حقًّا له بطريق المذهب الكلامي، لأنّه نفيُ أن يباح له أن يقول ما لا يحقّ له، فعُلم أنّ ذلك ليس حقًّا له وأنّه لم يقله لأجل كونه كذلك. فهذا تأكيدٌ في غاية البلاغة والتفنّن(3).

6- التّقديم والتّأخير:

يقول الزّركشي في التّقديم والتّأخير: "هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوْا به دلالةً على تمكّنهم في الفصاحة وملَكتهم في الكلام وانقياده لهم. وله في القلوب أحسنُ موقع، وأعذب مذَاق، وقد اختُلف في عدّه من المجاز فمنهم من عدّه منه لأنّه تقديم ما رتبته التّأخير كالمفعول، وتأخير ما رتبته التّقديم كالفاعل، نُقِلَ كلُّ واحدٍ منهما عن

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص111.

(2) - المائدة، 116.

(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص114.

رتبته وحقّه"[1]؛ يتجلّى من هذا أنّ للتقديم والتّأخير قيمةً بلاغيّةً وأسلوبيّةً ودلاليّةً لم تخفَ على العرب، إذ وظّفه المتمكّنون منهم في أجود أشعارهم وخطبهم.

عند الحديث عن التّقديم والتأخير، لابدّ من التّطرّق إلى الرّتبة، إذ أنّ تركيب الجمل في العربيّة وتحديد دلالاتها يرتكز على ترتيب ألفاظها، و"العدول عن الرّتبة عدم مراعاتها بتقديم ما رُتبته التّأخير أو العكس، وتسمّى الرُّتبة في هذه الحالة رتبةً مشوَّشة، وإنّه ليبدو أن التّقديم والتّأخير وفوائده هو أوضح ما جذب انتباه البلاغيّين من الأساليب العدوليّة"[2]، إذ يعكف علماء اللغة والبلاغيون والأسلوبيون والمفسّرون على دراسة هذا المبحث وتضمينه في أعمالهم تنظيرًا وتطبيقًا، لما له من قيمةٍ إعجازيّةٍ لغويّةٍ ودلاليّة في القرآن الكريم. و"إذا تحدّثنا عن اختيارٍ لبعض الترتيبات أو لبعض الوحدات اللغوية، احتجنا إلى التّساؤل عن نسبة أومدى استقرار ذاك الاختيار في مجمل القول حتّى صار وسمًا له مميّزًا إيّاه عن غيره"[3]، ويجب أن يكون لذلك أثرٌ على الدّلالة، وحينها يمكن اعتباره عدولاً أسلوبيًّا.

فالتّقديم والتّأخير إذن: "أسلوبٌ عدوليٌّ عن أصل الرّتبة ومؤشِّرٌ أسلوبي، إنّما يكون لغاياتٍ تتّصل بالمعنى، وذلك شأن الأسلوب العدولي مع كل القرائن"[4]، حيث

---

(1) - البرهان، الزركشي، ج03، ص273.

(2) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص378.

(3)- الأسلوب والإحصاء، المختار كريم، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس، 2006م، ص86.

(4) - المرجع نفسه، ص379.

لابدّ أن يحقّق العدول فائدةً في المعنى، ولمسةً على السّياق، والتّقديم والتّأخير مُقيّدٌ بأمن اللبس ووضوح المعنى(1).

وفي التّعبير القرآني يُعتَبر التّقديم والتأخير ظاهرةً لطيفةً وفنًّا بلاغيًّا رفيعًا، كما يُعدُّ دليلاً واضحاً على الإعجازِ البيانيِّ في القرآن الكريم. وفي سبيل الحفاظ على وفرة نغم الفواصل وتوافقها مع نظيراتها وإبقاءً على جرسها وإيحاءاتها، وقدرتها على التّصوير تحدث إجراءاتٌ أسلوبية مثل الانزياح الرّتبي أو ما يسمّى بالتقديم والتأخير، فضلاً عن تلبية هذا الإجراء دواعيَ مقاميّة وسياقية في الدرجة الأولى إلا أن الحفاظ على توازن النغم والإيقاع جزءٌ من وظيفتها(2). ومن المعلوم في صياغة الجملة في اللغة العربية أنّ كلّ كلمةٍ فيها لها ترتيبٌ خاصٌّ بحسب وضعها، المبتدأ مقدّمٌ على الخبر، والفعلُ مقدمٌ على الفاعل، والفاعل مقدمٌ على المفعول به، وفعل الشّرط مقدمٌ على جوابِ الشّرط... وهذا هو الأصل في صياغة الجملة في اللغة العربية. وقد تدعو بعضُ الأسباب والمقتضيات إلى العدول عن هذا الأصل ونقل بعض الكلمات من مواضعها الأصلية في الجملة إلى مواضع أخرى بتقديمها أو تأخيرها، وذلك لتحقيق غرضٍ بلاغيّ مُراد، والتّركيز على معنى بيانيٍّ ملحوظ.

يأتي التقديم والتّأخير في القرآن الكريم على أرقى صورةٍ بيانيّة، حيث تتراصف الألفاظ في الجملة بجنب بعضٍ بدقّةٍ عجيبةٍ معجزة، وبطريقةٍ متناسقةٍ

---

(1) - الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص309.

(2)- تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني –في ضوء اللسانيات المعاصرة "سورة التوبة أنموذجًا"-، فخرية غريب قادر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م، ص93.

رائعة[1]. و"تتّضح أهمّية التّقديم والتّأخير في الأسلوب القرآني من حيث أن كلّ تقديمٍ وتأخيرٍ فيه على حكمةٍ بالغةٍ وقدرةٍ فائقة، ليس فيه ما يُفسد المعنى وإنّما فيه الواضح الجليُّ البليغ، وليس هناك ما يقوم مقامه فكأنّ المعنى يقتضي ما تقدَّم أو تأخّر اقتضاءً طبيعياً، بما يؤثّر في المتلقّي تأثيراً واضحاً"[2]، إذ يصبح العدول بمثابة أصلٍ في التّركيب، وضرورة لتحقيق المعنى في أرقى صورةٍ تركيبيّة.

- **التّقديم والتّأخير في البيان القرآني قسمان:**

أ- **"تقديم اللفظ على عامله:** كتقديم المفعول به على الفعل، وتقديم الظّرف على الفعل، أو تقديم الجار والمجرور على الفعل، أو تقديم الخبر على المبتدأ، وهذا كثيرٌ في القرآن.

ب- **تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غيرِ عامل:** حيثُ يقدّم اللفظ في آية، ويؤخّر اللفظ نفسه في آيةٍ أخرى مشابهة، وهذا كثيرٌ أيضاً في القرآن"[3].

فالنّوع الأوّل يعتبر تقديمًا وتأخيرًا قياسًا على أصل التّركيب اللغوي ومقتضى القاعدة، أمّا النّوع الثاني فهو باعتبار المعنى والدّلالة والسّياق.

---

(1) - إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص261.

(2) - الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص309.

(3) - إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتّاح الخالدي، ص261-262./ وينظر: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص122.

- **أغراض التّقديم والتأخير:**

أسباب التّقديم كثيرة، منها: تجنُّب الإخلال ببيان المعنى، والتّناسب لمشاكلة الكلام، ورعاية الفاصلة، ورعاية التّرتيب في التّعظيم والاهتمام والتّفضيل، كما قد يكون التّقديم لغرض التّعجيب أو الاختصاص؛ أمّا التّأخير فهو حسب الزّركشي يفيد النّفي فقط[1].

- **ومن أسباب التّقديم والتّأخير في البيان القرآني:**

1- **الاختصاص:** كأن يقدِّمَ القرآنُ لفظاً لاختصاصه بأَمْرٍ معين، فيقدّم الخبرَ على المبتدأ أو المفعولَ به على الفعل ليخصَّ ذلك اللفظَ بذلك الأَمر.

2- **التّفضيل:** كأَنْ يقدّمَ الفاضلَ على المفضول.

3- **الأهمّية:** كأن يقدّمَ الأهمَّ على ما دونه.

4- **الأَوّليَّة الزّمانية:** كأَنْ يقدّم الأَسبق في الوجود والزّمان.

5- **التّرتيب:** كأَنْ يقدّمَ ما يدعو إلى فعلِه قبلَ غيرهِ.

6- **الكثرة أو القلّة:** كأَنْ يقدِّمَ الأَكثرَ على الأقلِّ أو بالعكس[2].

ولتقديم الألفاظ بعضها على بعض أسباباً عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، والتّقديم يكون للعناية والاهتمام، فما كانت به عنايتك أكبر قدّمتَه في الكلام، والعناية باللفظة لا تكون من حيث إنّها لفظةٌ معيّنة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال.

(1) - البرهان، الزركشي، ج03، ص278/274.

(2) - إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتّاح الخالدي، ص262.

فنرى القرآن يقدّم السّماء على الأرض مرّةً ويقدّم الأرض على السّماء مرّة، كلّ ذلك بحسب ما يقتضيه القول وسياق التّعبير. وإذا قَدَّمَ القرآنُ لفظاً في موضعٍ قدَّمه لحكمة وإذا أَخَّرَ اللفظَ نفسه في موضعٍ آخرَ أخَّرَه لحكمةٍ أيضاً، والتّوازنُ الدّقيقُ هو الّذي يحكمُ هذا التّقديم والتّأخير، ويُحقّقُ الإعجازَ البيانيَّ الرّفيع ويقرّرُ المعنى القرآنيَّ المراد[1].

- **أمثلة عن أسلوب التّقديم والتّأخير ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة :**

قال عزّ وجلّ: ﴿**وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ**﴾[2].

الحكمة من تقديم (في الأرض) هي الاهتمام، الّذي يفيد زيادة تفظيع الإسراف فيها مع أهمّية شأنها[3].

قال سبحانه: ﴿**إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ**﴾[4].

قوله تعالى (إلى الله مرجعكم جميعا) عذرٌ للمهتدي ونذارةٌ للضالّ. وقدّم المجرور للاهتمام بمتعلّق هذا الرّجوع وإلقاء المهابة في نفوس السّامعين، وأكّد

(1) - إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتّاح الخالدي، ص261-262./ وينظر: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، ص122–123.
(2) - المائدة، 32.
(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص179.
(4) - المائدة، 48.

ضمير المخاطبين بقوله: (جميعا) للتّنصيص على العموم، وأن ليس الكلام على التّغليب. والمراد بالإنباء بما كانوا يعملون الكناية عن إظهار أثر ذلك من الثّواب للمهتدي الدّاعي إلى الخير، والعذاب للضالّ المعرض عن الدّعوة[1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

افتتح قوله تعالى: (والله يعصمك من النّاس) باسم الجلالة للاهتمام به، لأنّ المخاطَب والسّامعين يترقّبون عقب الأمر بتبليغ كلّ ما أنزل إليه أن يلاقي عنتًا وتكالبًا عليه من أعدائه، فافتتح تطمينه بذكر اسم الله، لأنّ المعنى أنّ: (هذا ما عليك، فأمّا ما علينا فالله يعصمك)، وموقع تقديم اسم الجلالة هنا مغنٍ عن الإتيان بأمّا[3].

قال سبحانه: ﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾[4].

"(فريقًا) الأول مفعول به مقدّم لكذّبوا، و(فريقًا) الثّاني مفعول به مقدّم ليقتلون"[5]، وتقديم المفعول في قوله تعالى:(فريقا كذّبوا) للاهتمام بالتّفصيل، لأنّ الكلام مَسوقٌ مُساق التّفصيل لأحوال رُسل بني إسرائيل باعتبار ما لاَقوه من قومهم،

---

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص79.

(2) - المائدة، 67.

(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص263.

(4) - المائدة، 70.

(5) - معرض الإبريز، عبد الكريم الأسعد، ص513.

ولأنّ في تقديم مفعول (يقتلون) رعايةً على فاصلة الآي، فقدّم مفعول (كَذّبوا) ليكون المفعولان على وتيرةٍ واحدَة[1].

7- أسلوب الاستثناء :

أسلوب الاستثناء من الأساليب النّحوية ذات الجملة الخبرية، و"يعتبر واحداً من الأساليب النّحوية التي تخصِّص الكلام وتدقّق التّعبير، فتُخرج ما يُعتقد أنّه داخلٌ في الحُكم"[2]، فهو متعلّق إذن بما يسبقه في السّياق.

ويعرّفه عباس حسن بأنّه: "الإخراج بـ(إلاّ) أو إحدى أخواتها لِمَا كان داخلاً في الحُكم السّابق عليها"[3]، فالمخصَّص بالاستثناء داخلٌ في حكم ما سبقه إلى حين استثنائه.

ويكون الاستثناء بحرفٍ أو اسمٍ أو فعل:

- حرف: إلاّ
- أسماء: غير (بَيْدَ)، وسوى بلغاتها المختلفة (سواء...)
- أفعال: (ليس)، و(لا يكون) [4].

---

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص275.
(2) - الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمد أحمد الصغير، ص472.
(3) - النحو الوافي، عباس حسن، ج02، ص272.
(4) - المصدر نفسه، ج02، ص312/271.

- **الاستثناء المتّصل والاستثناء المنقطع:**

الاستثناء المتّصل هو كما ذكر الفرّاء: "أن يخرج الاسم الّذي بعد (إلاّ) من معنى الأسماء قبل إلاّ"[1]، وهو عادةً إخراج قليلٍ من كثير[2]. ويكون فيه المستثنى بعضاً من المستثنى منه، نحو: (سقيت الأشجار إلاّ شجرةً).

وأمّا الاستثناء المنقطع فهو الخارج من أوّل الكلام والمقدَّر معناه عُموماً بـ(لَكِنْ)، وفيه جرى معظم الخلاف والتّقدير والتّأويل[3]. وهو ما لم يكن فيه المستثنى بعضاً من المستثنى منه، مثل:

قوله تعالى: ﴿**لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا**﴾[4].

فاللغو هو: رديء الكلام وقبيحه، والسّلام ليس بعْضاً منه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾**﴾[5].

وليس معنى انقطاعه أنّه لا صلة له بالمستثنى منه ولا علاقة تربطهما ارتباطاً معنويًّا، فهذا خطأٌ بالغ –لا يكون في أساليب الاستثناء مطلقاً- وإنّما معناه انقطاع

(1) - معاني القرآن، أبو زكريّا يحي بن زياد الفرّاء (ت207هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ-1983هـ، ج2، ص287.

(2) - ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنّى التّيمي (ت210هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج01، ص38.

(3) - الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمد أحمد الصغير، ص472.

(4) - مريم، 62.

(5) - الواقعة، 25- 26.

صلة (البعضيّة) بينهما، بألاّ يكون (المستثنى) جزءًا حقيقيًا من (المستثنى منه) ولا فرداً من أفراده، ومع انقطاع هذه الصّلة على الوجه السّالف لابدّ أن يكون هناك نوع اتّصالٍ معنوي يربط بينهما، ولهذا تؤدّي أداة الاستثناء فيه معنى الحرف: (لكن)[1].

- **الاستثناء التّام والاستثناء المفرَّغ [2]:**

يصنَّف الاستثناء بحسب ذكر أو حذف أحد طرفيه (المستثنى والمستثنى منه) إلى نوعين:

أ- **الاستثناء التّام:** ما كان فيه المستثنى منه مذكوراً، مثل: (جاء الرّجال إلاّ واحداً)، فكلمة (الرّجال) هي المستثنى منه.

ب- **الاستثناء المفَرَّغ:** ما حُذف من جملته المستثنى منه والكلام غير موجب، كما في قول الشّاعر:

لاَ يَكْتُمُ السِرَّ إلاَّ كُلُّ ذِي شَرَفٍ *** وَالسِرُّ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَكْتُومُ

فالمستثنى هنا (كلّ ذي شرفٍ)، والمستثنى منه محذوف.

- **الاستثناء الموجَب، والاستثناء غير الموجَب:**

يُصنَّف الاستثناء حسب المعنى الذي يتضمّنه إلى نوعين:

أ- **الاستثناء الموجَب:** ما كانت جملته خاليةً من النّفي وشبهه –(وشبه النّفي هنا: النّهي، والاستفهام الذي يتضمن معنى النّفي)، كقول الشّاعر:

(1) - النحو الوافي، عباس حسن، ج03، ص274.

(2) - المصدر نفسه، ج01، ص273.

قَدْ يَهُونُ الْعُمرُ إِلاَّ سَاعَةً *** وَتَهُونُ الْأَرْضُ إِلاَّ مَوْضِعَا

ب- **الاستثناء غير الموجَب:** ما كانت جملته مشتملةً على نفيٍ أو شبهه، نحو: (ما تأخّر المدعوّون للحفل إلاّ واحداً)، و(هل تأخّر المدعوّون إلا واحدا؟). ومن النّفي ما هو معنوي (يُفهم من المعنى اللغوي للكلمة، دون وجود لفظٍ من ألفاظ النّفي). مثلما في قول تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾(1)، فمعنى (يأبى): (لا يريد)(2).

- أمثلة عن أسلوب الاستثناء ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة :

للاستثناء في القرآن الكريم معاني متعدّدةٌ ومتشعّبة لدى المفسّرين، ولا سيما في المواضع المشكلة التي تقتضي الفحص الطّويل(3).

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾(4).

أسلوب الاستثناء في الآية الكريمة تامٌّ مثبت، والمستثنى منه (بهيمة الأنعام)، و(ما) اسمٌ موصولٌ مستثنى(5).

---

(1) - التّوبة، 32.

(2) - النحو الوافي، عباس حسن، ج03، ص272-273.

(3) - الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمد أحمد الصغير، ص479.

(4) - المائدة، 01.

(5) - معرض الإبريز من الكلام الوجيز عن القرآن العزيز، عبد الكريم الأسعد، ص459.

وتتجلّى الصّورة الفنّية المبدعة في قوله تعالى: (إلاّ ما يتلى عليكم) وقوله عزّ وجلّ: (غير مُحِلّي الصيد)، فجيء بالأوّل بأداة الاستثناء، وبالثّاني بالحالين الدالّين على مغايرة الحالة المأذون فيها، والمعنى: إلاّ الصّيد في حالة كونكم محرمين، أو في حالة الإحرام(1).

قال عزّ وجلّ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(2).

في قوله تعالى: (إلاّ ما ذكّيتم) استثناءٌ من جميع المذكور قبله من قوله: (حُرِّمَت عليكم الميتة)، لأنّ الاستثناء الواقع بعد أشياء يصلح لأن يكون هو بعضها(3).

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(1).

(1) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص80.

(2) - المائدة، 03.

(3) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص92.

(إلاّ قليلاً): أسلوب استثناءٍ منفيٌّ بـ(لا)، تامٌّ لأنّ المستثنى منه مذكورٌ وهو: (طائفة خائنة منهم) أو (خيانة منهم)[2].

قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾[3].

أسلوب الاستثناء في الآية الرّابعة والثّلاثين موجبٌ تامّ، والمستثنى منه هو (الذين يحاربون) في الآية السّابقة، و(الّذين) مستثنى مبني على الياء في موضعِ نصبٍ على الاستثناء[4].

وقوله تعالى (فاعلموا أنّ الله غفور رحيم): تذكيرٌ بعد تمام الكلام ودفعٌ لعجب من يتعجّب من سقوط العقاب عنهم. فالفاء فصيحةٌ عمّا دلّ عليه الاستثناء من سقوط العقوبة مع عِظَم الجرْم، والمعنى: إن عظُم عندكم سقوط العقوبة عمّن تاب قبل أن تقدرُوا عليه فاعلموا أنّ الله غفورٌ رحيم. وقد دلّ قوله (فاعلموا) على تنزيل المخاطَبين منزلة من لا يعلم ذلك نظرًا لاستعظامهم هذا العفو[5].

---

(1) - المائدة، 13.

(2) - معرض الإبريز، عبد الكريم الأسعد، ص471.

(3) - المائدة، 33- 34.

(4) - معرض الإبريز، عبد الكريم الأسعد، ص485.

(5) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص187/186.

قال عزّ وجلّ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

أسلوب الاستثناء في قوله تعالى: (وما من إله إلاّ إلهٌ واحدٌ)، مُفَرَّغ لأنّ الكلام منفيّ والمستثنى منه محذوف[2].

يستخدم الأسلوبيون مصطلح النّحو بدلالةٍ عامّة تعني دراسة نظام ترتيب الجمل والنّظام الصّوتي والنّظام الصّرفي، ونجد هذا عند البلاغيين الأوائل أيضًا[3]، إذ أنّ دراسة كلّ مستوى لغوي في علم الأسلوب تستلزم الإحاطة بالأثر الدّلالي لبقية المستويات دون فصلٍ بينها.

---

(1) - المائدة، 73.

(2) - معرض الإبريز، عبد الكريم الأسعد، ص517.

(3)- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات القاهرة، مصر، ط2، 1432هـ-2011م، ص114.

خاتمــــة

- الأسلوبية علمٌ حديثٌ من ناحية التّأسيس، ولكن له في الدّراسات البلاغيّة العربيّة جذورٌ ضاربةٌ في عمق المباحث، فقد "وَجَدَت كلمة الأسلوب مجالاً طيباً في دراسات الإعجاز البَلاغي، حيث تناولها العلماء المهتمّون بإثبات إعجاز القرآن في سبيل المقارنة بين أسلوب القرآن وغيره من كلام العرب"(1)، وتعتبر مباحث البلاغة أساس الدّراسات الأسلوبية القرآنية.

- بناءً على علاقة العدول بالتّراكيب الإبداعيّة والمفاهيم الأسلوبيّة الحديثة يمكن صوغُ مفهومٍ جديدٍ للأسلوبيّة، حيث تكون "ميدانَ التّعبير بالخَلق أو الخَرْق أو الخروج عن المألوف: نحواً وتركيباً، دلالةً ومنطقاً"(2)، ليتلاشى الغموض عن قضيّة ميدان الدّرس الأسلوبي، ويتحدّد بذلك في النّصوص ذات اللّغة الأدبيّة.

- من أهمّ الاتّجاهات الّتي انفتحت عليها الدّراسة الأسلوبيّة بغية جعل العمليّة التّواصليّة أكثر نجاعة، الاتّجاه النّفسي والّذي بدوره عثر على محوره الصّحيح عندما تمّ تناوله خلال عملية التّحليل اللّغوي للصّور الأدبية، بغية الكشف عن دلالاتها النّفسية والاجتماعيّة والتّاريخية، ومدى ما تقدّمه كل هذه العوامل في التّركيب الجمالي للصّورة، على أن يتمّ تناول ذلك بحذرٍ بالغ وتحكّم في المنهجيّة.

- من مهام المحلّل الأسلوبي إعادة إنتاج العمل الإبداعي في ذهنه، ليتسنّى له تحليله بالطّريقة الصّحيحة؛ صحيحٌ أنّ التّحكّم باللّغة يتيحُ له تحديد الأسباب الّتي تُؤدّي

(1) - الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، ص38.

(2) - الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص104.

إلى بعض الاختيارات، ولكنّ القضيّة تتعدّى ذلك، حيث إنّ إعادةً إنتاج نصٍّ ما، تتطلّب محاكاة الظّروف الّتي أُنتِج فيها، والّتي تتعلّق بالمُؤلِّف وكذا المتلقّين. والمحاكاة في هذه الحالة ليست نفسها المحاكاة المعتادة في العمليّة النّقدية، فهذه الأخيرة قائمةٌ على التخيّل والتكهّن وإبداء الرّأي المبني على التصوّرات المسبقة وتَوقّع ردود الأفعال؛ بينما المحاكاة في عمليّة التّحليل الأسلوبي تكون مبنيّةً على معطياتٍ ظاهرةٍ، مُبرهَنٍ عليها بأدلّةٍ مُقْنِعة؛ لذلك يُعتَبر كلّ خروجٍ عن المألوف إبداعاً، وكلّ تحليلٍ مُبَرهَنٍ عليه كشفاً لتشفير العمليّة الإبداعيّة.

- لا تهدف عملية التّحليل الأسلوبي إلى استنباط القواعد الموظّفة في لغة النّص، ولا إلى نقد ما يوافق أو يخالف نظريّةً أو توجّهاً أدبيًّا معيّناً، فالأسلوبية تهتمّ بالفكرة كما تهتمّ بلغتها، والفكرة يمكن أن تكون قديمةً يتمّ تجديدها، أو جديدةً يُراد التّرويج لها، ولكن حتّى يكون الأسلوب متميّزاً لابدّ وأن يكون متفرّداً وقويّاً، لم يسبق وأن طُرحت الفكرة المعالَجة بأسلوبٍ آخر أكثر تأثيراً منه، وإلاّ فلن يضيف جديداً إلى العمليّة الإبداعية، ولن يكون له تأثيرٌ على المتلقّين؛ فالأسلوب الجيّد يُمكن أن يُحْيي فكرةً ميّتة، كما أنّ الأسلوب الرّكيك يقتل الفكرة المُبدَعَة؛ ويمكن بذلك القول بأنّ الأسلوب وصيٌّ على الفِكر، بوساطة اللّغة.

- وفي خضمّ الزّخم الدّائر حول البحث في أطروحات علم الأسلوب، نجد "دراسة مباحث الأسلوب ومفهومه في الدّراسة العربيّة الحديثة تؤكّد التّواصل بين القديم والجديد، من حيث كانت مباحث حسين المرصفي ومصطفى صادق الرافعيّ

وأحمد حسن الزّيّات وأحمد الشّايب وأمين الخولي قائمةً في جوهرها على ما أصّله القدماء من دراساتٍ بلاغية، مع الإفادة في الوقت نفسه من التّيارات الخصبة التي وفدت من الغرب"(1)، وتحويرها والإفادة منها لمسايرة كلّ ما هو جديدٌ في لغة الإبداع؛ "هذه الجهود في مجال البحث الأسلوبي وما يتّصل به قد تفاعلت مع المنهج العلمي الذي ساد الدّراسات اللّغوية عامّةً، كما تفاعلت مع مناهج البحث المعاصرة"(2)، محقّقةً أسباب استمراريّتها وتطوّرها، ومواكبةً لِوتيرة الدّراسات اللّغوية والأدبية.

- منذ بدايات الدّرس الأسلوبي ظهرت وتظهر اتّجاهاتٌ جديدة وأخرى متجدّدة في مجال البحث وطرائقه ومحاوره بعيدًا عن الصّبغة إقصائيّة، وبصفةٍ تطويريّة تواصليّةٍ تكامليّة، فـ"مع أنّ الاتّجاه الغالب الآن في الدّراسات الأسلوبية يرفض الاعتماد الكلّي على منهج التّذوق الشّخصي، فإنّه لا يضحى نتيجةً لذلك بأهمّية الحدس في بداية الدّراسة ولا بضرورة التّقويم الشّخصي خلال عملية التّأويل الأسلوبي في نهايتها، على أن تكون إجراءات التّحليل الواقعة بين ذلك خاضعةً لمنهجٍ علميٍّ منَظّم قابلٍ للاختبار والنّقد وسَبر مدى غوره في صدقه وإصابته، وضامنٍ لأعلى نسبةٍ من الموضوعيّة له"(3)، وهذه المرونة في سير الدّرس الأسلوبي شكّلت مع المكتسبات الأولى لعلم الأسلوب قاعدة صلبةً له، وساهمت ولاتزال في تبوّء الأسلوبيّة مكانةً

(1) - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص3.

(2) - المرجع نفسه، ص183.

(3) - علم الأسلوب، صلاح فضل، ص192.

رائدة بين العلوم، نظراً لنجاعة التّحليل وأهمّية الاستنتاجات المتوصّل إليها، والّتي يعود ريعها إلى اللّغة والأدب إفادةً واستفادةً.

- أرقى أسلوبٍ حظيت به اللغة العربية وتشرّفت به، هو أسلوب القرآن الكريم، و"البناء الفريد لكلمات وجُمل القرآن وفِقَرِه وسُوَرِه، جعله يمتاز بخاصّةٍ سما بها فوق النّثر الفنّي والكلامِ المنظوم، فليس هو بواحدٍ منهما: ليس شِعراً لأنّه ليس على مناهج الشّعر من بحورٍ وتفاعيل وعللٍ وزحاف، وليس نثراً ممّا اعتاد النّاسُ حذقَه لأنّه يباين طرقهم في التّعبير وأخذهم في فنون القول والنّثر"(1)، فالشّعر والنّثر من المتلائم في الطّبقة الوسطى، "أما المتلائم في الطّبقة العليا فهو القرآن"(2)، وبين الطّبقتين فرقٌ واسع لا يمكن حصره، يزداد اتّساعاً عند التّعمّق في البحث والتّأمّل. قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(3).

(1) - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، ج1، ص297.

(2) - الإعجاز البلاغي، محمد محمد أبو موسى، ص141.

(3)- سورة الشعراء، الآية 192.

تم بحمد الله

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مكتبة
البحث

▪ القــرآن الكريــم بالرّســم العثمانــي

ꕥ قائــمة المصــادر والمراجــع ꕥ

1. اتّساع الدّلالة في الخطاب القرآني، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2010م.
2. إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمّان، الأردن، ط1، 1997م.
3. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (849هـ-ت911هـ)، تحقيق فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م.
4. أثر الانسجام الصّوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، فدوى محمد حسان، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ-2011م.
5. أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي –دراسة تطبيقية في سورة البقرة-، محمد مسعود علي حسن عيسى، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1430هـ-2009م.
6. الأدوات النّحوية في كتب التّفسير، محمد أحمد الصغير، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط1، 1422هـ/ 2001م.

7. أساسيّات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، محمد مصطفوي، نركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

8. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1418هـ/ 1998م.

9. الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، ليبيا، ط1، 1426هـ.

10. الأسلوب والإحصاء، المختار كريم، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس، 2006م.

11. الأسلوب والنّحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، محمد عبد الله جبر، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط1، 1409هـ/ 1988م.

12. الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2008م.

13. الأسلوبية والأسلوب، عبد السّلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، ط3، تونس.

14. الأسلوبية والبيان العربي، محمد خفاجي/ محمد السعدي فرهود/ عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1412هـ/ 1992م.

15. الأسلوبية وتحليل الخاطب، منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سورية، ط1، 2002م.

16. الإعجاز البلاغي دراسة تحليليّة لتراث أهل العلم، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2، 1418هـ/ 1997م.

17. الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ/ 2002م.

18. الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم –دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة-، عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م.

19. الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، دار النفائس، عمّان، الأردن، ط1، 1428هـ/ 2008م.

20. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتّاح الخالدي، دار عمار، عمّان، الأردن، ط1، 1421هـ/ 2000م.

21. إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عبّاس وسناء فضل عبّاس، دار الفرقان، ط5، 2004م.

22. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/2004م.

23. إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تح وتع محمود محمد مزروعة دار كنوز المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ- 2006م.

24. الإعجاز القصصي في القرآن، سعيد عطية علي مطاوع، دار الآفاق العربية القاهرة، مصر، ط1، 2006م.

25. آيات الله في الإعجاز اللّغوي والبياني والتشريعي والغيبي في القرآن الكريم، ماهر أحمد الصَّوفي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1429هـ/ 2008م.

26. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ)، تقديم مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م.

27. البلاغة الأسلوبية –تصوير الموت في القرآن الكريم "نموجًا"-، محمد أحمد أبوبكر أبوعامود، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1430هـ-2009م.

28. البلاغة الصّوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، الشركة الإسلامية لإنتاج والتوزيع والإعلان الرسالة، الدقي، مصر، ط1، 1409هـ/ 1988م.

29. بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابًا وتفسيرًا بإيجاز، بهجت عبد الواحد الشيخلي، مكتبة دنديس، عمّان، الأردن، ط1، 1422هـ/ 2001م.

30. البلاغة والأسلوبية –مقدّمات عامة-، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر، عمّان، الأردن، ط1، 1999م.

31. البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليت، تر د.محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1999م.

32. البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1994م.

33. البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1430هـ/ 1999م.

34. البنى التصورية واللسانيات المعرفيّة في القرآن الكريم، بوشعيب راغين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ/2011م.

35. البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1413هـ/ 1993م.

36. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تح درويش جويدي، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، لبنان، 1425هـ-2004م.

37. تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني –في ضوء اللسانيات المعاصرة "سورة التوبة أنموذجًا"-، فخرية غريب قادر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م.

38. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة –درسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية-، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات القاهرة، مصر، ط2، 1432هـ-2011م.

39. التّصريف الملوكي، ابن جنّي، تحقيق ديزيره سقال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.

40. التّغيّر الدّلالي وأثره في فهم النص القرآني، محمد بن علي الجيلاني الشّتيوي، مكتبة حسن العصرية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1432هـ/ 2011م.

41. تفسير أبي السعود، أبو السعود الحنفي (900هـ-982هـ)، تح عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

42. تفسير التّحرير والتّنوير، الشّيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

43. خصائص التّعبير القرآني وسماته البلاغيّة، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1413هـ/ 1992م.

44. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2003م.

45. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، مصر، 1998م.

46. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجاني النّحوي (ت471 أو 474هـ)، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2000م.

47. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تح نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3.

48. روافد من نهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ-2010م.

49. شذا العرف في فنّ الصّرف، أحمد الحملاوي، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 1424هـ-2003م.

50. شرح الرّضِيّ على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط2، 1996م.

51. الصّوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، محمد فريد عبد الله، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

52. صيغ "فَعلَة" و"فِعلَة" و"فُعلة" في القرآن الكريم –دراسة صرفيّة دلاليّة-، زيرفان قاسم أحمد البرواري، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2011م.

53. العربية والنص القرآني –دراسة للقضايا اللغوية في كتب إعراب القرآن ومعانيه في أوائل القرن الثالث الهجري، عيسى شحاتة عيسى علي، دار قباء، القاهرة، مصر، 2001م.

54. علم الأسلوب –مبادئه وإجراءاته-، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1419هـ/ 1998م.

55. علم الأصوات اللغوية، أحمد عزوز، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران، الجزائر.

56. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، دار الأمل، إربد، الأردن، ط1، 1427هـ/ 2007م.

57. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، تح عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف، القاهرة، مصر.

58. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنّى التّيمي (ت210هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

59. مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عياد، مصر، ط2، 1413هـ/ 1992م.

60. المصطلح الصّوتي في الدّراسات العربيّة، عبد العزيز الصّيغ، دار الفكر، دمشق، سوريا، الإعادة الأولى، 1427هـ-2007م.

61. معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط (ت215هـ)، تعليق إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ-2002م.

62. معاني القرآن، أبو زكريّا يحي بن زياد الفرّاء (ت207هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ-1983هـ.

63. المعجم الميسّر في القواعد والبلاغة والإنشاء والعروض، محمّد أمين ضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ-1999م.

64. معرض الإبريز من الكلام الوجيز عن القرآن العزيز، عبد الكريم محمّد عبد الكريم الأسعد، دار المعراج الدَّولية للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ/ 1997م

65. المعنى اللغوي –دراسة عربية مؤصّلة نظريًّا وتطبيقيًّا-، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2009م.

66. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالرّاغب الأصفهاني (ت502هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ.

67. النّحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرّفيعة والحياة اللغوية المتجدّدة، عباس حسن، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1425هـ/ 2004م.

68. النصّ الدّيني في الإسلام –من التّفسير إلى التّلقّي-، وجيه قانصوه، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011م.

69. نظرات في التّراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

70. نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظرياً وتطبيقياً، سامي محمد هشام حريز، دار الشروق، عمّان، الأردن، ط1، 2006م.

فهرس

∞ فهـرس المحتويات ∞

الموضـــــــــوع	الصفحة
• **مقدمة**	أ - ح
• **مدخـل :**	01
1- الأسلوب عند العرب	02
2- الأسلوب والأسلوبيّة الغربية :	10
أ. أبرز توجّهات الأسلوبية الغربية :	14
- طبقيّة الأسلوب عند جورج بوفون	14
- دراسات شارل بالي	15
- الأسلوب واللغة الأدبية عند جولز ماروزو	17
- جهود المدرسة الألمانية ممثّلةً في ستيفن أولمان	18
- الأسلوب والكتابة عند رولاند بارت	19
- الأسلوب الأدبي عند ميشال ريفاتير	19
ب. تطوّر تصوّرات علم الأسلوب	20
ج. ميدان الدّرس الأسلوبي واتّجاهاته ومناهجه	22
د. أسلوبيّة التّعبير وأسلوبيّة الفرد	26
3- مجالات الأسلوبيّة :	27
أ. الأسلوبيّة النّظريّة	27
ب. الأسلوبية التطبيقيّة	28
ج. الأسلوبية المقارنة	28

29	**4- إشكاليّة المنهج الإحصائي في التّحليل**
32	**5- مواضيع علم الأسلوب**
37	**6- تقاطعات الأسلوبية مع العلوم والفنون :**
38	أ. الأسلوبية وعلم اللّغة
44	ب. الأسلوبية والبلاغة
47	ج. الأسلوبية والنّقد
48	د. الأسلوبية والدّلالة
49	ه. الأسلوبية والتّواصل
54	**• الباب الأوّل: أسلوبيّة العدول والنّص القرآني**
58	**- <u>الفصل الأوّل: أسلوبية العدول</u>**
58	**1- تحديد لغوي واصطلاحي**
60	**2- العدول عند البلاغيّين الأوائل**
61	**3- أسلوبيّة العدول**
71	**4- أصناف العدول:**
71	أ. العدول السّياقي والعدول اللغوي
77	ب. الانحراف الموضعي والانحراف الشّامل
78	ج. الانحراف الدّاخلي والانحراف الخارجي
78	د. الانحراف المعتمد على الاختيار
79	ه. الانزياح المتنافر
81	**5- مستويات التّحليل الأسلوبي**
84	**6- عناصر التّحليل الأسلوبي**

- **الفصل الثّاني : الأسلوبية والدّراسات القرآنية**	89
1- إعجاز القرآن – مؤلّفات وأعلام -	91
2- نظم القرآن	95
3- مباحث الأسلوبية في الإعجاز القرآني	96
4- من خصائص أسلوب القرآن	98
5- بلاغة العدول	99
6- دلالات العدول	101
• **الباب الثّاني : العدولات الأسلوبية في سورة المائدة**	103
- **في رحاب سورة المائدة :**	104
أ. تسمية السّورة	104
ب. محتوى السّورة	106
ج. الإعجاز البياني في السّورة	108
• **الفصل الأوّل : العدول الصّوتي**	110
1- العدول الصّوتي	111
2- الحروف وأصواتها	116
3- الإيقاع:	119
أ- أنواع الإيقاع :	120
ب- من أنواع الإيقاع في القرآن الكريم	122
4- الفاصلة القرآنيّة :	123
أ. أهمية الفاصلة القرآنية	123
ب. تقسيم الفواصل بحسب حروفها	126
ج. مواقع الفواصل	126

5- المناسبة الصّوتية	130
- من قواعد المناسبة الصّوتيّة	130
6- التّلاؤم :	132
- التّلاؤم ظاهرةً أسلوبيّة	133
• **الفصل الثّاني : العدولات الصّرفية والنّحويّة**	137
• **العدول الصّرفي :**	138
1- الأسلوبيّة الصّرفيّة	138
2- اللّفظ والمعنى	141
3- تخيّر اللفظ	143
4- حسن التّأليف (الانسجام)	146
- أمثلة عن الانسجام ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة	148
5- الأوزان والصّيغ الصّرفية	150
- صيغ المبالغة	151
- أمثلة عن العدول في الأوزان والصّيغ الصّرفية من سورة المائدة	152
6- الجمع والتّثنية والإفراد	161
-أمثلة عن صيغ الجمع والتثنية والإفراد ودلالاتها العدوليّة من سورة المائدة	166
• **العدول النّحوي:**	172
▪ **الأساليب النّحويّة ذات الجملة الإنشائيّة :**	176
1- أسلوب التّعجّب	176
- أمثلة عن أسلوب التّعجّب ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة	177
2- أسلوب الاستفهام	178
- أنواع الاستفهام	178

- أمثلة عن أسلوب الاستفهام ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة	181
3- الأمر والنّهي	190
- صيغ الأمر	191
- العدول في أسلوب الأمر	191
- أمثلة عن أسلوب الأمر ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة	194
- النهي	198
- العدول في أسلوب النّهي	199
- أمثلة عن أسلوب النّهي ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة	200
4- أسلوب النّداء	205
- أقسام المنادى	208
- العدول في أسلوب النّداء	209
- أمثلة عن أسلوب النّداء ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة	210
▪ **الأساليب النّحوية ذات الجملة الخبريّة :**	211
5- أسلوب التّوكيد	211
- التّوكيد المعنوي والتّوكيد اللفظي	213
- أمثلة عن أسلوب التّوكيد ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة	215
6- التّقديم والتّأخير	219
- قسما التّقديم والتّأخير :	222
تقديم اللفظ على عامله	222
تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير عامل	222
- أغراض التّقديم والتّأخير	223
- أمثلة عن أسلوب التّقديم والتّأخير ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة	224

7- أسلوب الاستثناء	226
- الاستثناء المتّصل والاستثناء المنقطع	227
- الاستثناء التّام والاستثناء المفرّغ	228
- الاستثناء الموجب والاستثناء غير الموجب	228
- أمثلة عن أسلوب الاستثناء ودلالاته العدوليّة من سورة المائدة	229
• **خاتمة**	233
• **قائمة المصادر والمراجع**	239
• **فهرس المحتويات**	250